

# اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل  
حاسة داسا  
البحر جمع  
حاسة داسا

# دراسات المستشرقين عن القرآن الكريم

دراسة في تاريخ القرآن نزوله وتدوينه وجمعه

أطروحة تقديم بها

مشتاق بلشير حمود الخزالي

إلى مجلس كلية التربية ابن رشد جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل

درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

حسين علي محمد الحاقوق

أيار ٢٠٠٤ م

ربيع الأول ١٤٢٥ هـ

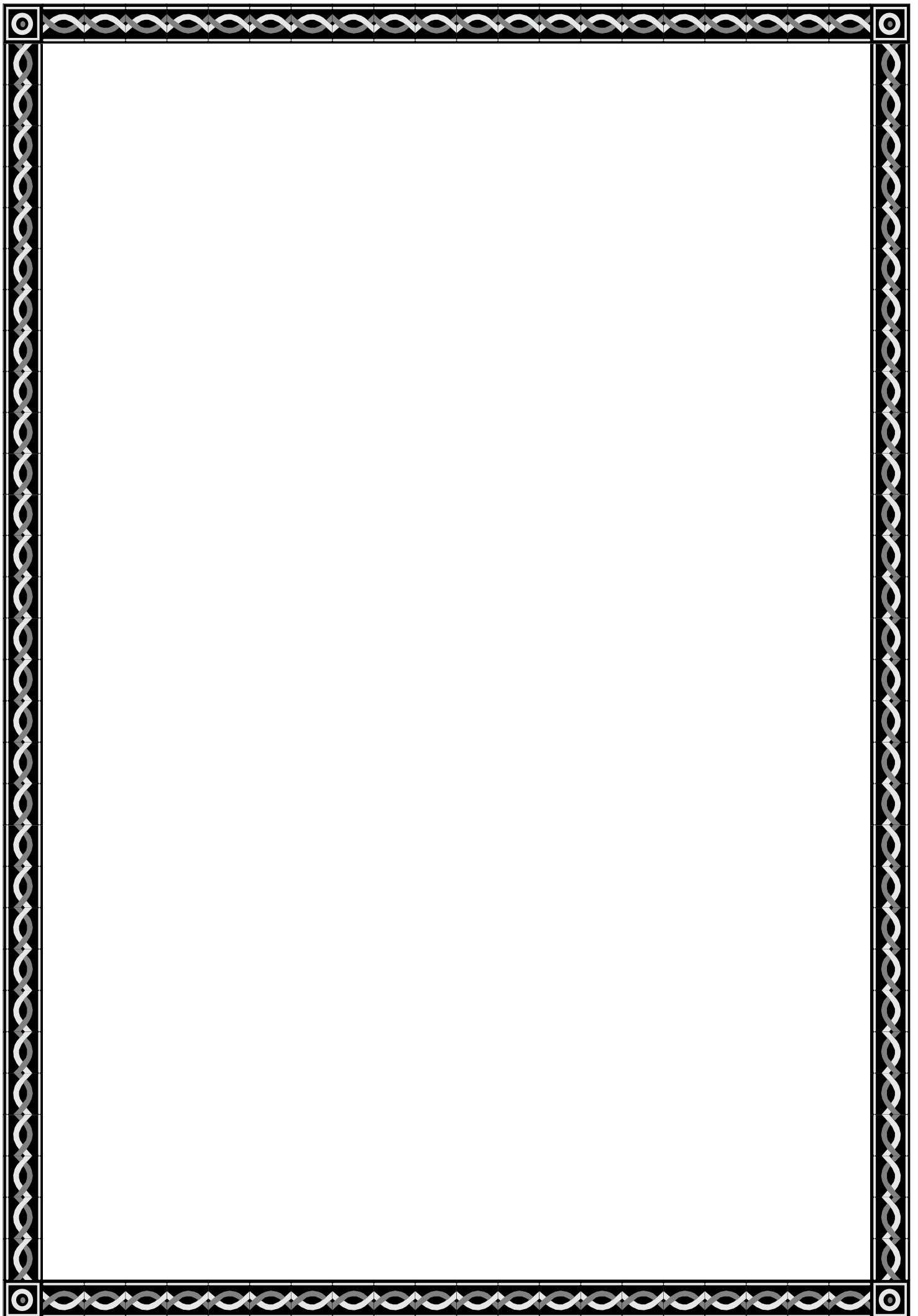
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الْاَنْجُرِ  
سورة الانجور

سورة الانجور، الآية ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
سُورَةُ الْفَجْرِ  
سورة الفجر

سورة الفجر، الآية ١



# الإسلام

إلى نبي الرحمة ورسول الإنسانية  
محمد بن عبد الله 9 ودخل مع سار  
على زهبة  
ولم يه إلى يوم القيمة  
إلى الباطنية عن الحقيقة بفكر نبيه  
وعقله

الإسلام ثمرة جهل التواضع  
الباطنية

اشهد بأن إعداد هذه الرسالة جرى تحت اشرافي في كلية التربية  
( ابن رشد ) جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه  
فلسفة في التاريخ الإسلامي

التوقيع:

المشرف: أ. د. حسين علي محمد الداقوي

التاريخ: / / ٢٠٠٤

بناءً على التوصيات أرشم هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع:

الاسم: أ. د. عبد الحسين الرحيم

رئيس قسم التاريخ

التاريخ: / / ٢٠٠٤

## شكر وتقدير

بعد ان منّ الله تبارك وتعالى علينا بفضلِهِ لإنجاز هذه الدراسة آن لنا ان نتوجه بكلمات الشكر والامتنان لكل من ساهم في هذا العمل ، فابتدأ بأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور حسين علي الداقوي المشرف على الرسالة والذي غمرني بعلمه وخلقه ، فجزاه الله عن خيرا وأطال في عمره وأمدّه بالصحة الدائمة انه نعم المسئول ونعم المجيب .

كما يطيب لي ان أتوجه بالشكر الجزيل لأساتذتي الأجلاء في قسم التاريخ ابتداءً بالأستاذ الدكتور عبد الحسين الرحيم والأستاذ الدكتور خاشع المعاضيدي والأستاذ الدكتور خالد الجنابي والأستاذ المساعد الدكتور طالب العنزي والدكتور محمود اللهبي وفقهم الله لخدمة العلم وطلابه .

ومن الوفاء ان أتذكر في هذه اللحظات عدد من الاخوان والأخوات الذين ساعدوني كثيراً في ترجمة النصوص الأجنبية ومن مختلف اللغات : الإنكليزية والفرنسية والألمانية والتركية إلى اللغة العربية ، ومنهم الدكتور عبد الحسين ريشان والأستاذ هشام من كلية الآداب /جامعة الكوفة ، والست نجاة والست وفاء من كلية اللغات /جامعة بغداد ، والست فاطمة والأخت دينا ، جزاهم الله عن خير الجزاء .

كما لا يفوتني ان أتوجه بالشكر والامتنان إلى كل العاملين في مكتبة كلية الآداب /جامعة الكوفة فرداً فرداً ، والى العاملين في المكتبة المركزية لجامعة بغداد وعلى الخصوص الأخت الفاضلة آلاء ، والى العاملين في مكتبات أمير المؤمنين والحكيم في النجف الاشرف سائلاً المولى القدير ان يوفقهم لكل ما هو خير .

ويعد فمن الطبيعي ان يقف وراء انجاز هذه الدراسة أناس كثيرون يضيق المقام بذكر الأسماء ، فإلى كل هؤلاء أتوجه بشكري وامتناني وتقديري جزاهم الله عن خير الجزاء .

## قائمة المحتويات

الصفحة	الموضوع
٦ . ١	المقدمة
٣٨ . ٧	الفصل الأول : التطور التاريخي لعلاقة الاستشراق بالقرآن الكريم
١٤ . ٨	المبحث الأول: نشوء العلاقة بين الغرب والشرق
٩ . ٨	نظرة الغرب للشرق قديما
١١ . ٩	بداية الاتصال الثقافي الغربي بالإسلام
١٣ . ١١	موقف الكنيسة المسيحية ( الكاثوليكية ) من الإسلام
١٤ . ١٣	كيف تعرف الغرب على الإسلام
٣٨ . ١٤	المبحث الثاني: المستشرقون ودراسة القرآن الكريم
١٨ . ١٤	بداية العمل الاستشراقي
٢٢ . ١٨	الترجمة الأولى للقرآن الكريم
٢٩ . ٢٢	التوجه الاستشراقي في دراسة القرآن الكريم
٣٨ . ٢٩	دوافع المستشرقين لدراسة القرآن الكريم
٣٤ . ٣٠	أولاً: الدافع الديني لدراسة القرآن الكريم
٣٦ . ٣٤	ثانياً: الدافع الاستعماري لدراسة القرآن الكريم
٣٨ . ٣٧	ثالثاً: الدافع العلمي لدراسة القرآن الكريم
١٠٨ . ٣٩	الفصل الثاني: تنزيل القرآن الكريم في المنظور الاستشراقي
٥٥ . ٤٠	المبحث الأول: الوحي المحمدي في المنظور الاستشراقي
٤١ . ٤٠	الوحي كمفهوم
٤٥ . ٤١	صور الوحي المحمدي
٥٢ . ٤٥	رؤية المستشرقين للوحي المحمدي
٤٧ . ٤٦	أولاً: الوحي المحمدي بمعنى نويات من الصرع
٥٠ . ٤٨	ثانياً: الوحي المحمدي بمعنى الحدس، الهوس، الأوهام، الخداع



٥٢ . ٥١	ثالثاً: الرؤية الاستشراقية الأخيرة للوحي المحمدي
٥٥ . ٥٢	الأدلة الإسلامية على كون الوحي المحمدي إلهي لا بشري
٨٨ . ٥٦	المبحث الثاني: نزول القرآن وأهمية التتابع الزمني لنزول سوره عندالمستشرقين
٥٧ . ٥٦	نزول القرآن الكريم
٥٩ . ٥٧	الحكمة من تعدد النزول
٦٠ . ٥٩	التتابع الزمني للسور القرآنية عند المستشرقين
٧٧ . ٦٠	أولاً: محاولة تيودور نولدكه في إعادة ترتيب سور القرآن
٦٥ . ٦١	أ: سور المرحلة الأولى
٦٨ . ٦٦	ب: سور المرحلة الثانية
٧٢ . ٦٩	ج: سور المرحلة الثالثة
٧٧ . ٧٢	د: سور المرحلة الرابعة (السور المدنية )
٨٥ . ٧٩	ثانياً: محاولة ادوارد سيل في إعادة ترتيب سور القرآن
٨٥ . ٧٩	أ: السور المكية عند سيل
٨٨ . ٨٥	ب: السور المدنية عند سيل
٩٠ . ٨٨	تقييم الباحث لمحاولات المستشرقين في إعادة ترتيب النص القرآني
٩٥ . ٩٠	المبحث الثالث: النص القصصي القرآني في المنظور الاستشراقي
٩٨ . ٩٥	طبيعة العلاقة بين النص القصصي القرآني بكتب العهدين
١٠٦ . ٩٨	جزء من قصة يوسف B بين النصين القرآني والتوراتي
١٠٨ . ١٠٧	الغرض من القصة القرآنية
١٥٣ . ١٠٩	الفصل الثالث: تدوين القرآن الكريم وجمعه في عهدي النبوة والراشدة في المنظور الاستشراقي
١٤١ . ١١٠	المبحث الأول: تدوين القرآن وجمعه في عهد النبي 9
١١٢ . ١١٠	لفظة القرآن
١١٤ . ١١٢	لفظة القرآن عند المستشرقين

١١٨ - ١١٤	حقيقة أمية النبي 9
١٢١ - ١١٨	كتابة القرآن الكريم على عهد النبي 9
١٢٥ - ١٢١	المواد المستخدمة في تدوين القرآن
١٣١ - ١٢٥	الحرص المحمدي على تدوين النص القرآني
١٣٣ - ١٣١	كتابة الوحي
١٣٨ - ١٣٣	النبي محمد 9 وجمع القرآن
١٤١ - ١٣٨	جامعي القرآن على عهد النبي 9
١٥٢ - ١٤١	المبحث الثاني: جمع القرآن بعد وفاة النبي 9
١٤٤ - ١٤١	روايات جمع القرآن بعد وفاة النبي 9
١٤٩ - ١٤٤	المستشرقون وروايات الجمع
١٥٣ - ١٤٩	آلية عمل زيد ومنهجه في جمع القرآن
١٨٦ - ١٥٣	الفصل الرابع: طعون المستشرقين بالنص القرآني
١٥٧ - ١٥٥	الخليفة عثمان بن عفان وتوحيد المصاحف
١٦٤ - ١٥٧	المستشرقون وإجراءات الخليفة عثمان بنسخ المصحف الامام
١٧٥ - ١٦٤	الآيات والسور التي اثار المستشرقون حولها الشبهات
١٨٦ - ١٧٥	الرد على مزاعم المستشرقين
١٩٣ - ١٨٨	الخاتمة
٢١٠ - ١٩٥	قائمة المصادر
	ملخص الأطروحة باللغة الإنكليزية



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين وعلى خاتمهم الرسول الأمين محمد بن عبد الله وآل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين ممن تمسك بالدين وبعد ...

فأن الله عز وجل أرسل نبيه محمد 9 بالهدى والحق ، وأنزل عليه القرآن ليكون الحجة على خلقه ، وليكون نورا منيرا لهم ، وليكون الحافظ لدينهم. وكما كتب سبحانه وتعالى لدين الإسلام ان يكون آخر الأديان وخاتمها ، فقد كتب للقرآن ان يكون آخر الكتب وخاتمها . ولهذا تعهد وتكفل بحفظه وصونه من الضياع حيث قال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَرْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

منذ أكثر من ثمان سنوات وأنا ابحت في دراسات ورؤى المستشرقين ، أحاول الإطلاع على نظرتهم للإسلام ، للدين الإسلامي ، للقرآن ، ولنبي الإسلام 9 ، وأحاول ان احدد التطورات الايجابية التي جرت على نطاق فكرهم حول الإسلام ، وقد لاحظت ان أكثر ما يركز فيه هؤلاء المستشرقين من الموضوعات الإسلامية ، هما موضوعي القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة ، وكان لي شرف تناول الموضوع الأول في رسالة الماجستير تحت عنوان (تطور الاستشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية الشريفة) .

ولقد أدركت تماما ما يمثله القرآن ، الكريم كتاب المسلمين الأول من أهمية كبيرة عند المستشرقين ، وأدركت أيضاً بحثهم وتقصيهم حول جميع الروايات الإسلامية المتعلقة بموضوع القرآن ، سواء أكانت تلك الروايات ضعيفة عند المسلمين أم قوية ، فوجدت ان ما أهمله المسلمون في دراساتهم وبحوثهم تحت حجة حساسية الموضوع ، كان بمثابة الأرض الخصبة التي لم تزرع بعد ، انهال عليها عدد من المستشرقين بالبحث والدراسة والتحليل ، فراح البعض منهم يعلن عن توصله إلى ما عبر عنها بأنها نظريات في إعادة ترتيب النص القرآني ، وراح



البعض الآخر يوظف ما حصل عليه من روايات إسلامية ولو كانت ضعيفة ليقول على اثر ذلك بأن القرآن هو كتاب محرف .

من هنا تولد لدينا الدافع لدراسة هذا الموضوع ، ولأن المستشرقين قد تناولوا القرآن الكريم من جوانب عدة ، لغوية وتاريخية وتفسيرية ، فقد ارتأينا ان لا نخوض إلا بما يتعلق بالجانب التاريخي للقرآن ، كون الموضوع واسع لا يمكن لدراسة أكاديمية واحدة ان تفي بكل جوانبه . وقد جاء عنوان الأطروحة بالشكل التالي (دراسات المستشرقين عن القرآن الكريم . دراسة في تاريخ القرآن نزوله وتدوينه وجمعه) .

ان الغاية من دراسة رؤى المستشرقين وبيانها بما يتعلق بتاريخ القرآن الكريم ، هو لأجل ان نتعرف على حقيقة موقفهم من القرآن وأسباب هذا الموقف ، وأيضا لكي نستطيع ان ندافع عن كتاب الله ، ونبين كونه كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو صادر من حكيم حميد . ولكي نبين ذلك لا بد من ان نكون مطلعين تماما على رؤية المستشرقين والنقاط الجوهرية التي يثيرونها ، والا كيف نستطيع ان نبين للآخرين انه قرآن مجيد محفوظ بأمر العزيز القدير من دون ان نتعرف على نقاط الضعف التي يحددها هؤلاء المستشرقون .

وبناء على عنوان الأطروحة فقد قسمناها إلى أربعة فصول تتبعها خاتمة مع قائمة للمصادر . وقد جاء الفصل الأول تحت عنوان ( التطور التاريخي لعلاقة الاستشراق بالقرآن الكريم ) الذي حاولنا فيه ان نتعرض للجذور الأولى لعلاقة الغرب بالشرق ، من خلال طبيعة نظرة الغرب الأولى للشرق ، ثم الاتصال الأول بين العالمين ، وهو اتصال كان ثقافياً بدون شك قبل ان يكون عسكرياً . أيضاً تناولنا موقف الكنيسة المسيحية ( الكاثوليكية ) من الإسلام المتمثل بالرفض والعداء وتغذية العقلية القروسطية بكل ما من شأنه المساهمة في حرب الدين الإسلامي . ثم بداية العمل الأستشراقي والتوجه نحو ترجمة القرآن الكريم ودراسته مع بيان لأهم



الدراسات المتخصصة بتاريخ القرآن ، والتي مثل كتاب تأريخ القرآن للمستشرق الألماني نولدكة من أهم روادها ، بل الأساس الذي اعتمدت عليه جميع الدراسات الاستشراقية اللاحقة في تأريخ القرآن ، ولم نغفل طبعاً في هذا الفصل ان نبحت في دوافع هؤلاء المستشرقين في دراسة القرآن الكريم .

أما الفصل الثاني والذي حمل عنوان ( تنزِيل القرآن الكريم في المنظور الاستشراقي ) فأول ما أبتدأنا به موضوع الوحي المحمدي والرؤى الاستشراقية التي تناولته ، وحاولنا ان نقف على الرؤية الاستشراقية الأخيرة للوحي المحمدي، مع بيان للأدلة الإسلامية في هذا الموضوع .

بعدها بحثنا في التابع الزمني لنزول القرآن وما مثله هذا من أهمية كبيرة لدى المستشرقين الذين حاول البعض منهم طرح ما عبروا عنها بالنظريات في إعادة ترتيب السور القرآنية مستندين في ذلك إلى أفكار متعددة . وقد أستعرضنا تفصيلاً نظرية المستشرق الألماني تيودور نولدكة والمستشرق الإنكليزي أدوارد سيل ، وقد بحثنا أيضاً ضمن هذا الفصل موضوع النص القصصي القرآني في المنظور الاستشراقي وطبيعة علاقة هذا النص بالنص القصصي التوراتي .

ثم جاء الفصل الثالث تحت عنوان ( تدوين وجمع القرآن الكريم في عهدي النبوة والراشدي في المنظور الاستشراقي ) وحاولنا فيه ان نبحت الحقيقة في دور النبي 9 بتدوين القرآن وجمعه وما هي رؤية المستشرقين له ، وكذلك الحقيقة في دور الخلفاء ، لاسيما الخليفة الأول والخليفة الثاني في عملية جمع القرآن ، وأيضاً رؤية المستشرقين لطبيعة أدوارهم .

ان جمع القرآن من الموضوعات الحساسة ، التي لا تنال في ثنايا المؤلفات الحديثة والمعاصرة الاتفاق التام والرؤية الواحدة ، ولذلك ركز فيه المستشرقون المتخصصون بتاريخ القرآن بشكل كبير . وطرحوا تساؤلات عدة منها ما هو منطقي ومشروع ومنها ما هو غير مقبول ومرفوض بشكل قاطع . وأعتقد ان هذه التساؤلات



على الرغم من كونها لا تمثل حقيقة أعتقادنا كمسلمين ، إلا أنها قد تكون مفيدة في طرق نقاط مهمة من شأنها المساهمة في الوصول إلى الحقيقة التاريخية .

أما الفصل الرابع والأخير فقد حمل عنوان ( طعون المستشرقين بالقرآن الكريم ) الذي حاولنا فيه أستعراض طعون المستشرقين في القرآن الكريم ، والتي تركزت بشكل كبير على دور الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه في جمع وتوحيد المصاحف ، تلك المهمة التي على أثرها نسب المستشرقون لهذا الخليفة القيام بتحريف النص القرآني . وأيضاً تركزت طعونهم في موقف الطائفة الشيعية من النص العثماني للقرآن ، وقد أورد هؤلاء المستشرقون مجموعة من الأشارات الصريحة بالتحريف والتي نسبوها إلى لسان الشيعة . وقد حاولنا في هذا الفصل أيضاً الوقوف على حقيقة هذه الطعون وهل تمثل فعلاً جانباً عقائدياً عند الطائفة الشيعية .

ثم ختمنا الأطروحة بعرض موجز لأهم ما توصلنا إليه من نتائج على ضوء هذه الدراسة ، ثم تبعنا هذه النتائج ببعض التوصيات التي نأمل من زملائنا الباحثين ان ينظروا إليها بعين الأهتمام ، لأن هذه الموضوعات ما زالت تحتاج إلى كثير من البحث والتقصي ، وصولاً إلى الحقيقة التاريخية وخدمةً للمبادئ الحقة التي جاء بها ديننا الإسلامي الحنيف .

ان من أكثر الصعوبات التي يواجهها الباحث في هكذا دراسات ، هي تعدد لغات المستشرقين ، فلكي تطلع بشكل واضح على رؤى المستشرقين لابد ان تترجم مؤلفاتهم . وتكمن الصعوبة في ان مؤلفات هؤلاء هي بلغات متعددة .

اما بشأن مصادر هذه الدراسة ، فقد أعتمد الباحث على مجموعة كبيرة ومتنوعة من المصادر العربية والأجنبية المتخصصة بموضوع الدراسة . ففي ما يتعلق بالمصادر الأجنبية تقصى الباحث عن مؤلفات المستشرقين الخاصة بتاريخ القرآن ، واستطاع الوصول إلى مجموعة مهمة من تلك المؤلفات يقوم على رأسها



كتاب ( تأريخ القرآن ) للمستشرق الألماني تيودور نولدكه وهو كتاب بثلاث أجزاء كان ولا يزال يمثل أساس الدراسات الاستشراقية في هذا التخصص ، وكتاب ( التطور التاريخي للقرآن ) للمستشرق الإنكليزي أدوارد سيل ، وكتب المستشرق الفرنسي بلاشير (القرآن نزوله ، تدوينه ، ترجمته وتأثيره ) ، ( المدخل إلى القرآن ) ، بالإضافة إلى دراسات المستشرق الأمريكي آرثر جفري المتخصص في هذا المجال والذي خرجت على يديه مخطوطات مهمة ككتاب المصاحف وغيرها ، أضف إلى هؤلاء المستشرق جون جلكرايست صاحب كتاب ( جمع القرآن ) وهو من المتخصصين البارزين في هذا الموضوع ويمثل وجهة نظر الاستشراق المعاصر ، كونه صاحب أحدث مؤلفات استشراقية رجع إليها الباحث .

ويضاف إلى مؤلفات هؤلاء المستشرقين ، اعتمادنا على مؤلفات آخرين غيرهم أمثال ( جولد تسهر ، وليم ميور ، مونتجمري وات ، هاملتون جب ، وغيرهم ) ، فضلا عن دوائر المعارف التي تكتب أساساً بأقلام أعلام المستشرقين كدائرة المعارف البريطانية ، ودائرة معارف الأديان ، ودائرة المعارف الإسلامية ، والموسوعة الإسلامية الميسرة .

واعتقد ان هذا القدر من الدراسات الاستشراقية قد وفر للباحث رؤية واضحة لطبيعة الموقف الاستشراقي من موضوع تاريخ القرآن .

كما ان الباحث قد اعتمد على مصادر عربية مهمة ، يقف في المقدمة منها كتاب الله المجيد ( القرآن الكريم ) ، والكتاب المقدس ( التوراة ) ، فضلا عن كتب الحديث و التفسير القرآني وكتب السيرة والتاريخ، ودراسات عربية حديثة احتوت معلومات وتفسيرات قيمة أفادت الباحث كثيرا ، ولا سيما تلك الدراسات التي حملت عنوان ( تاريخ القرآن ) لأبي عبد الله الزنجاني ، والدكتور محمد حسين علي الصغير ، والدكتور عبد الصبور شاهين ، ومحمد صبيح ، وخالد عبد الرحمن العك .



هذا وبعد ... فإن هذه الدراسة المتواضعة ما هي إلا محاولة لتتبع الرأي الغربي بكتاب الله تبارك وتعالى ، والوقوف على أهم النقاط التي يثيرها الغرب ، بغية دفع طعون المستشرقين في النص القرآني من خلال التعرف إلى نقاط اعتراضهم بدقة ومناقشتها بأسلوب علمي مستند إلى الأدلة العقلية والأدلة النقلية الدالة على ان القرآن الكريم هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه .

ولا يسعني في هذا المقام ، وبعد إنجاز هذا العمل ، إلا ان اسأل الله جلت قدرته وعلا شأنه ، ان يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، وان ينفعني به يوم الدين ، يوم يقوم الناس بين يدي رب العالمين ﴿ ... ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولنا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ .



# الفصل الأول

## التطور التاريخي لعلاقة الاستشراق بالقرآن الكريم

- نظرة الغرب للشرق قديما
- بداية الاتصال الثقافي الغربي بالإسلام
- موقف الكنيسة المسيحية (الكاثوليكية) من الإسلام
- كيف تعرف الغرب على الإسلام
- بداية العمل الاستشراقي
- الترجمة الأولى للقرآن الكريم
- التوجه الاستشراقي لدراسة تاريخ القرآن
- دوافع المستشرقين لدراسة القرآن الكريم



## نظرة الغرب للشرق قديماً

ان كلمة(الشرق) رغم كثرة استعمالها منذ إلفي سنة على الأقل ، ليس لها مفهوم واضح ، محدد وثابت ، وهي لا تدل إلا على الجهة التي تشرق منها الشمس ، فكل بقعة من الأرض هي شرق وغرب في وقت واحد حسبما يكون موقع الشخص الذي يتحدث عن هذه البقعة .

ويبدو ان (هيرودوت) كان يدرك مفهومي الشرق والغرب ، ففي كتاباته أطلق مفهوم الشرق على منطقة آسيا، ومفهوم الغرب على منطقة أوروبا . وعلى ما يبدو ان هذا الإدراك جاء متأثراً بالحرب ( الفارسية - اليونانية ) ، التي تركت تأثيراً عميقاً على اليونانيين ، فجعلتهم ينظرون بأهمية بالغة إلى الرقعة الجغرافية الواقعة شرق بلادهم ويعبرون عنها بمفهوم الشرق (١) .

وفي عهد الرومان ، عندما كانت مدينة روما تمثل المركز الأهم في العالم الغربي ، عُني بمفهوم ( الشرق ) البلاد الواقعة شرق إيطاليا ، وتجلّى هذا الفهم بشكل واضح بعد انقسام الإمبراطورية الرومانية عام (٣٩٥م) إلى الإمبراطورية الغربية و الإمبراطورية الشرقية ، وتبعه الخلاف المذهبي بين البابوية في روما وبين البطريركية في القسطنطينية أدى إلى قيام الكنيسة الشرقية ( الأرثوذكسية ) إلى جانب الكنيسة الغربية ( الكاثوليكية ) (٢) .

ثم تطور الفهم الغربي للشرق ، ليصبح بعد ظهور الإسلام وتوسع دولة المسلمين ، يطلق عموماً على البلاد الإسلامية . وأثناء الحروب الصليبية أصبح الدين الإسلامي رمزاً للشرق وأوروبا المسيحية رمزاً للغرب . وهنا لابد من الاعتراف ، بأن نظرة العالم الغربي للشرق رغم قدمها ، ما هي إلا مزيجاً من الشعور بالخوف وعدم الاطمئنان من الشرق ، وبأنه الآخر الذي لابد من التغلب والتفوق عليه .

(١) ينظر : محمد كامل عياد ، " صفحات من تاريخ الاستشراق " ، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العربي السوري ، ( سوريا - ١٩٦٥ ) ، مج ٤٠ ، ج ١ ، ص ١٦٢ .  
(٢) المصدر نفس ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .



ونتيجةً لهذا الشعور الذي ترسخ في أذهان الغرب بفعل عوامل تعددت على إمتداد العصور الطويلة لهذه العلاقة ، نظر الغرب للشرق نظرة عداء وتعالى لم تستطع إزالتها من الذهنية الغربية حتى الأقاليم المنصفة والمؤثرة بالقارئ الغربي ، وكأن هذا الشعور أضحى شعوراً مكتسباً عند الغرب ، كما يكتسب الوليد بالفطرة فن الرضاعة من صدر أمه .

### بداية الاتصال الثقافي الغربي بالإسلام

يقول المستشرق الإنكليزي برنارد لويس (١) : " ان العرب وبعد ان فتحوا شمال أفريقيا ، ساروا بانتصاراتهم إلى أوروبا واستعمروا إقليمين هامين ( أسبانيا و صقلية ) مدةً طويلة ، وأسسوا فيهما مدنية زاهرة أرقى بكثير من أية مدنية معاصرة لها آنذاك في البلاد المسيحية " . إذن المدنية العربية التي أُقيمت في أسبانيا و صقلية والتي سبقت قيام الحملات الصليبية ، كانت بداية الأتصال الغربي ثقافياً بالإسلام . ذلك ان العالمين ( الشرقي المسلم والغربي المسيحي ) لم يكونا بمستوى واحد من النهوض و الازدهار الفكري ، إذ خيمت الظلال القاتمة والدياجير المظلمة على حياة الغرب ، على العكس تماماً مما كان يمر به العالم الإسلامي ولذلك توجه طلاب العلم المسيحيون من بلادهم قاصدين الأندلس الإسلامية حيث مراكز العلم ، فانكبوا على تعلم العربية على يد المعلمين المسلمين، حتى صارت العربية هدفاً لكل طالب علم غربي ، وكان المسيحيون الذين تعلموا العربية يحظون بالاهتمام والتقدير بين أقرانهم (٢) . وقد عرّف أحد المستشرقين عن فضل وأهمية هذه اللغة بالنسبة لهم قائلاً : " في القسم الأول من القرن السابع أذهب العرب حماسةً بدين جديد ويهرهم أمل الفتح في سبيل الله فأنقذوا من جزيرتهم المالحة الجذباء وانتشروا من أسبانيا إلى الهند وما وراءها . وقد حملوا معهم لغةً قدر لها ان تصبح أداة أدب عظيم ، لغةً

(١) برنارد لويس ، تاريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية ، ط ٢ ، (بيروت - لا . ت ) ، ص ٣ - ٤ .  
(٢) المصدر نفسه ، ص ٤ .



كان من فخارها إنها صارت الواسطة التي نُقل بها أرسطو و جالينوس اللذين كانا قد آلا إلى النسيان ، نُقلا بها على قرون متعددة حتى استكشفا من جديد في لغتهما الأصلية <sup>(١)</sup> .

ان اتصال الغرب بعلوم المسلمين ، جعلهم يتعرفون على مؤلفات يونانية ورومانية قديمة لاسيما في مجال الفلسفة ، قام العلماء المسلمون بنقلها إلى العربية والإضافة عليها . وبذلك عثروا على جزء مهم من حضارتهم كان العرب قد حافظوا عليه من الضياع . وهذا الأمر كان دافعاً آخراً ومهماً لمواصلتهم الاتصال والتعلم في مراكز العلم العربية .

وبينما كان بعض طلاب الغرب يتعلمون العربية ، كانوا ينقلون ما تعلموه إلى اللغة اللاتينية التي لم تكن آنذاك أداة الطقوس الكنيسية فحسب ، بل كانت أداة العلم ووسيلة التخاطب بين المثقفين في عموم أوروبا <sup>(٢)</sup> . وسرعان ما تأسست مراكز مهمة للترجمة من العربية إلى اللاتينية ، كان من أبرزها مجعاً للمترجمين في مدينة طليطلة التي كانت من أكبر مراكز العلم عند العرب المسلمين في الأندلس، وكان هذا المجمع قد تأسس على يد رئيس أساقفة طليطلة ريموند (Raymond) في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ، فعهد ريموند برئاسته إلى شخص يدعى دومنيك كونديسالفي (Gondisalvi Dominic) وأسند إليه مهمة إعداد ترجمات لاتينية لأهم الكتب العربية في الفلسفة والعلوم وكانت الطريقة المتبعة في هذا المجمع ، بل والطريقة السائدة في العصور الوسطى ، هي الاستفادة من خدمات المترجم الذي كان يضع الكلمة اللاتينية فوق الكلمة العربية التي في الأصل ، وفي آخر مرحلة يراجع كبير المترجمين النص اللاتيني الذي كان يحمل أسم

<sup>(١)</sup> rberry ,A.J , British Orient lists , ( London – 1946 ) , P.12.

<sup>(٢)</sup> اوليري دي لاسي ، الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، ترجمة إسماعيل البيطار ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت - ١٩٧٢) ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .



مراجعة<sup>(١)</sup> . ومن أسبانيا انتقلت حركة الترجمة هذه إلى إيطاليا حيث استمرت حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادي<sup>(٢)</sup> .

وعلى ما يبدو ان عملية التعلم على يد المسلمين والترجمة من كتبهم ، كانت قد بدأت عملية فردية غير منظمة خاضعة لرغبة كل فرد وإمكاناته ورغبته في التعلم ، ثم تطورت إلى عملية منظمة تساهم فيها الدول الأوربية ورجال الكنيسة ، تمثل ذلك في إرسال البعثات العلمية إلى الأندلس الإسلامية لدراسة العلوم والفنون والصناعات في معاهدها الكبرى ، كالبعثة الفرنسية برئاسة الأميرة إليزابيث ابنة خالة لويس السادس عشر ملك فرنسا ، والبعثة الإنكليزية ترأستها الأميرة دويان ابنة الأمير جورج صاحب مقاطعة ويلز ، والبعثة الأسبانية التي جمعت الطلاب من مقاطعات سفوا والبافر وساكسونيا والراين ، وقد بلغ عدد أفرادها سبعمائة طالب وطالبة . وتوالت البعثات على الأندلس من إنكلترا وفرنسا وإيطاليا ومناطق أخرى من أوروبا وامتألت بهم معاهد غرناطة واشبيلية<sup>(٣)</sup> .

### موقف الكنيسة المسيحية ( الكاثوليكية ) من الإسلام

لقد تمتعت الكنيسة<sup>(٤)</sup> المسيحية بسلطة كبيرة وواسعة على الفكر والثقافة داخل المجتمع الأوربي خلال العصور الوسطى ، وكانت الكنيسة أكبر بكثير من أية دولة في الغرب لا تسمح بأن تتدخل قوة في شؤونها وكانت هي القابضة على زمام

(١) اوليري دي لاسي ، الفكر العربي ، ص ٢٣٤ .

(٢) محمد كامل عياد ، صفحات من تاريخ الاستشراق ، ص ١٦٦ .

(٣) علي حسني الخربوطلي ، المستشرقون و التاريخ الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٢ ، ( القاهرة - ١٩٨٨ ) ، ص ٢٩ .

(٤) كان نشوء الكنيسة المسيحية في الأيام الأخيرة من حياة الإمبراطورية الرومانية ، بعد أن امتدت رسالة المسيح ( عليه السلام ) إلى أوروبا واصطدمت بالمعتقد الروماني القديم " المعتقد الوثني " ، فقامت بعد ذلك الكنيسة المسيحية التي قاست ألم الأضطهاد حيناً من الزمن ، وتمكنت في أوائل القرن الرابع الميلادي من ضم الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحية فانتشرت في عموم أوروبا ينظر : *A History of the painter , middle ages , ( New york – 1954 ),pp . 11-20* .

ينظر كذلك : سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٩ ، ( القاهرة - ١٩٨٣ ) ج ١ ، ص ص ٤٧-٦٩ ؛ علي حيدر سليمان ، تاريخ الحضارة الأوربية ، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع ، ( بغداد - ١٩٩٠ ) ، ص ٢٥ .



التعليم والفكر يومذاك ، تضطهد كل من يخالفها في معتقدها أشد الاضطهاد ، لاسيما بعد ان أصبح السلطان والسلطة لها في عموم أوروبا (١) .

فلما أقبل المسيحيون على دراسة اللغة العربية وعلوم المسلمين بشغف كبير ، ظهرت علامات الخوف والفرع على علماء ورجال الدين المسيحيين وقد تبين هذا الأمر من خلال قول أحد الأساقفة لمعاصريه : " ن كثيراً من المسيحيين يقرؤون الشعر العربي والقصص العربية ويدرسون فلسفة المسلمين وفقهم لا لدحضها بل لإتقان العربية والتعبير بها ببلاغة وعذوبة ، ولكنك لا تكاد تجد من يقرأ باللغة اللاتينية الكتب المقدسة أو من يدرس الإنجيل والأنبياء والرسل ... ان الشباب المسيحيين الأذكيا لا يعرفون سوى اللغة العربية وآدابها ويقولون بملء أصواتهم على مسمع من الكل ان هذه الآداب تستحق الإعجاب " (٢) .

لقد بدأ خوف الكنيسة من اهتمام أبناءها بالعربية والعلوم الإسلامية يزداد ، وكان هذا الخوف أولى بذرات العداء المسيحي للإسلام ، هذا العداء الذي قُدِر له ان يكون عداءً تاريخياً متواصلاً غير منتهي حتى يومنا هذا .

ونتيجةً لهذا الخوف والعداء ، فقد تبنت الكنيسة سياسة صارمة متشددة ، اتخذت من محاربة الإسلام وإضعافه شعاراً لها ، ووضعت كل إمكانياتها وطاقاتها في سبيل تحقيق هذا الهدف . فقد عملت على إبقاء المواطن الأوربي جاهلاً بحقيقة الدين الإسلامي ، بعد ما كانت تسيطر وتوجه كل معلومة تصل إلى أوروبا وتتحكم بالحركة الفكرية في المجتمع ، وأفضل من وصف هذا الجهل المستشرق ساوثرن ( Southern ) (٣) عندما قال : " إذا ما نظرنا إلى الجهل المرتبط بالمكان المغلق ، هذا هو نوع الجهل لرجل في سجن يسمع الشائعات عن أحداث خارجية ويحاول ان

(١) علي حيدر سليمان ، تاريخ الحضارة الأوربية ، ص ص ٢٤ - ٢٨ .

(٢) لمزيد من التفاصيل ينظر : إسحاق موسى الحسيني ، الاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه ، (بيروت - ١٩٦٧) ، ص ٣ ؛ كراتشوفسكي ، دراسات في تاريخ الأدب العربي ، ط ٢ ، (موسكو - ١٩٦٥) ، ص ٥٩ .

(٣) Southern , R.W, Western Views of Islam in the middle Ages ,

( Har vared - 1962 ) , P. 14 .



يشكل ما يسمعهُ بمساعدة أفكاره السابقة . الكتاب الغربيون قبل ( ١١٠٠ م ) كانوا في هذا الوضع بما يخص الإسلام ، لم يعرفوا شيئاً عن دين الإسلام ، كان الإسلام بالنسبة لهم واحداً من عدد كبير من الأعداء الذين يهددون الدولة المسيحية من كل اتجاه " .

وبالوقت نفسه توجهت أقلام بعض رجالها المتعصبين لتشويه صورة الإسلام الحقيقية ، و بدأوا يروجون لفكرة ان دور الإسلام هو الظهور والدعوة ضد المسيح B ، نقا للإسلام أثراً مدمراً للأخلاق يمكن ملاحظته لو وضع جنباً إلى جنب مع الأخلاق المسيحية (١) .

هذا الموقف المتعصب ، قد تشكل كما أسلفنا نتيجة القلق والخوف من انتشار الإسلام في أوروبا ، ف شعر البعض من رجال الدين ان من واجبهم أن يوقظوا إخوانهم إلى الخطر الداهم ، وهكذا لم يكن من الصعب عليهم ان يجدوا في الإسلام ومؤسسه أثار مؤامرة مدبرة ضد المسيحية(٢) .

### كيف تعرّف الغرب على الإسلام

ان هم الطرق التي تعرف من خلالها الغرب على الإسلام ، هي إتصاله بالاندلس والتعلم في مدارسها العربية والاختلاط بمعلميها وطلابها المسلمين ، وقد تعرضنا لهذا الموضوع ، وذكرنا ان هذا الأهتمام كان يزعج ويفزع الكنيسة المسيحية في أوروبا . ثم قامت الحملات الصليبية ، وحصل الأحتكاك المباشر بين الصليبيين والمسلمين ، هذا الأحتكاك الذي استمر قرابة قرنين من الزمن ، تخللتها فترات للحرب وأخرى للسلم ، ومما لاشك فيه ان هذا الاحتكاك أدى إلى تعرف الغرب أكثر على

Southern , Western views of islam,P.22.

(١)

Ibid , P.25.

(٢)



الإسلام ، لا بل والتأثر بعبادات وتقاليد وحياة المجتمع الشرقي المسلم <sup>(١)</sup> . ولكن هذه المعرفة لسوء الحظ لم تكن في ظروف إيجابية ، بل في ظل حروب وتنافس شديد بين احتلال صليبي وتحرير إسلامي ، ومن الطبيعي ان تكون الرؤية المسيحية في ظل هكذا اجواء مليئة بالحقد والكراهية ، لا سيما وان رجال الدين كانوا يساهمون بشكل كبير في تغذية هذا التيار المعادي .

وعلى ما يبدو ان بيزنطة أو المصادر البيزنطية قد ساهمت في نقل معلومات غير صحيحة عن الإسلام إلى غرب أوروبا ، جاء ذلك نتيجةً لنظرة العداء البيزنطي للإسلام ، والتي تشكلت بعد ان انتزع المسلمين من الدولة البيزنطية ( أي الدولة الرومانية الشرقية ) بعض المدن والأراضي المهمة ، كما ان عقيدة الإسلام التوحيدية تعارض عقيدة البيزنطيين التي تدعو إلى التثليث . ولهذا عدَّ البيزنطيون الإسلام خطراً يهددهم ، فتوجهوا إلى تجريح عقيدته ونقل صورة غير صادقة عنه إلى غرب أوروبا <sup>(٢)</sup> .

### بداية العمل الاستشراقي

بدايةً لا بد من تعريف دقيق يوضح مفهوم الاستشراق ، هذا المفهوم الذي تعددت وتنوعت عبارات المفكرين والكتاب في أبراز معناه <sup>(٣)</sup> . فالأستشراق هو التخصص في دراسة الشرق سواء أكانت الدراسة تتعلق بعلوم أم فنون أو تراث أو

<sup>(١)</sup> للتفصيل عن الحملات الصليبية وتأثر الصليبيين بالشرق الإسلامي ينظر : ستيفن رنسيمن ، تأريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، ( بيروت - ١٩٦٧ ) ، ج ١ ، ص ٨٨ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .

<sup>(٢)</sup> ينظر : صلاح الدين خودا بخش ، الحضارة الإسلامية ، ترجمة علي حسني الخربوطلي ، ( بيروت - ١٩٧١ ) ، ص ٣٩ ؛ كذلك : Southern , Western Views of Islam , P.29.

<sup>(٣)</sup> للإطلاع على هذه التعاريف ينظر : رودى بارت ، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ترجمة مصطفى ماهر ، ( القاهرة - ١٩٦٧ ) ، ص ١١ ؛ عمر فروخ ، المستشرقون مالهم وما عليهم ، مجلة الاستشراق ، ( العراق - ١٩٨٧ ) ، العدد الأول ، ص ٥٤ ؛ محمد فتح الله الزيايدي ، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، ( ليبيا - ١٩٨٣ ) ، ص ٥٥ ؛ سالم حميش ، الأستشراق بين أفق انسداده ، ( الرباط - ١٩٩١ ) ، ص ٩٣ - ٩٦ ؛ عبد المنعم محمد حسنين ، الأستشراق وجهوده واهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ( المدينة المنورة - ١٩٧٧ ) ، العدد الثاني ، ص ٨٠ ؛ مالك بن نبي ، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ( القاهرة - ١٩٧٠ ) ، ص ٢٥ ؛ محمد غلاب ، نظرات أستشراقية في الإسلام ، ( القاهرة - ل . ت ) ، ص ٨ .





تأريخ أو ديانة أو عادات المجتمع الشرقي ، مع ضرورة توفر أداة الدراسة وهي ( إتقان اللغات الشرقية ) . ومع ان هذا التعريف لا ينطبق تماماً على كل من مارس العمل الاستشراقي في العصور الوسطى ، إذ افتقر العديد منهم إلى ذلك التخصص العلمي أو تلك اللغات الشرقية .

ومن الصعب جداً تحديد تأريخ معين لبداية العمل الأستشراقي ، ولكن بإمكاننا الاعتماد على مجموعة من المعطيات للوصول إلى الفترة الزمنية التي فيها بدأ العمل الاستشراقي . ومن تلك المعطيات :

أولاً : ان المؤلفات الأستشراقية الأولى التي وصلت إلينا ، أو إشارات المصادر الحديثة لها ، غلب عليها الطابع العدائي الحاقدي على الإسلام ونبيه الكريم محمد (1)9 . واعتقد ان هذه الدرجة من العدائية ما كانت لتظهر بهذا المستوى لو ان هذه المؤلفات كتبت في ظل الظروف الطبيعية . وعليه فلا بد من القول انها كتبت خلال حملات الصليبيين على الشرق الإسلامي وفي ظل احتدام الصراع المسيحي - الإسلامي ، حيث النظرة العدائية المسيحية للإسلام .

ثانياً : سبق قيام الحروب الصليبية ، ان ظهر ومنذ القرن الثامن الميلادي توجه مسيحي نحو بلاد الأندلس الإسلامية للدراسة والتعلم على يد المعلمين المسلمين ، وكان من ثمار هذا التوجه ان أعجب الطالب المسيحي بلغة وعلوم العرب ، ولكننا في عين الوقت لا نجد هذا الإعجاب مسطراً في إحدى المؤلفات الأستشراقية القديمة ، وبالتالي نستطيع القول ، ان العمل الأستشراقي لم يبدأ آلا في ظل ظروف الحروب الصليبية .

(1) ينظر : خودا بخش ، الحضارة الإسلامية ، ص ص ٤٦ - ٤٩ ؛ علي حسني الخربوطلي ، المستشرقون والتأريخ الإسلامي ، ص ص ٥٦ - ٥٨ .



إذن العمل الاستشراقي نشأ في ظل الحروب الصليبية وكان خاضعاً لتوجيه ورقابة رجال الدين المسيحيين . وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية ان القرن الثاني عشر الميلادي شهد ظهور كتب تناولت الإسلام ونبيه الكريم 9 ، حفلت بالاتهامات والشتم ، ومن بين أولى الكتابات ، كانت كتابات بيتر فينير ايبل ( Peter Venerable ) وهو من ابرز رجال الدين المتعصبين ، قام بحملة واسعة لمحاربة الإسلام ، ورأى ان تكون نقطة البداية في هذه الحرب هي القرآن الكريم ، فكانت مؤلفات وأراء بيتر المنبع الذي استقى منه كتاب العصور الوسطى كتاباتهم عن الإسلام (١) .

وممن أساء إلى الإسلام والرسول الكريم 9 من مستشركي العصور الوسطى أيضاً ، جيبيرت أوف نوجنت ( Guibert Of Nogent ) الذي جمع ما كان شائعاً بين مجتمع العصور الوسطى من أساطير وقصص ليؤلف منها نسيجاً واحداً لحياة الرسول 9 ، فكانت مجموعة من الأساطير الوضعية . نطلع على جزء منها لنرى رؤية الغرب للإسلام ونبيه الكريم خلال تلك العصور . فقد زعم جيبيرت في كتاباته هذه : " ان ناسكاً مشكوكاً في عقيدته وأخلاقه حول عبثاً ان يصل إلى منصب بطريك الإسكندرية ، فلما فشلت محاولاته أراد الانتقام من الكنيسة ، ولجأ إلى العزلة واستطاع شيطان ان يتقمص روحه المريضة ونصحه ان يستخدم من اجل تحقيق اغراضه الشريرة شاباً ما لبث ان قدمه إليه ، ولم يكن هذا الشاب سوى محمد . واستطاع الناسك ان يسخر محمداً لتحقيق اغراضه الشريرة وساعده في الزواج من خديجة ، وما لبث محمداً ان أصيب بنوبات من الصرع مما جعل خديجة تشعر بالخوف فأسرعت إلى ذلك الناسك لتجد تفسيراً لمرضه فأكد لها ان ما تظنه نوبة صرع ما هو في الحقيقة إلا صورة لنزول الوحي . وما لبث ان ذاعت شهرة محمد باعتباره نبياً وما لبث هذا الراهب ان اقترح على محمد ان يجعل تعاليمه على شكل

(١) علي حسني الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص ٥٧ .



كتاب سماوي ويعززهُ بمعجزة ، وأمر محمد المؤمنين به ان يصوموا ثلاثة أيام ، ثم أعلن في هدوء أنه سيريهم كيف ينزل الوحي وفجأةً ظهرت بقرة وأنتزعت من بين قرنيها كتاباً منزلاً وركعت البقرة أمام النبي " (١) . ومنذ ذلك الحين كما يقول جيبرت لم يشك أحد في صدق نبوة محمد ، وانتشرت الدعوة الجديدة بين الناس (٢) .

ولسنا بحاجة للرد على مثل هذه الكتابات الساذجة التي ان دلت على شيء ، إنما تدل على تفاهة منشئها وخرافية من يتداولها قبل إدلالها على إهدافها ويواعثها العدوانية ، ناهيك عن اعتراف صاحبها ( جيبرت ) من أنه لم يعتمد مصدراً مكتوباً فيما كتبه عن الرسول محمد 9 ، وإنما اكتفى بما كان شائعاً في الأدب الشعبي القروسي (٣) . هذا الأدب الذي نظر للمسلمين على أنهم وثنيين ، والنبي محمد 9 على أنه ساحراً وشخصاً فاسداً وزعيم شعب فاسد (٤) .

وقد صدق الدكتور عرفان عبد الحميد (٥) في تصوير هذه النظرة بقوله : " وصوروا النبي محمد 9 أبشع تصوير .. بأنه كاردينال منشق على البابوية طمع في كرسيها فلما خابت آماله أدعى النبوة ، وصوروه نصاً وقاتلاً وزير نساء وساحراً ودجالاً وخائناً وفاجراً وشيطاناً وراهبياً يشيع الموت وينشر الدمار وداعية آباحية اتخذ من شيوعية المرأة وسيلة لهدم الكنيسة المسيحية وفضائل الأخلاق " . هذه الصورة المشوهة للإسلام ونبيه الكريم ، تكونت بسبب المعلومات غير الصحيحة التي وصلت إلى أوروبا بوساطة الطرائق الثلاثة التي ذكرناها ، ويتأثير و توجيه

(١) Southern , Western View of Islam , P . 31- 32 .

Ibid , P. 32 .

(٢) ينظر كذلك :

خودا بخش ، الحضارة الإسلامية ، ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) Ibid , P. 31.

(٤) هشام جعيط ، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، (بيروت - ١٩٩٥) ،

ص ١٢ .

(٥) عرفان عبد الحميد فتاح ، المستشرقون في الإسلام ، (بغداد - ١٩٦٩) ، ص ٦ .



الكنيسة المسيحية الكاثوليكية ورجالها المتعصبين في ظل الاعتقاد الأوربي آنذاك بأن الشرق الإسلامي هو العدو الأول للمسيحية والغرب . وفي ظل هذا التشوية كان الأهتمام الغربي بالقرآن الكريم ومحاولة أستكشاف ما فيه ، مهمة على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للكنيسة ، وقد حاول شخص يدعى ( نيكولاس القوسي ) أن يجزء القرآن إلى اجزاء وأعتقد أنه أكتشف ، ان هناك ثلاث خطوط رئيسة قد أدت إلى تشكيل القرآن الكريم :

الأولى: معلومات أخذت عن المسيحية النسطورية .

الثانية : مشاعر ضد المسيحية قدمها أحد المستشارين اليهود لمحمد 9 .

الثالثة : التشويهاات التي حدثت بعد موت محمد 9 على يد المصححين (1) .

وهذه المحاولة التي وصفت ( بالاكشاف ) قد فتحت المجال ليتسع فيما بعد بشكل كبير ، لا سيما ما يخص منها تناول المواضيع التي فصلت الإسلام عن المسيحية(2) .

### الترجمة الأولى للقرآن الكريم

لقد أدرك رجال الدين المسيحيون أهمية القرآن الكريم وضرورة التعرف على ما فيه ، منذ بداية احتكاك العالم الغربي بالإسلام ، ولكن عدم إتقان الغالبية العظمى منهم للعربية ، عطل عليهم هذا القصد حتى جاء بيتر فينير ايبيل ( Peter Venerable ) وهو راهب ولاهوتي فرنسي ، تولى رئاسة دير كلوني في الثلاثين من عمره عام ( 1122 م ) ، وفي رحلته الثانية إلى أسبانيا سنة ( 1141 م ) ، اهتم كثيراً بأحوال المستعربين الكاثوليك القاطنين في أسبانيا ويتكلمون العربية ، وأعتقد بأنه يستطيع ان يقدم خدماته للعالم المسيحي بوساطة ترجمته القرآن الكريم إلى اللاتينية(3) . ومن اجل هذا لجأ إلى مجّع للمترجمين في طليطلة انشأه ( ريموند )

(1) Southern , Western Views of Islam , P. 93 – 94 .

(2) Ibid , P . 94.

(3) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ط 3 ، ( بيروت - 1993 ) ، ص 110 .



اسقف طليطلة . وكلف بهذا العمل الهام بطرس الطليطلي وشخصين آخرين ذوي معارف عامة ، هما هرمن الدلماشى ( Hermann de Dalmatie ) ، والقس الإنكليزي روبرت كنت ( Robert Kennet ) وأشرك معهم شخصاً عربياً مسلماً اسمه " محمد " و لا يعرف له لقب ولا كنية و لا أي أسم آخر ومهمته هي مراجعة الترجمة على النص الأصلي ، وكذلك ان يترجم من العربية إلى الأسبانية الشعبية ، ويتولى الآخرون باقي أعمال الترجمة ، و لا نعرف بالضبط مهمة كل واحد منهم . كذلك أشرك مع هؤلاء الأربعة سكرتيه الخاص ويدعى ( بطرس ) لمراجعة الترجمة في شكلها اللاتيني بعد الانتهاء منها<sup>(١)</sup> .

وهكذا انجزت أول ترجمة للقرآن الكريم في سنة ( ١١٤٣ م )<sup>(٢)</sup> آلا ان هذه الترجمة لم يسمح بالإطلاع عليها إلا لبعض رجال الكنيسة الكاثوليك ، ويبدو ان السبب في هذا الحرص على عدم إطلاع عموم المسيحيين عليها ، هو الخوف من ان يكون ذلك الإطلاع عاملاً من شأنه ان يسهل في التعرف على الإسلام وانتشار هذا الدين بدلاً من ان تخدم هذه الترجمة الهدف الذي سعت إليه الكنيسة اصلاً ، وهو محاربة الإسلام وتشويه صورته فكرياً<sup>(٣)</sup> .

وعلى الرغم من ان هذه الترجمة لم تكن بمستوى عالي من الدقة والجودة ، بل كانت اقرب إلى التلخيص الموسع ، ولم تلتزم بالنص بدقة وحرفية ، ولم تلتزم بترتيب الجملة في الأصل العربي ، وإنما هي تستلخص المعنى العام في اجزاء السورة الواحدة وتُعبر عن هذا بترتيب من عند المترجم ، ورغم هذا العيب العام ، والأخطاء الجزئية في فهم بعض الآيات<sup>(٤)</sup> ، فإن هذه الترجمة ظلت معتمدة لدى الكنيسة

(١) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ١١٠ .

(٢) أبو عبد الله الزنجاني ، تاريخ القرآن ، مطبعة لجنة التأليف ، ( القاهرة - ١٩٣٥ ) ، ص ٦٩ .

(٣) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ( بيروت - ١٩٨٠ ) ، ص ٩٥ .

(٤) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٤٤٢ .



الكاثوليكية مستفيدةً منها في الرد على الإسلام ، وكان بيتر هذا من أوائل أولئك الذين ألفوا الكتب في إطار هذا التوجه، وكان مؤلفه هذا يقع في أربع كتب :

الأول : يبحث في حفظ اليهود والنصارى لكتبهم المقدسة .

الثاني : يبحث في حياة النبي محمد 9 والقرآن للطعن فيهما .

الثالث : يتناول خلو حياة النبي 9 من المعجزات .

الرابع : يستمر في هذه المطاعن وفيما يزعمه في أصولها المبتدعة (١) .

وبقيت مخطوطة الترجمة الأولى ضمن محفوظات دير كلوني ، تحت رقابة الكنيسة التي لم تسمح بطبعها ونشرها على مدى أربع قرون من تأريخ ترجمتها (٢). وقد نشرت لأول مرة في سنة (١٥٤٣ م) بعد ان عثر الطباع ببلياندر ( Bibliander ) على نسخة من المخطوطة في منطقة بازل بـ(سويسرا) ، فبادر إلى طبعتها لتعتمد كأساس للترجمات اللاحقة في عدد من اللغات الأوربية (٣) . ومما ذكر أيضاً أن البابا بولص الثالث قام بحملة لإتلاف النسخ المطبوعة من القرآن ولم يسمح بمعاودة طباعة ترجمة القرآن باللاتينية ، الا في عهد البابا الكسندر السابع (١٥٥٥ . ١٥٦٧ م) (٤) .

ثم توالى الترجمات الكثيرة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر باللغات اللاتينية والفرنسية والإنكليزية (٥) فبالنسبة للترجمات اللاتينية ، كانت الترجمة التي أنجزها مراتشي ( Marracci ) (٦) ونشرت في Padua عام ( ١٦٩٨ م ) هي من أهم الترجمات الأوربية الأولى كونها قد اعتمدت على النص الأصلي العربي للقرآن ، مضافاً إلى ذلك الشروح التفسيرية التي أخذت أيضاً من الكتاب العرب ، كما

(١) عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ١١١ .

(٢) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ص ٩٥ .

(٣) George , sale , the Koran , ( London – 1921 ) , P . ix .

(٤) محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ص ٩٦ .

(٥) Ibid , P.V .

(٦) هو لودوفكو مراتشي ( Ludovico Marracci ) راهب الماني . لمزيد من التفاصيل ينظر : عبد الرحمن

بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٣٥٨ .



صاحب هذه الترجمة مجلد أسماه ( Prodomus ) الذي احتوى على معلومات هامة عن النبي محمد 9 ودين الإسلام<sup>(١)</sup> .

أما الترجمات الأخرى باللغات الأوربية ، فهي ترجمات متعددة وكثيرة<sup>(٢)</sup> ، تقف في مقدمتها ترجمة جورج سيل الإنكليزية للقرآن الكريم ، وهي من أوائل الترجمات الأوربية وأهمها ، فمنذ أن نُشرت لأول مرة في لندن عام ( ١٧٣٤ م ) ، وهي تحظى بانتشار واسع منذ ذلك التاريخ وحتى الآن ، ومما يدل على هذه الأهمية والقبول لدى القارئ الغربي ، أنها طبعت لأكثر من ست وعشرون مرة ، وان الكثير من الطبعات الأوربية قامت على غرارها . ويبدو ان السبب في هذه الشهرة والقبول الواسع راجع إلى الأسلوب الواضح الذي تمتعت به هذه الترجمة في ترجمة الآيات القرآنية الكريمة ، فضلاً عن تزويدها بالتفاسير والملاحظات التوضيحية ، مما جعل منها مادة أساسية عند طالب العلم الإنكليزي والغربي في دراسته التمهيدية للإسلام .

كما أنها قد حفلت بفصل تمهيدي يستعرض تاريخ العرب قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره ، وعن القرآن الكريم وسيرة النبي 9 اعتماداً على كتاب ( المختار من تأريخ العرب ) للمستشرق الإنكليزي ادوارد بوكوك ( E. Pocoke )<sup>(٣)</sup> وصاحب هذه الترجمة الشهيرة هو المستشرق الإنكليزي جورج سيل ( George sale )<sup>(٤)</sup> .

(١) George , sale , the Koran , P . ix .

(٢) للإطلاع على جميع الترجمات الأوربية للقرآن الكريم يمكن مراجعة جدولاً بذلك : ينظر : محمد صالح البنداق ، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ملاحق الكتاب .

(٣) ينظر : المصدر نفسه ، ص ١٦١ ؛ عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٤٤٤ ؛ كذلك ينظر:

George , sale , the Koran , P.1x .

(٤) ولد المستشرق الإنكليزي جورج سيل في لندن عام ( ١٦٩٧ م ) وفيها توفي عام ( ١٧٣٦ م ) ، وكان قد التحق عام ( ١٧٢٠ م ) بجمعية تنمية المعرفة المسيحية ، وفي ( ١٧٢٦ م ) أصبح احد المصححين للترجمة العربية للعهد الجديد ، ثم صار المسؤول عن هذا العمل ، ومما يذكر أنه تعلم العربية على يد اثنين من العرب كانوا قد قدموا إلى بريطانيا آنذاك . ينظر : نجيب عقيقي ، المستشرقون ، ط ٤ ، ( القاهرة - ١٩٤٦ ) ، ج ٢ ، ص ٤٧ ؛ عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص ٣٥٨ .



## التوجه الاستشراقي لدراسة تأريخ القرآن

لقد أدى النشاط الاستشراقي المتمثل بترجمة القرآن الكريم للغات الأوروبية ، إلى تعريف الباحث والقارئ الغربي بمضمون القرآن ، ولعل هذا التعريف قد أثار في الفكر الاستشراقي تساؤلات كثيرة تخص القرآن وعلومه ، تساؤلات تبحث في مصدر القرآن هل هو آلهي أم بشري؟ وتبحث في الترتيب النزولي لأياته وسوره ، وتبحث في جمع القرآن وتدوينه ، وتبحث في تعدد القراءات وكل ما يتعلق بتأريخ القرآن وعلومه . ولذلك ظهرت في العصر الحديث مجموعة من الدراسات الاستشراقية المهمة سلطت الضوء على هذه التساؤلات وحاولت ان تبحث لها عن إجابات ، ويغض النظر عن نتائج هذه الدراسات التي قد لا تتوافق بعضها مع الفكر الإسلامي ، فأنها كانت دراسات علمية اعتمدت على المصادر الإسلامية وناقشت رواياتها بنفس علمي في أحيان كثيرة . ولعل ما يفيدنا في هذا البحث ان نعتمد على الدراسات الاستشراقية القريبة من الروح العلمية الصادرة من المتخصصين الأكاديميين أكثر من اعتمادنا على الدراسات المتعصبة .

ويبدو ان هذا النوع من الدراسات الاستشراقية قد ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي استجابةً لمتطلبات الفكر الاستشراقي وما وصل إليه من تصور ورؤى خاصة بالإسلام ، وقد يكون لبعض الدراسات السابقة ذات الموضوعات المرتبطة بالقرآن ، الأثر الكبير في هذا الظهور فعلى سبيل المثال : . ثناء المستشرق الألماني تيودور نولدكه المتخصص في تأريخ القرآن على كتاب (١)

المستشرق إبراهيم جايغر ( ماذا اقتبس محمد من اليهودية؟ ) وتصريحه بالاستفادة من الملاحظات الذكية التي وردت فيه (٢) .

(١) Geiger , Abraham , was hat Mahammad aus dem Judentum aufgenommen , ( Leipzig – 1902 )

(٢) عمر لظفي العالم ، المستشرقون والقرآن ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، ( مالطة - ١٩٩١ ) ، ص ٨٥ .





ان أول من تخصص في دراسة تأريخ القرآن الكريم من المستشرقين هو المستشرق الفرنسي بوتيه (١٨٠٠ - ١٨٨٣ م) الذي عكف على هذه الدراسة وبحث تأثير القرآن بما يقدمه من معرفة عن الديانات السابقة والظروف التي أحاطت بنزوله وغايته ، والعقائد الموافقة والمضادة له في غيره من الأديان ، كما بحث المذاهب التي نشأت عنه لدى المسلمين ، وكانت دراسة بوتيه هذه قد نشرت في باريس سنة (١٨٤٠ م) (١) .

وجاء بعد بوتيه المستشرق الألماني جوستاف فايل (١٨٠٨ - ١٨٨٩ م) صاحب كتاب (مدخل تاريخي نقدي إلى القرآن) ، الذي تناول هذا الموضوع بصورة أكثر شمولية وسعة ، كما يعد فايل أول من طبق في كتابه فكرة تقسيم السور المكية إلى ثلاث مجموعات (٢) فكانت هذه الفكرة بدايةً لمشروع كبير طبقه نولدكه فيما بعد . ثم جاء المستشرق الألماني تيودور نولدكه (Theodor Noldeke) (١٨٣٦ - ١٩٣٠ م) ليتخصص في موضوع تأريخ القرآن ، فكان الأبرز والأهم بين من تخصص في الدراسات القرآنية من المستشرقين . بفضل الدراسات المهمة التي نشرها ، و لاسيما مؤلفه الأول (حول نشوء وتركيب السور القرآنية) الذي انجزه عام (١٨٥٦ م) فعد اظروحةً للدكتوراه ولكنه سرعان ما حكم عليه بأنه عمل غير ناضج ، ولذلك قام بإبدال العنوان إلى (تأريخ القرآن) وادخل فيه تعديلات جوهرية (٣) . ثم قام بترجمته من اللاتينية إلى اللغة الأم (اللغة الألمانية) ونشره عام (١٨٦٠ م) .

وتكمن شهرة وأهمية هذا الكتاب ، بفضل محاولة نولدكه وبمنهج علمي ان يعالج مشكلة تأريخ السور والآيات القرآنية ، وان يتوصل من خلال مجموعة من

(١) محمد حسين علي الصغير ، المستشرقون والدراسات القرآنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، (لبنان - ١٩٨٣) ، ص ٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣) ينظر : عمر لطفي العالم ، المستشرقون ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .



المعطيات إلى تأريخ كل سورة وآية قرآنية . وبغض النظر عن طبيعة النتائج العلمية التي توصل إليها صاحب الكتاب والتساؤلات التي لم تحسم بإجابات قاطعة احياناً ، ( مثلما صرح بذلك نولدكه قبل وفاته بوقت قصير ، بعد ان سئل : هل يشعر بالندم لأنه قضى معظم سنوات حياته في هذا التخصص ولم يعكف على دراسة علم يعود بالفائدة العلمية على الجنس البشري ، كدراسة الطب أو الزراعة أو أي فرع غير الدين واللغات والفلسفة ؟ فأجاب : إذا كان من ندم فلأنني درستُ علوماً لم أظفر منها في النهاية بنتائج حاسمة قاطعة ) (١) . عُد هذا الكتاب الأساس الذي بنى عليه من جاء بعده من الباحثين المستشرقين في تأريخ القرآن .

فقد جدد المستشرق الألماني ( شوالي ) طبع كتاب نولدكه بعد تحقيقه والتعليق عليه ونشره في جزعين عام ( ١٩١٩ م ) . وفي عام ( ١٩٣٥ م ) نشر المستشرقان ( براجشتراسد وبرتسل ) الجزء الثالث منه (٢) . فجاء الكتاب في ثلاثة اجزاء ، أي ان نولدكه لم يكمل العمل وحده .

كان عنوان الجزء الأول ( حول نشوء القرآن ) والذي تناول حياة الرسول الكريم محمد 9 ورسالاته ، بدءاً من نزول الوحي على النبي ، ثم تتبع نزول الآيات والسور مقسماً إياها إلى أربعة مراحل :

المرحلة الأولى : ويحدد لها زمنياً من السنة الأولى لنزول الوحي وحتى السنة الخامسة من البعثة .

المرحلة الثانية : من السنة الخامسة إلى السنة السادسة من البعثة .

المرحلة الثالثة : من السنة السابعة من البعثة إلى الهجرة النبوية الشريفة إلى مدينة يثرب سنة ( ٦٢٢ م ) .

(١) وردت هذه العبارة في مقالة للمستشرق الهولندي سنوك هورجرونيين نشرت في مجلة جمعية المستشرقين الألمان في الذكرى الأولى لوفاة نولدكه . نقلاً عن : عمر لطفي العالم ، المستشرقون والقرآن ، ص ٧ .

(٢) ينظر : محمد حسين علي الصغير ، المستشرقون والدراسات القرآنية ، ص ٢٨ .



المرحلة الرابعة : من الهجرة النبوية وحتى وفاة النبي 9 والتي يُعبر عنها بالسور المدنية في حين ان المراحل الثلاثة السابقة يعبر عنها بالسور المكية<sup>(١)</sup> .  
فيما يتناول الجزء الثاني من الكتاب ، موضوعات خاصة بجمع القرآن الكريم أهمها :

- . كيف حفظت مواد جمع القرآن في عهد النبي محمد 9 .
- . حَفَظَةَ الْقُرْآنَ " الحفظ في الصدور " .
- . جمع القرآن كتابةً (الأمام علي بن أبي طالب B جامعاً للقرآن ) .
- . زيد بن ثابت والمواد الموروثة عن النبي 9 وكيف جمع القرآن لأول مرة .
- . أُبَيُّ بن كعب ونسخته في جمع القرآن .
- . عبد الله بن مسعود ونسخته في جمع القرآن .
- . توحيد النص القرآني في خلافة عثمان بن عفان .
- . التحريف المزعوم لنص القرآن في عهد أبو بكر وعثمان .
- . موقف المذاهب الإسلامية من عمل عثمان<sup>(٢)</sup> .
- . وتناول الجزء الثالث الموضوعات الآتية :
- . أخطاء النص العثماني للقرآن .
- . مميزات خط كتابة النص القرآني ( العثماني ) .
- . القراءات والقراء الأوائل .
- . التطور التاريخي للقراءات وأنواعها .
- . حول التجويد ، وحول التوقف في القراءة .
- . حول عدد الآيات ، وموضوعات أخرى كثيرة<sup>(٣)</sup> .

Noldeke , theodor , Geschichte des Qorans , (Germany - 1909 ) , Vol- 1 ; <sup>(١)</sup>

L.W .Winter , Der Koran , ( Munchen – 1964 ) , P . 8. <sup>(٢)</sup>

Noldeke , Geschichte des Qorans , Vol .2 . <sup>(٣)</sup>

Noldeke , Geschichte des Qorans,Vol . 3 .



وعلى ما يبدو ان المستشرق الإنكليزي السير وليم ميور ( Sir William Muir ) قد زامن نولده عندما وضع كتابه الشهير ( حياة محمد )<sup>(١)</sup> عام ( ١٨٦١ م ) ، والذي تناول فيه أيضا مشكلة التسلسل الزمني لنزول آيات القرآن وسوره ، وموضوع حفظه وتدوينه ، وأثار تساؤلات كثيرة بهذا الخصوص ، ومن الطبيعي ان يؤكد ميور في كتابه هذا على القرآن الكريم كونه أهم مصادر سيرة النبي محمد 9 ، المصادر التي حاول ميور ان يشكك في مصداقيتها ويعيب على المسلمين التأخر في تدوينها . ويصف أحداث السيرة التي حوتها بأنها أسطورية لإحتوائها على عدد من الأساطير الخاصة مثل سطوع ضوء محمد وتطهير قلبه ، وأنها تراثية طالما ان المادة الرئيسية لها يرويها الترتيل الشفوي الذي لم يتم تدوينه إلى بل بلغ الإسلام نضجه التام<sup>(٢)</sup> .

كما ان ميور كانت له مؤلفات مهمة أخرى تخص القرآن والدولة العربية الإسلامية ، منها كتاب ( شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية ) الذي حاول فيه ان يبين ان على المسلمين الإقرار بشهادة القرآن في آياته على صحة التوراة والإنجيل كما هما في نصوصهما الحالية<sup>(٣)</sup> .

ومن المفيد القول بأن ميور كان ممن يحظون باحترام وقبول الأوساط الاستشراقية ، كما ان كتاباته كانت تُعد من المراجع الإنكليزية المهمة في تأريخ الإسلام ، ويرجع إليها طلاب الجامعات الإنكليزية<sup>(٤)</sup> .

ولم تمض سنوات طويلة على أعمال نولده وميور ، حتى نشر المستشرق الإنكليزي ادوارد سيل ( Edward Sell ) كتابه المهم والمعزز للدراسات القرآنية

(١) Sir William Muir , the life of Mohammed from original sources ,

( Edinburgh – 1923 ) .

Ibid , P . XIII .

Ibid , P . XIV .

(٢) برنارد لويس ، تأريخ اهتمام الإنكليز بالعلوم العربية ، ص ٣٠ .



بعنوان ( التطور التاريخي للقرآن )<sup>(١)</sup> عام ( ١٨٩٨ م ) . والذي حاول فيه ان يعيد ترتيب الآيات والسور القرآنية بترتيب تعاقبي بحسب تأريخ نزولها ، مستنداً في هذا العمل إلى مقارنة الحقائق التاريخية في حياة النبي 9 مع ما جاء في القرآن الكريم ، وصولاً إلى توضيح الطريقة التدريجية التي ظهر بها القرآن<sup>(٢)</sup> .

وبالانتقال إلى بدايات القرن العشرين، نجد ان المستشرق الفرنسي ريجيس بلاشير ( Regis Blachere ) المولود سنة ( ١٩٠٠ م ) ، الذي اخذ يبحث في موضوع تأريخ القرآن ، وأصدر مجموعة من الدراسات المهمة في هذا المجال ، فكان على رأسها كتاب ( القرآن . نزوله ، تدوينه ، ترجمته وتأثيره ) وقد ترجمه إلى العربية رضا سعادة ، وكتاب آخر غير مترجم هو ( المدخل إلى القرآن )<sup>(٣)</sup> . اذ ركز فيهما على موضوعات عدة في تأريخ القرآن ، كتدوين الآيات والسور القرآنية خلال العهد النبوي ، وتقسيم القرآن إلى أجزاء وسور ، وناقش الروايات الإسلامية الخاصة بجمع القرآن الكريم ، كما أستعرض أبرز جامعي القرآن على عهد النبي 9 ، وتطرق بالتفصيل إلى التحريفات المزعومة في القرآن . وعلى ما يبدو ان بلاشير لم يخرج في كتاباته خارج نطاق التأثر بالمتخصص الأول نولدكه ، فقد سايره واتفق معه في كثير من آراءه وتحليلاته ، كما سنلاحظ ذلك في الفصول اللاحقة من الدراسة .

وكان للمستشرق الأمريكي آرثر جفري بصمات واضحة ومهمة في تطور الدراسات القرآنية ، من خلال تحقيقه ونشره لعدد من المخطوطات الإسلامية الهامة ، كان من بين أبرزها مخطوطة كتاب ( المصاحف ) لإبن أبي داود السجستاني ، ولا يخفى ما لهذه المخطوطة من أهمية ، إذ تعد أول كتاب قديم خاص بالمصحف الشريف ، يصل إلينا كاملاً وفيه بيان لنسخ جامعي القرآن الكريم . كما أنه حقق مخطوطتان مهمتان ونشرهما تحت عنوان ( مقدمتان في علوم القرآن ) وهما مقدمة

Edward Sell , the historical development of the Quran , ( Midras – 1898 ).

Ibid , P . 1 .

Regis Blachere , Introduction au coran , ( Paris – 1947 ) .

(١)

(٢)

(٣)



كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية . ومن بين ابرز المستشرقين المتخصصين بتاريخ القرآن هو المستشرق جون جلكرايست صاحب كتاب ( جمع القرآن ) وهو من أحدث ما وصل إلينا من النتاجات الاستشراقية الخاصة بالقرآن ، ولعل ما فيه من نقاط مثيرة ومهمة تنم عن فهم واستيعاب كبيرين من قبل هذا المستشرق بتاريخ القرآن ، تجعلنا نعهده من ابرز واهم المؤلفات الاستشراقية بعد كتاب نولدكه .

ولعل تاريخ القرآن الكريم ، قد نال قدراً كبيراً من الأهمية لدى عدد من كبار المستشرقين إضافةً إلى ما ذكرناه ، من بينهم : ( المستشرق المجري جولدتسهر ، المستشرق الألماني بروكلمان ، المستشرق الإنكليزي مونجمري وات ) .

فالمستشرق المجري جولدتسهر تناول هذا الموضوع من خلال كتابه ( مذاهب التفسير الإسلامي ) و ( العقيدة والشريعة الإسلامية ) . فيما تعرض المستشرق بروكلمان لتاريخ القرآن ضمن الفصل الثاني من كتابه ( تاريخ الأدب العربي ) . أما المستشرق الإنكليزي مونجمري وات ، فمن خلال تخصصه في مجال السيرة النبوية الشريفة ودراساته المتعددة ضمن هذا التخصص ، تناول تاريخ القرآن الكريم وبشكل خاص في كتابه ( محمد في مكة ) .

على ان لا يفهم من ذكرنا لهؤلاء المستشرقين ممن تخصصوا أو أهتموا بتاريخ القرآن أنهم مثلوا كل الدراسات الاستشراقية الخاصة بالقرآن الكريم ، فهناك عدداً كبيراً ممن جعل القرآن موضوعاً لدراسته ، وسيأتي ذكر بعضهم ضمن فصول الدراسة .

### دوافع المستشرقين في دراسة القرآن الكريم

لقد كان القرآن الكريم على رأس الموضوعات التي شغلت بال المستشرقين وتفكيرهم منذ اللحظات الأولى للاتصال الثقافي والفكري ما بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي . ولا ريب في هذا ، فالقرآن هو الأساس الذي تقوم عليه العقائد



الدينية والشريعة الإسلامية ، وبالنسبة للمسلمين هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولعل المستشرقين قد أدركوا أهمية القرآن جيداً ، لاسيما بعد ان ترجموه واستوعبوا ما جاء فيه . وقد تعددت دوافعهم في دراسة القرآن تبعاً لإختلاف الأزمنة والعصور التاريخية ، وإختلاف العلاقات السياسية والدولية ، وتنوع المستويات الحضارية إلى جانب الفروق الفردية ، فليس كل المستشرقين صنفاً واحداً ، فهم يختلفون في عقلياتهم ونفسياتهم وصفاتهم ، فمن المستشرقين من أبدى إعجاباً واقبالاً على حياة الشرق وتحمس للحضارة العربية الإسلامية تحمساً كبيراً ، وانعكست هذه الميول والاتجاهات في كتاباته وابهائه ، ومن المستشرقين من أتصف بالتعصب الأعمى ضد الإسلام فكانت كتاباته كلها سهاماً مسمومة ، ومن المستشرقين من تأثر بسياسة دولته التي ينتمي إليها فأصبحت ابهائه هي صورة لاتجاهات هذه الدولة وأهدافها السياسية والأستعمارية ، وبين كل هؤلاء من المستشرقين من اتصف بالعمق العلمي والفهم الحقيقي والأنصاف الواقعي ، يدرس العلم للعلم ويبحث الحقيقة أينما كانت<sup>(١)</sup> . وعلى أية حال يمكن ان نحدد ثلاث دوافع رئيسة ( دينية ، استعمارية ، علمية ) ، قد ساهمت بشكل كبير في دفع الدراسات الاستشراقية نحو موضوع القرآن الكريم .

### **أولاً : الدافع الديني لدراسة القرآن**

سبق ان ذكرنا ان أول ترجمة لاتينية ( غربية ) للقرآن الكريم قد أنجزت عام ( ١١٤٣ م ) ، ومن خلالها اضطلع رجال الكنيسة على ما قاله القرآن بشأن عقيدة النصارى ، إذ بين : " في حكم واضح وصريح أسس المسيحية الحقبة التي نادى بها المسيح B ودعا إليها وعرف لها ... فأثبت ان عيسى بشر ، وأنه رسول مؤيد

(١) علي حسني الخربوطلي ، المستشرقون والتاريخ الإسلامي ، ص ٥٤ .



بكتاب إلهي ويوحى سماوي ، وانه نادى بعقيدة التوحيد ، فدعا إلى عبادة الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفلاً أحد ، وقرر انه لم يقتل ولم يصلب ، بل توفاه الله ورفعهُ إليه<sup>(١)</sup> .

وعن عقيدة التثليث في المسيحية ، أوضح القرآن هذه القضية وعرض زيفها وزعمها ، ودعا أهلها دعوة منطقية بأن لا يغفلوا في دينهم ولا يشتطوا في عقيدتهم ، وعقيدة التثليث : " تزخر بمزاعم وأضاليل وأباطيل ، فهي تزعم ان الله ثالث ثلاثة ، وأنه ثلاثة أصول (اقانيم) متساوية : الله الأب ، والله الأبن ، والله الروح القدس ، فالمسيح إله ، وهو ابن الله وفي الوقت نفسه هو بشر واله ، هو لاهوت وناسوت ، هو الله وابن الله ، وأصل من الأصول الثلاثة المكونة لله " ، تعالى الله عما يعتقدون<sup>(٢)</sup> .

وقد أصدر القرآن الكريم حكمه على هذه العقيدة المحرفه ، وحكم على من اعتنقها أو اعتقد فيها بالكفر<sup>(٣)</sup> . ولهذا قامت الكنيسة المسيحية بحملة واسعة ضد

(١) محمود بن الشريف ، الأديان في القرآن ، دار المعارف ، ( القاهرة - ١٩٧٠ ) ، ص ٢١٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(٣) لاحظ حكم القرآن الكريم من خلال الآيات الآتية : - قال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً والله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ . المائدة ، ( ١٧ )

وقال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله مربي ومركبكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماؤه النار وما للظالمين من أنصار . لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . ما المسيح ابن مريم إلا مرسل قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كأننا ياكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون ﴾ . المائدة ، ( ٧٢ - ٧٥ ) وكذلك قوله تعالى : ﴿ قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً . وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبرا بوالدي ولم يجعلوني جباراً شقياً . والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً . ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه





القرآن الكريم ودين الإسلام . كان من بين أوجه هذه الحملة هو " التبشير " الذي عرفه المستشرق الألماني رودري بارث<sup>(١)</sup> بأنه : " إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام ، واجتذابهم إلى الدين المسيحي " .

وضمن سياق هذه الحملة ، انبرى مجموعة من المستشرقين إلى الغرض من مكانة القرآن والإسلام ، والتقليل من أهميتهما عند المسلمين وزعزعة النفوس عنهما ، من خلال الترويج لكل ما يثير الشكوك فيهما ، وإسدال ظلال كثيفة قاتمة لخداع البسطاء والمترددين بصحتهما . فعمد قسم من المستشرقين إلى طرح أفكار وتصورات ما انزل الله بها من سلطان ، ليؤولوا حقيقة الوحي الإلهي المنزل على النبي محمد 9 ، فتارةً يقولون عنه ، إنها نويات الصرع كانت تُصيب النبي فيغيب عن صوابه ويسيل العرق منه وتعتريه التشنجات ، فإذا أفاق ذكر أنه أُوحى إليه<sup>(٢)</sup> . وتارةً أخرى يفسرونه حدساً أو إلهاماً أو أوهام كان النبي 9 يتصورها وحياءً إلهياً ، وينقلها لإصحابه على هذا الأساس<sup>(٣)</sup> . وعمد قسم آخر إلى القول ، بأن القرآن حُرّف وبدّل بعد وفاة النبي 9<sup>(٤)</sup> ، فيما لم يتنازل المستشرقون عن فكرة استقاء النبي 9 تعاليم كتابه ( القرآن ) من كتب اليهود والنصارى<sup>(٥)</sup> .

ويصف المستشرق الإنكليزي مونتجمري وات<sup>(٦)</sup> الموقف الكنيسي من القرآن والإسلام ، لاسيما بعد أن أوضح القرآن الكريم موقفه من العقيدة المسيحية وما جرى

يَمْتَرُونَ . مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذْ قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٠﴾ . مريم ، ( ٣٠ - ٣٦ ) .

(١) رودري بارث ، الدراسات العربية والإسلامية ، ص ١١ .  
(٢) ينظر : غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة الحلبي ، ( مصر - ١٩٦٤ م ) ، ص ١١٤ .  
(٣) ينظر : مشتاق بشير الغزالي ، " نظرة تحليلية في كتاب حياة محمد للمستشرق وليم ميور ، بحث منشور في مجلة السدير ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، ( النجف - ٢٠٠٣ ) ، العدد الأول ، ص ١٥٤ .  
(٤) ينظر : محمد حسين علي الصغير ، المستشرقون والدراسات القرآنية ، ص ٣٩ - ٤٠ .  
(٥) ينظر : عبد القهار العاني ، الاستشراق والدراسات الإسلامية ، مطبعة العاني ، ( بغداد - ١٩٧٣ ) ، ص ١٠ .  
(٦) مونتجمري وات ، تأثير الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى ، جامعة الموصل ، ( الموصل - ١٩٨٢ ) ، ص ١١٩ .



عليها من تحريف ، ويقول : " سيطرت مفاهيم الكتاب المقدس خلال القرون الوسطى على نظرة الأوربيين عن الطبيعة ، الله والإنسان ، بحيث لم تمكنهم من ان يتصوروا ان هناك طريقاً بديلة للتعبير عن هذه العلاقة ، وكانت النتيجة ان حكم على تعاليم الإسلام بالكذب حين اختلفت مع المسيحية " .

نعم لقد تبلور العداء المسيحي للإسلام ، وازداد عنفاً فكرياً ، بعد ان وجد رجال الكنيسة ان عقيدتهم الحالية لم يقدر بصحتها القرآن ، ولذلك لم يكتف المستشرقون كما يعترف احدهم بالقول : " بأن القرآن قد تضمن الأكاذيب وان محمداً لم يكن رسولاً ، فقد روج بطرس الجليل أفكار بعض المفكرين الإغريق والقائلة بأن الإسلام لم يكن سوى هرطقة مسيحية ، وقال بأن الإسلام كان أسوأ من ذلك ، وان بالأمكان اعتبار المسلمين وثنيين لقد جاءت نواة الاعتقاد المسيحي في هذا الصدد من أنه مادام محمد لم يكن رسولاً ومادام قد أقامينا ، فلا بد إذن من أنه قد شجع الشر ، وبذلك فإنه يجب ان يكون اداةً أو وكيلاً للشيطان ، وبهذه الطريقة وضع الإسلام على طرفي نقيض مع المسيحية " (١) .

ان فكرة ان النبي محمد 9 لم يكن نبياً حقيقياً صادقاً ، تجذرت دون ان يصددها الشك عند اغلب مفكري القرون الوسطى ، فأصبح لديهم ان رسالته مبنية على المصالح الدنيوية والشخصية ، أما القرآن فما هو آلا مجموعة من الخرافات المستعارة من التوراة وبشكل مشوه (٢) . " ان جريمة النبي لم تكن فقط في استغلاله لسذاجة الجماعات ، بل لأنه قدّم أيضاً خلال حياته المثل على الشهوانية وعلى العنف واللاخلاقية ... وينبغي فقط البرهان على خطأه من خلال ضوابط الكنيسة ، وتجريد محمد من ادعائه بالنبوة الحقيقية ، وان كلام الله من خلال القرآن لم يكن فعلاً كلام الله ... لكنه . أي الله تعالى . لم يُنزل وحيّاً على محمد " (٣) .

(١) مونجمري وات ، تأثير الإسلام على أوروبا ، ص ١٢٣ .

(٢) هشام جعيط ، أوروبا والإسلام ، ص ١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣ .



لذا فإن الدين الإسلامي في التقليد المسيحي ، عُد ديناً مشوشاً وزائفاً ادعى الوقوف على الأرضية ذاتها مع المسيحية<sup>(١)</sup> .

ولعل الأحكام القروسطية هذه ، قد أُدخلت في اللاوعي الجماعي للغرب في مستوى متجذر عميق ، يصعب مع كل المحاولات الجادة الخروج من تأثيره ، وكما يقول الدكتور عرفان عبد الحميد فتاح<sup>(٢)</sup> : " ما يفكر الغربيون فيه ويشعرون به نحو الإسلام اليوم ، متأصل من انفعالات وتأثيرات ترجع إلى خبرات سابقة عميقة الجذور في الفكر الأوربي ... وقد يبدو من سخرية التاريخ ان يظل هذا الحقد القديم ضد الإسلام قائماً بطريقة لا شعورية في زمن خسر فيه الدين القسم الأكبر من تأثيره في مخيلة الأوربي " .

وحقيقة الأمر أفضل من اندفعَ ضمن هذا التوجه الديني لدراسة القرآن والدين الإسلامي ، كانوا رجال الدين المسيحيين ، وكان طبيعياً ان تبتعد دراساتهم عن منهج البحث العلمي ، وعن الحقيقة التاريخية ، لأن ما يروجوه من هذه الدراسة أو تلك ، خدمة المصالح الكنيسية في ظل ما يُعتقد بأنه مواجهة ضد التهديد الإسلامي بالانتشار على حساب المسيحية .

### **ثانياً: الدافع الاستعماري لدراسة القرآن**

يرى بعض المفكرين ، ان قسماً كبيراً من الدراسات الاستشراقية الحديثة كانت تمول المصالح الاستعمارية بملء قدمه من نتائج بحثية . وان الدوائر الاستعمارية كُنت تُزود بالمعلومات المختلفة والاستشارات المهمة التي تمكنهم من تحقيق خططهم وأهدافهم في الشرق والسيطرة عليه<sup>(٣)</sup> . ويمثل محمود حمدي زقزوق جزءاً من هذه الرؤية العربية عندما يقول : " كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) عرفان عبد الحميد فتاح ، دراسات في الفكر العربي الإسلامي ، دار الجيل ، (بغداد - ١٩٩١)

، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣) ينظر : عيد الباسط عبد الصمد الشاوي ، الغزو الأوربي للفكر العربي الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ١١٥ .



في شعاب الشرق وأوديته من أجل فرض السيطرة الاستعمارية عليه وإخضاع شعوبه وإذلالها" (١) . وقد يشفي الغليل هذا الاعتراف الصادر عن المستشرق فرانسيسكو غابرييلي إذ يقول : " إذا كان لوم الاستشراق على دوره المتواطئ مع الاستعمار ليس عارياً من الصحة ، فإنه قد بولغ فيه وضُح وأُفسد" (٢) .

ولأن القرآن الكريم المهم والأهم بين كتب المسلمين ، فقد توجهت عناية المستشرقين المرتبطين بدوائر استعمارية لدراسته ، محاولةً منهم وبدافع استعماري موجه ، إضعاف وتوهين العقيدة والشريعة الإسلامية القائمة أساساً عليه . فتناولوا من بين ما تناولوه ، موضوع (الجهاد) الركن الإسلامي العظيم الذي أكد عليه القرآن ، وبذلوا جُل جهدهم للقضاء على هذا المبدأ العظيم ، من خلال إصدارهم لعدد من الدراسات التي تصور حروب المسلمين تصويراً سيئاً مشوهاً للحقيقة التاريخية . فهذا جون هيجل يقول : كان الإسلام دائماً وسيبقى دائماً دين السيف لأنه لا يمكن العثور على أي فكرة للحب في القرآن" (٣) . وهكذا يثير المستشرقون هذه الشبهات ليتوصلوا إلى :

**أولاً:** التشكيك في قوة العقيدة الإسلامية من الناحية البرهانية وملائمتها للفطرة السلمية من أجل دفع المسلمين للتخلي عن هذا المبدأ (٤) . وبالتالي التخلي عن دينهم " الإسلام " .

**ثانياً:** تشويه تاريخ وحقيقة الدين الإسلامي ، وسيرته على مر العصور .

**ثالثاً:** لإبراز مبادئ الدين الإسلامي ، بصورة تجعلها مناقضة لمبادئ الدين المسيحي ، وفي مرتبة دنيا بعيدة عن القبول الإنساني . فتمجد الدين المسيحي ومبادئه و

(١) محمود حمدي زقزوق ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ط ٢ ، ( قطر - ١٩٨٣ ) ، غلاف الكتاب .

(٢) محمد أركون وآخرون ، الاستشراق بين دعائه ومعارضيه ، ترجمة هاشم صالح ، ( بيروت - ١٩٩٤ ) ، ص ٢٣ .

(٣) محمد فتح الله الزياي ، ظاهرة انتشار الإسلام ، ص ١٧١ .

(٤) عبد الباسط عبد الصمد الشاوي ، الغزو الأوربي للفكر العربي الإسلامي ، ص ١١٩ .



لاسيما ما يتعلق منها بطبيعة الزواج والعلاقات الإنسانية القائمة على التسامح والعفة والأخلاق ، وبالوقت عينه تصوّر الإسلام وكأنه يحارب هذه المبادئ الإنسانية السامية<sup>(١)</sup> .

وتحقيقاً للمصالح الاستعمارية ، فقد ركزت مجموعة من الدراسات الاستشراقية جُلّ همها في إنكار أصالة الحضارة العربية الإسلامية ومميزاتها ، وادعت بأن الإسلام دين مناف للحضارة والمدنية والعلم<sup>(٢)</sup> ، ولن يرقى المسلمون في سلم الحضارة والتمدن آلا بعد ان يتركوا دينهم ، ويتوجهوا إلى الحضارة الغربية ، تلك الحضارة التي يصفونها ، بأنها حضارة متقدمة وهي منسوبة إلى الديانة المسيحية .

ولعل من بين أخطر الأهداف الاستعمارية ، محاولة المستشرقين القضاء على اللغة العربية ، فلقد تعرضت هذه اللغة إلى محاولات متعددة كادت ان تعصف بها وتطمسها في أجزاء كثيرة من بقاع العالم العربي ، ولاسيما في تونس والجزائر والمغرب في محاولات الفرنسية المعروفة ، وفي مراحل لاحقة تبنى المستشرقون ما هو أكثر خطورة ، من خلال توجيه الدراسات العليا في كثير من الجامعات العربية والغربية من دراسة العربية الفصحى إلى دراسة العامية وتعميق البحث في اللهجات المحلية التي يتعامل بها كل قطر ، ورفض أي اتجاه يرمي إلى تعميق البحث في الفصحى بالجامعات الغربية ، أو محاولة تجديد أساليب وطرق تدريسها ، وتشجيع كل دراسة تقوم في الاتجاه المقابل<sup>(٣)</sup> .

ان المصالح الاستعمارية في الشرق الإسلامي ، طالما نظرت إلى الدين الإسلامي متمثلاً بسيرة النبي محمد 9 والقرآن الكريم ، على أنهما الخطر الذي يهددها ، ولذلك لا نستغرب لقول الوزير البريطاني جلاستون ، أيام الإمبراطورية

(١) هشام جعيط ، أوروبا والإسلام ، ص ١٣ - ١٤ .

(٢) عبد الباسط عبد الصمد الشاوي ، الغزو الأوربي للفكر العربي الإسلامي ، ص ١٢٣ .

(٣) محمد فتح الله الزيايدي ، ظاهرة انتشار الإسلام ، ص ٨٢ - ٨٣ .



الاستعمارية البريطانية عندما يحدد خطورة القرآن الكريم على أوروبا في قوله : " مادام هذا القرآن موجوداً ، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا ان تكون هي نفسها في آمان " (١) .

### **ثالثاً : الدافع العلمي لدراسة القرآن**

ومن بين ما ذكرناه من دوافع ، كانت الحقيقة التاريخية والنتائج البحثية المستندة إلى منهج علمي صحيح ، ديدن وهدف مجموعة من المستشرقين الذين تخصصوا أو أهتموا بالقرآن الكريم وتاريخه .

وهؤلاء بالطبع كانوا قليلي الأخطاء ، إذا ما قيسوا بجمهرة المستشرقين الآخرين ، والسبب في قلة أخطائهم أنهم اقبلوا على البحث بروح علمية بعيدة عن الأهواء السياسية والتعصبات القومية والدينية ، ولعل هذه الأخطاء ان وجدت لم تصدر عن سوء قصد ، بل هي أخطاء طبيعية تقع أما بسبب نقص في الفهم أو عدم استيعاب التعبير اللغوي للعربية . وعلى أية حال ، فإن هذه الأخطاء لم تصل إلى درجة الدس والتحريف التي امتازت بها أقلام المغرضين من أقرانهم ، وأننا لنجد في أحيان عدة مستشرقاً توجه لدراسة القرآن أو السيرة النبوية الشريفة دراسة جديّة نزيهه ، فأنتهى منها وهو معتقاً للدين الإسلامي ومدافعاً عنه، وكاشفاً لكل ما يحاك ضده من مؤامرات فكرية (٢) .

واري هنا ضرورة الإشارة إلى رأي المستشرق الألماني ( رودري بارت ) الذي حدد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي موعداً ، أصبح الاستشراق فيه علماً ويعمل بدوافع علمية بحتة في عموم أوروبا ، مدّعياً ان المستشرقين قد تخلصوا من

(١) مشتاق بشير حمود الغزالي ، تطور الاستشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية الشريفة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ( أبن رشد ) ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١ ، ص ٥٤ .

(٢) مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، ( الكويت - ١٩٦٨ ) ، ص ٢١ .



الآراء القديمة وأنهم يجهدون أنفسهم لنقل صورة موضوعية عن الشرق ، وتنقية الاستشراق من الشوائب الدينية والاستعمارية<sup>(١)</sup> .

ان أي باحث في تاريخ الاستشراق ، قد لا يتفق مع هذا الرأي غير الدقيق ، فساحة الاستشراق لا تخلو طبعاً من أقلام منصفة علمية رغم كل التأثيرات والمخططات المغرضة، وان بعض هذه الأقلام قد سبقت بكثير القرن التاسع عشر<sup>(٢)</sup> . فضلاً عن المغالطة الواردة في قول بارت ، بأن الاستشراق بدأ يتخلص من شوائبه منذ منتصف القرن التاسع عشر ، ان هذا القول ينطوي على كثير من المبالغة لأننا نجد الدوافع القديمة و لاسيما الدينية منها ، لا زال لها تأثير في دراسات قسم من المستشرقين حتى يومنا هذا ولم تنقطع ابداً .

وعليه فإن دوافع المستشرقين في دراسة القرآن الكريم والدين الإسلامي ، هي دوافع متعددة ومستمرة مع استمرار الدراسات الأستشراقية ، ذلك لأن هذه الدراسات لا يخوضها أناس يحملون الصفات نفسها في العقلية والقابلية العلمية ، وفي النفسية الإنسانية ، والظروف والبيئات التي يعيشون فيها .

<sup>(١)</sup> رودى بارت ، الدراسات العربية ، ص ١٧ .

<sup>(٢)</sup> Arberry , A . J . British Orient alists , ( London – 1946 ) , PP . 28 – 56 ;

كذلك ينظر : مصطفى السباعي ، الاستشراق والمستشرقون ، ص ٢١ .

# الفصل الثاني

## تنزيل القرآن الكريم في المنظر الاستشراقي

- الوحي المصفي في المنظر الاستشراقي
- صور الوحي المصفي
- رؤية المستشرقين للوحي المصفي
- الأدلة الإسلامية على حقيقة الوحي المصفي
- نزول القرآن وأهمية التتابع الزمني لنزوله عند المستشرقين
- نزول القرآن الكريم
- الحكمة من تعدد النزول
- التتابع الزمني للسور القرآنية عند المستشرقين
- محاولة تيودور نولدكه في إعادة ترتيب لسور القرآن
- محاولة إدوارد لسييل في إعادة ترتيب لسور القرآن
- تقويم لمحاولات المستشرقين إعادة ترتيب القرآن
- النص القصص القرآني في المنظر الاستشراقي
- طبيعة العلاقة بين النصين القرآني والتوراتي
- الغرض من القصة القرآنية





## الوحي

لم تنحصر كلمة الوحي بمعنى واحد ، بل تعددت وكثرت معانيها ، وأشار أبن منظور<sup>(١)</sup> إلى ان كلمة الوحي تعني الإشارة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقى إلى الغير .

فيقال : وحيت إليه الكلام وأوحيت . ووحى وحيا وأوحى أي كتب . وأوحى إليه أي بعثه . وأوحى إليه أي ألهمه . ويقال وحى إليه وأوحى أي كلمه بكلام يخفيه عن غيره . ووحى إليه وأوحى بمعنى أوما<sup>(٢)</sup>.

كما يبدو ان للوحي مداليل كثيرة ، يمكن ان نقف عليها من خلال التحديد الذي جاء في النص الآتي : "أولاً : ان أصل الوحي في اللغة كلها إسرار وإعلام في خفاء ... ثانياً : ان اشتقاق الوحي بمعنى السرعة لأن الوحي يجيئ بسرعة ويتلقى بسرعة ... ثالثاً : ان أصل المادة السرعة والخفاء معاً ، فالوحي : الأعلام السريع الخفي ... رابعاً : ان أصل المادة هو إلقاء الشئ إلى الغير ....."<sup>(٣)</sup>.

فالوحي إذن هو الأعلام الخفي السريع مثلما أكد ذلك القرآن الكريم في آيات عدة . ففي الإلهام الفطري للإنسان قال تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أمر موسى ان أترضيه ﴾<sup>(٤)</sup>. وقوله : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي ﴾<sup>(٥)</sup> ، وفي الإلهام الفطري للحيوان كالذي في قوله تعالى : ﴿ وأوحى ربك إلى النحل ان اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون ﴾<sup>(٦)</sup> . وفي الإلهام الآلهي الخاص بالأنبياء ، وهو ما يتعلق بالأوامر

(١) محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ / ١٣١١ م) ، لسان العرب ، دار صادر (بيروت - لا . ت . جـ ١٥ ، ص ٣٧٩ ؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، (ت : ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م ) ، مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، (بيروت - ١٩٩٥ ) ، ص ٢٩٧ .

(٢) لمزيد من التفاصيل في المعنى اللغوي للوحي ينظر : ستار جبار الاعرجي ، الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت - ٢٠٠١) ، ص ٩ - ١٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤ .

(٤) القصص ، الآية (٧) .

(٥) المائدة ، الآية (١١١) .

(٦) النحل ، الآية (٦٨) .



الإلهية التي لا تأتي دائماً على صورة واحدة وإنما تتعدد وتختلف من صورة لأخرى كما سنلاحظ ذلك لاحقاً .

ولقد تشرف سيدنا ونبينا الكريم محمد 9 بالوحي الإلهي طيلة مدة رسالته ، وبذلك التشريف الإلهي ، فقد اشترك مع من سبقه من الأنبياء بهذه الميزة الشريفة ، فلم يكن وحي الأنبياء مخالف للوحي المحمدي ، بل ظاهرة الوحي هي متماثلة عند جميع الأنبياء بدءاً من نبي الله نوح B و إنتهاءً بالنبي محمد 9 ، هذا التماثل النابع من مصدر واحد ، كما في قوله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبوراً ، ورسلاً لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليماً ﴾ (١) . ولذلك حرص القرآن الكريم على تسمية ما نزل على قلب محمد 9 وحيّاً ، ليشابهه مدلول الوحي عند جميع النبيين تشابه اللفظ الدال على نفس المعنى (٢) . قوله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحي يوحى ﴾ (٣) .

### صور الوحي المحمدي

لم يكن الوحي المحمدي على صورة واحدة ، بل تعددت واختلفت صور الإيحاء الإلهي إلى النبي محمد 9، شأنه في ذلك شأن باقي الأنبياء ، ولقد حدد القرآن الكريم هذه الصور تحديداً دقيقاً في قوله تعالى : ﴿ وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم ﴾ (٤) . الآية الكريمة توضح بجلاء صور عدة للوحي الإلهي . فمن مصاديق كلامه تعالى ما يتلقاه الأنبياء E

(١) النساء ، الآيتان ( ١٦٣ - ١٦٤ ) .

(٢) صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ط ١٠ ، دار العلم ، ( بيروت - ١٩٧٧ ) ، ص ٢٢ .

(٣) النجم ، الآيات ( ١ - ٤ ) .

(٤) الشورى ، الآية ( ٥١ ) .



منه جل وعلا بالوحي وعلى هذا ، لا موجب لعد الاستثناء في قوله " إلهياً " منقطعاً ( كما يرى الطباطبائي )<sup>(١)</sup> ، بل هو الوحي ، والقسمان المذكوران بعده " ما كان من وراء حجاب " ، " وما كان بإرسال رسول " نوع من تكليمه للبشر .

ثم ان ظاهر الآية الكريمة هو تقسيم الوحي إلى عدة صور ، إذ ظهر القسمان الأخيران بقيد الحجاب والرسول الذي يوحي إلى النبي ، في حين لم يقيد القسم الأول بشئ والظاهر أنه أُريد به التكليم الخفي من دون ان يتوسط واسطة بينه تعالى وبين النبي أصلاً وأما القسمان الآخران ففيهما قيد زائد ، وهو الحجاب أو الرسول الموحى ، وكل منها واسطة غير ان الفارق ، ان الواسطة الذي هو الرسول يوحي إلى النبي بنفسه ، والحجاب واسطة ليس بموحٍ ، وإنما الوحي من ورائه . وعليه فإن القسم الثالث : " أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء " وحي بتوسط الرسول الذي هو ملك الوحي فيوحي ذلك الملك بأذن الله ما يشاء الله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله ﴾<sup>(٢)</sup> . والموحي مع ذلك هو الله سبحانه وتعالى كما قال : " بما أوحينا إليك القرآن " <sup>(٣)</sup> . وان القسم الثاني : " أو من وراء حجاب " وحي مع واسطة وهي الحجاب ، غير ان هذه الواسطة لا توحي كما في القسم الثالث ، وإنما ليبتدأ الوحي مما ورائه ، وليس وراء بمعنى خلف ، وإنما هو الخارج عن الشئ المحيط به كقوله تعالى : " والله من ورائهم محيط " <sup>(٤)</sup> . ومن هذا الباب ما أوحى إلى الأنبياء في مناماتهم . وان القسم الأول تكليم إلهي للنبي من غير واسطة

(١) سيد محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، دار الكتب الإسلامية ، ط ٣ ، ( طهران - ١٩٧٦ م

(٢) ، جلد ١٨ ، ص ٧٥ .

(٣) البقرة ، الآية ( ٩٧ ) .

(٤) يوسف ، الآية ( ٣ ) .

(٤) البروج ، الآية ( ٢٠ ) .



بينه وبين ربه من رسول أو أي حجاب مفروض ، وان الوحي في جميع هذه الأقسام لا يخرج عن كونه صادر عن الذات العليا لله جل جلاله وتعالى قدره<sup>(١)</sup>.

ان أول صور الوحي المحمدي ، كان الرؤيا الصادقة ، وهي جانب مهم من جوانب التلقي الغيبي في نبوات الأنبياء ، لأن تلقي الوحي عن طريق المنامات وجهاً من وجوه الوحي التي كانت للكثير من الأنبياء E وقد ذكر القرآن الكريم هذا الأمر بوضوح في الإشارة إلى رؤيا إبراهيم<sup>(٢)</sup> B ، وكذلك إلى رؤيا يوسف<sup>(٣)</sup> B . ومن الطبيعي ان لا يختلف نبينا محمد 9 في هذا التشريف والتكريم الآلهي عن غيره من الأنبياء ، إذ ان الرؤيا في نبوته 9 مثلت أحد الجوانب المهمة التي شهدتها عملية تلقيه للوحي ، وهي أيضاً أحد العوامل التمهيديّة التي هيأت لبزوغ نبوته 9 وبداية رسالته<sup>(٤)</sup>.

وبشأن الرؤيا الصادقة التي رافقت النبي 9 قبل مبعثه ، ورد عن السيدة عائشة ( رضي الله عنها ) أنها قالت : " أول ما بدئ به رسول الله 9 من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ... " <sup>(٥)</sup>

والصورة الثانية للوحي المحمدي ، هي الوحي بواسطة الملك . وفي هذه الصورة ، نجد الأمين جبريل B وقد تكفل بنقل الكلام الإلهي وتبليغه إلى النبي الكريم 9 ، وقد عبّر القرآن الكريم عن الوحي بواسطة الملك في قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ

(١) الطباطبائي ، الميزان ، جلد ١٨ ، ص ٧٥ .

(٢) إبراهيم ، الآية

(٣) يوسف ، الآية (٤) .

(٤) ينظر : ستار جبر الأعرجي ، الوحي ودلالاته في القرآن ، ص ١٣٤ .

(٥) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري ( ت : ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م ) ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، ( بيروت - ١٩٨٦ ) ، ج ١ ، ص ٦ ؛ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ( ت : ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م ) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، ( بيروت - لا . ت ) ، ج ٣ ، ص ٣-٢ .



به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين ﴿ (١) . وقوله جَلَّ وعلا : ﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله . . . . ﴾ (٢) . وقوله : ﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين ﴾ (٣) . وأتخذ الوحي بوساطة المَلَكِ إلى النبي محمد 9 عدة أشكال قد أجملها صاحب كتاب ( الوحي و دلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي ) (٤) بالآتي :

أولاً : مواجهة جبريل B للنبي 9 في صورته الملكية الحقيقية التي خلقه اللهُ عليها ، وقيل أنه ما من نبي رآه على تلك الصورة ، إلا الرسول 9 ، وقد حدث ذلك مرتين .

ثانياً : تمثل جبريل B في صورة بشرية ، فيراه النبي 9 في صورة إنسانية ، ويتحدث معه . وهذا ما أكدته الرواية المنقولة عن السيدة عائشة ( رض الله عنها ) : " ان الحارث بن هشام سأل رسول الله : قال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي . فقال 9 ... وأحياناً يتمثل لي المَلَكُ رجلاً يكلمني فأعي ما يقول " (٥) .

ثالثاً : تمثل جبريل B للنبي محمد 9 في النوم ، وذلك بأن يأتيه المَلَكُ جبريل B في النوم بصورة بشرية غير معروفة لديه ، ليبلغه بما أمر الله تعالى به .

أما الصورة الثالثة من الوحي المحمدي ، فهي الوحي المباشر ، الذي يتم بدون أي شكل من أشكال الوسائط ، عندما يكون الوحي منه تعالى مباشرة إلى النبي 9 . رغم ان هذه الصورة من الوحي لا يوجد ما يؤكد تكرارها ، إلا أنها قد تمت فعلاً ، وأكد ذلك قول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى

(١) الشعراء ، الأيتان ( ١٩٣ - ١٩٤ ) .

(٢) البقرة ، الآية (٩٧) .

(٣) التكوير ، الأيتان ( ١٩ - ٢٠ ) .

(٤) ستار جبر الأعرجي ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ٢١ .



فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴿ ١ ﴾ . وتظهر الإشارة بوضوح في هذه الآيات لتكليم الله سبحانه وتعالى نبيه محمد 9 دون أي واسطة (٢) .

### رؤية المستشرقين للوحي المحمدي

الوحي كظاهرة ارتبطت بالنبوة ، وعلى هذا الأساس ، فمن مقومات تصديق نبوة أي نبي ، هي حقيقة المصدر الإلهي للوحي ، ولما كان الوحي الأساس الأول والجوهر الحقيقي لمعنى النبوة والرسالة والواسطة للأخبار الغيبية والأوامر الإلهية في قضايا العقيدة والشريعة . فقد أهتم المستشرقون ومنذ وقت مبكر ، يعود إلى العصور الوسطى الأوربية بدراسة الوحي ومحاولة إيجاد تفسير مناسب لهذه الظاهرة ، يتوافق مع التوجيهات الاستشراقية الهادفة إلى إبعاد الوحي المحمدي عن حقيقة صدوره الإلهي ، وجعله نابعاً من ذاته عليه أفضل الصلاة والسلام .

فكانت التصورات الأولى ، تصورات ساذجة بعيدة عن الواقع متأثرة بتيار الكره والحقد الكبيرين خلال حقبة العصور الوسطى ، فضلا عن قلة المعلومات عن رسالة النبي 9 وتشويهه ما وصل منها بوساطة المصادر البيزنطية . فمن أوائل من تناول هذا الموضوع هو جيبرت أوف نوجنت ، الذي صور النبي محمد 9 على أنه استخدم بقرة قام بتدريبها ، لتظهر أمام الناس بأنها تحمل إليه الوحي من الله تعالى ، وهذا نموذج مما جاء في تلك الكتابات : " وأمر محمد المؤمنين به ان يصوموا ثلاثة أيام ، ثم أعلن في هدوء أنه سيريهم كيف ينزل الوحي ، وفجأة ظهرت بقرة وانتزعت من بين قرنيها كتاباً مُنزلاً وركعت البقرة أمام النبي " (٣) . في حين ان الاسقف هيلدبرت ( Hildbert ) قد ذكر في كتاباته عن حياة النبي 9 ، أنه أستعان في تأكيد صدق عوته بثور دربه سراً ، فأصبح قادراً على توجيهه كيف

(١) النجم ، الآيات ( ٨ - ١٠ ) .

(٢) ستار جبر الاعرجي ، الوحي ودلالاته في القرآن ، ص ١٥١ .

(٣)



شاء ، فكان الثور يركع أمام النبي كلما أمره بذلك<sup>(١)</sup> . وعلى هذه الشاكلة كانت تنسج الأفتراءات والمزاعم لتجعل منها تارة بقرة وأخرى ثوراً وثالثاً جملاً<sup>(٢)</sup> . وعلى أية حال فإن مستشرفي العصور الوسطى لم ينظروا إلى الوحي المحمدي ، إلا كنوع من الاحتيال تمت ممارسته لإقناع الناس بالدين الجديد ( الدين الإسلامي ) ، وإبعاد الشك عن قلوبهم باستخدام هذه الحيوانات المدربة .

والحقيقة أن ظاهرة الوحي المحمدي لم تُطرح عند المستشرقين برؤيا واحدة ، بل حملت كتاباتهم رؤى متعددة خلال العصر الحديث يمكن ان نقف عليها :

### **أولاً : الوحي المحمدي بمعنى نوبات من الصرع**

على ما يبدو ان إطلاع بعض المستشرقين على مصادر السيرة وهي تصف ما يصيب النبي محمد 9 من أعراض أثناء تلقيه للوحي من الإمارات الخارجية التي تبدو على وجهه وعينه وجبينه ، من شحوب أو احتقان أو تصيب عرق ، أو ما يرافق ذلك من أصداء أو أصوات مثلما تذكر الروايات الإسلامية<sup>(٣)</sup> ، فعن السيدة عائشة ( رضي الله عنها ) قولها : " ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ولا جبينه ليتفصد عرقاً "<sup>(٤)</sup> . وعن عبد الله بن عمر : " قلت يا رسول الله هل تحس بالوحي . قال : نعم أسمع صلاصل ثم أثبت عند ذلك ، وما من مرة يوحى إلي إلا ظننت ان نفسي تفيض مني "<sup>(٥)</sup> .

ان الأعراض الخارجية هذه ، والتي وصفت عن النبي 9 ، ولكونها مشابهة لإعراض مرض الصرع جعلت من بعض المستشرقين يتصورون أو يصورون على ان ما كان يصيب النبي 9 من أعراض خارجية ما هي إلا نوبات من الصرع ، وان

(١) خودابخش ، الحضارة الإسلامية ، ص ص ٤٦ - ٤٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٣) ينظر : النسائي ، احمد بن شعيب ( ت ٢٠٣ هـ / ٩١٥ م ) ، فضائل القرآن ، تحقيق فاروق حمادة ، دار احياء العلوم ، ط ٢ ،

(بيروت - ١٩٩٢ ) ، ج ١ ، ص ٥٩ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ٢١ .

(٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ٢٢ .



تلك النوبات حينما تُصيبه كان يغيب عن صوابه ويسيل العرق منه وتعتريه التشنجات ، فإذا ما أفاق من الغيبوبة ذكر أنه أوحى إليه وتلا على أتباعه ما يزعم أنه من وحي ربه<sup>(١)</sup>.

وقد كفانا بعض المستشرقين الرد على هذه الرؤية الخاطئة . ومنهم المستشرق الإنكليزي وليم ميور الذي قال : " وتصوير ما كان يبدو على محمد في ساعات الوحي على هذا النحو الخاطئ من الناحية العلمية خطأ كبير . فنوبة الصرع لا تترك عند من تُصيبه أي ذكر لما مرَّ به أثناءها ، بل يصاب بالنسيان خلال هذه المدّة من حياته بعد ان يفيق نسياناً تاماً ، و لا يذكر شيئاً مما صنع أو حل به خلالها ، لأن حكة الشعور والتفكير تتعطل عنده تمام العطل . وهذه أعراض كما ثبتها العلم ، ولم يكن ذلك ما يصيب النبي العربي أثناء الوحي ، بل كانت تتنبه حواسه المدركة في تلك الأثناء تنبهاً لا عهد للناس به ، يذكر بدقة كل ما يتلقاه بعد ذلك على أصحابه . ثم ان نزول الوحي لم يكن مقترباً دوماً بالغيبوبة الحسية مع وجود الإدراك الروحي ، بل كثيراً ما يحدث الوحي والنبي في تمام يقظته العادية "<sup>(٢)</sup>.

### **ثانياً : الوحي المحمدي بمعنى الحدس ، الهوس ، الأوهام ، الخداع**

لقد اتفقنا على ان ظاهرة الوحي المحمدي قد أخذت من مخيلات المستشرقين مأخذاً واسعاً ، فتعددت وتنوعت رؤاهم وتصوراتهم عنها ، حتى ظهر التضارب والأختلاف في كتاباتهم . فبينما نجد المستشرق وليم ميور يفند مزاعم من يقول : ان ما كان يصيب محمد 9 ما هو إلا نوبات من الصرع ، مستخدماً الأدلة العلمية في طرح الحقيقة . من المضحك جداً نجد في الكتاب نفسه يفقد تلك الروح

(١) Emile Dermengham , the life of Mohomet , N . Y . Dial Press – 1930 , P . 135 – 136 .

كذلك ينظر : رونالد فكتور بودلي ، حياة محمد الرسول ، ترجمة عبد الحميد جودة السحار ومحمد محمد فرج ، ( القاهرة - ١٩٦٤ ) ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(٢) The Life of Mohammad , P P . 14 – 29

كذلك ينظر : بودلي ، حياة محمد الرسول ، ص ٥٢ - ٥٣ .





العلمية ، عندما يصور الوحي المحمدي وكأنه شئ من الوهم أو الحدس الصادر من الذات البشرية كان النبي 9 قد تبناه على أنه وحي إلهي .  
ولعل المستشرق ميور قد أستفاد من أحداث رحلتي<sup>(١)</sup> الرسول الكريم إلى الشام ليؤكد على تأثيرهما على عقله وتأملاته اللاحقة التي سبقت نزول الوحي الشريف ، من خلال الآثار والرموز القديمة والأساطير اليهودية وتأثيرها عليه وهو يشاهدها لأول مرة ، ومن خلال أداء المجتمع المسيحي والكنائس بكل طقوسها والتجمعات المسيحية المتكررة لأجل العبادة . وكل هذه المشاهدات يراها ميور قد أستولت على انتباهه وأهتمامه ، فأثرت تأثيراً عميقاً في نفسه<sup>(٢)</sup> .  
والمتتبع لكتاب ميور ( حياة محمد من مصادرها الأصلية ) يجد المؤلف فيه يحاول ان يجعل من تلك المشاهدات وقد أثرت في نفس النبي 9 ، فجعلته ينصرف إلى التأمل والتفكير المنعزل والطويل بحثاً عن الدين الحقيقي ، وفي غمرة هذه الظروف توهم النبي بأنه يتلقى وحيًا من الله<sup>(٣)</sup> . ولكي يدعم فرضيته هذه يقدم ما يعتقد أنه دليلاً ، فيشير إلى ان النبي 9 قد استخدم الوحي لتحقيق أهداف وغايات

(١) الرحلة الأولى التي قام بها النبي محمد 9 مع عمه أبي طالب إلى الشام كان بعمر تسع سنين ، وقد أتاحت هذه الرحلة الطويلة للنبي 9 على الرغم من صغر سنه ان يشاهد مجموعة من القرى والمدن الواقعة على الطريق التجاري بين مكة والشام ، كما أنه قد شاهد رهباناً ونصارى يقيمون في تلك الأماكن . أما رحلته الثانية ، وهي إلى الشام أيضاً فكانت عندما كلفته السيدة خديجة ( عليها السلام ) القيام برحلة تجارية ، وقد أرسلت برفقته غلاماً لها يدعى ميسرة ، فخرج رسول الله 9 في إحدى القوافل المتجه لبلاد الشام فباع بضاعته واشترى ما أراد ، ثم أقبل راجعاً إلى مكة ، فكانت تلك التجارة رابحة موفقة ، ويبدو ان عمره 9 لم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين في رحلته الثانية . ينظر : محمد بن جرير الطبري ( ٣١٠هـ / ٩٢٢م ) ، تاريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، ( بيروت - ١٩٨٦م ) ، ج١ ، ص ٥١٩ - ٥٢١ .

(٢) Muir , The life of Mohammad , P . 11 – 12 .

(٣) Muir , The Life of Mohammad , P . 54 .



دنيوية لمصلحته ويستدل على ذلك بالآية (٣٧) من سورة الأحزاب<sup>(١)</sup> ، والتي أمره الله سبحانه وتعالى فيها بالزواج من السيدة زينب بنت جحش ( رضي الله عنها ) . وعلى أساس هذا ( الدليل الصارخ ) يرفض ميور ان ينظر إلى الوحي المحمدي على أنه صادر من الله تعالى ، ويؤكد على كونه مجرد حدس أو وهم لا يتعدى في صدوره عن الذات البشرية<sup>(٢)</sup> .

وليس بعيداً عن طروحات ميور ، نلاحظ المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون يقتفي النهج نفسه في نفي تهمة الصرع عن النبي محمد 9، ولكنه في الوقت نفسه يصف الوحي المحمدي بالهوس . وخيراً لنا ان نقتطف نصاً من كتاباته يقول فيه : " وقيل ان محمداً كان مصاباً بالصرع ولم أجد في تواريخ العرب ما يبيح القطع في هذا الرأي ، وكل ما في الأمر هو ما رواه معاصرو محمد وعائشة منهم ، من أنه كان إذا نزل الوحي عليه اعتراه أحتقان وجهي فغطيط فغشيان ، وإذا عدوت هوس محمد ككل مفتون وجدته حصيماً سليم الفكر . ويجب عد محمد من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح وذلك كأكثر مؤسسي الديانات ،... فأهل الهوس وحدهم ... هم الذين ينشئون الديانات "<sup>(٣)</sup> .

وعلى هذه الشاكلة تتسابق خيالات المستشرقين لتفسير الوحي المحمدي ، غير ان هذه التفاسير لا تحاول ان تقترب من حقيقة هذا الوحي ، بل وكأنها لا تريد ألا أثبات المرجعية الناشئة في صدوره من النفس البشرية ونفي حقيقته الإلهية .

(١) قوله تعالى : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾ .

(٢) Ibid , P . 54 -55 .

(٣) غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ١١٤ .



كما لم يفوت بعض المستشرقين من ان يوجهوا لشخص النبي الكريم 9 تهمة خداع المسلمين في قضية الوحي قي قولهم : "بأن محمداً لم يكن يؤمن بما يوحي إليه ، وأنه لم يتلق الوحي من مصدر خارجي عنه ، بل أنه ألف الآيات عن قصد ثم أعلنها للناس بصورة خدعهم بها وجعلهم يتبعونه ، فضمن لنفسه بذلك من السلطة ما يرضي طموحه وحبه للمتعة"<sup>(١)</sup>. ولقد كان الأديب الإنكليزي توماس كارليل أول من انبرى لدحض هذه السخافات ، مصرحاً بأنه من العار على أي متمدن ان يصغي إلى هذه التهمة ، ان يصغي إلى ما يظن ان محمداً كان خداع ومزوراً<sup>(٢)</sup>.

ومن اللطائف الإلهية ان يتوجه من بين المستشرقين من يفند بإدلة منطقية تلك الأدعاءات حين قال : " ومثل هذه النظرة للأمور غير معقولة . وذلك لأنها لا تفسر لنا بصورة مرضية لماذا كان محمد في الحقبة المكية مستعداً لتحمل جميع صنوف الحرمان ، ولماذا فاز بأحترام رجال شديدي الذكاء ذوي أخلاق مستقيمة كما ان ذلك لا يجعلنا نفهم كيف نجح في تأسيس ديانة عالمية أنجبت رجالاً قداستهم واضحة للعيان ، لا يفسر كل ذلك بصورة مرضية إلا إذا افترضنا صدق محمد أي ان نعتقد بأنه كان مقتنعاً حقاً بأن القرآن ليس ثمرة خياله بل ان كل ما نزل عليه كان من الله"<sup>(٣)</sup> .

### **ثالثاً : الرؤية الاستشراقية الأخيرة للوحي المحمدي**

بين مجموعة كبيرة من دراسات المستشرقين ، والتي لا تخرج في نظرتها للوحي المحمدي عما ذكرناه ، نقف على رؤية المتخصص الأول بين الغربيين في سيرة النبي 9 ، المستشرق الإنكليزي مونتجمري وات الذي يعدّ ممثلاً بكتاباتهِ لوجهة

(١) ينظر : مونتجمري وات ، محمد في المدينة ، ترجمة شعبان بركات ، المكتبة العصرية ، (بيروت - ١٩٥٢) ، ص ٤٩٥ .

(٢) توماس كارليل ، الأبطال ، ترجمة محمد السباعي ، (بيروت - ١٩٦١) ، ص ٥٨ .

(٣) وات ، محمد في المدينة ، ص ٤٩٥ .



نظر الغرب في السيرة النبوية ، ويؤكد هذا الأمر المستشرق فرانسيسكو غار بيلي بقوله : " ان مؤلفات وات التي امتد تأليفها بين سنوات ( ١٩٥٠.١٩٦٠ ) تمثل آخر وجهة نظر علماء الغرب بالنسبة إلى نبي الإسلام" (١) .

لقد نال الوحي المحمدي اهتماماً كبيراً من لدن هذا المستشرق ، إذ افرد الفصول والمباحث لمناقشته ، ووصل به الأمر أن أصدر كتاباً مستقلاً بموضوع الوحي حمل عنوان : ( الوحي الإسلامي في العالم الحديث ) (٢) فكان من بين أواخر مؤلفاته عن الشرق الإسلامي .

عدّ المستشرق وات ان النبي محمد 9 كان صادقاً في القول مخطأ بالاعتقاد بشأن الوحي (٣) . بمعنى ان النبي 9 لم يسع لخداع أتباعه عندما ادعى بأن الله تعالى إنزل الوحي عليه . ولذلك فهو صادق في القول لأنه لم يشأ ممارسة الخداع ، ولكنه في الوقت نفسه مخطأ بهذا الاعتقاد ، لأن الله سبحانه وتعالى لم يُنزل الوحي عليه كما اعتقد هو .

ثم يفسر نشوء هذا الاعتقاد الخاطئ ، الذي يراه قد بدء عندما اخذ النبي 9 يتصور اموراً غريبة لا يعرف حقيقتها ، فلجأ إلى ورقة بن نوفل ، وما لبث الأخير أن فسرها له على أنها وحي صادر من الله كما هو حال الأنبياء ، فأعتقد النبي 9 بذلك وآمن وعمل بموجبه (٤) ، ولذلك فهو لم يسع إلى الخداع والتحايل . ولنقتطف نصاً بهذا الشأن : "فالقول بأن محمداً كان صادقاً لا يعني أن القرآن وحي حق وأنه

(١) Gabrieli , Muhammad and conquests of Islam , ( London - 1968 ) , P . 20 .

(٢) Montgomry Watt , Islamic revelation in the modern world , ( London - 1969 ) .

(٣) ينظر : وات ، محمد في المدينة ، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ ؛ كذلك ينظر :

The Encyclopedia of religion , ( new york - 1987 ) , vol - 10 , P - 138 .

The Encyclopedia Britanica , ( chicogo - 1986 ) , vol - 22 , P . 2 .

The Encyclopedia Britanica , P . 2 . (٤)



من صنع الله ، إذ يمكن ان نعتقد بدون تناقض ، ان محمداً كان مقتنعاً بأن الوحي ينزل عليه من عند الله وان نؤمن في الوقت نفسه بأنه كان مخطأً<sup>(١)</sup>.

### الأدلة الإسلامية على كون الوحي المحمدي إلهي لا بشري

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى ، المُنزل على خاتم أنبيائه محمد بن عبد الله 9 ، وبالوحي نزل القرآن ، فكان خير رفيق للنبي 9 طيلة ثلاث وعشرين سنة . ولم يكن 9 منفرداً بشرف نزول الوحي عن باقي الأنبياء ، بل شاركهم في هذه الظاهرة . ورغم ان وحي جميع الأنبياء نابع من مصدر واحد ، إلا ان كثير من المستشرقين لم يحاولوا ان يشككوا أو يجرّحوا وحي نبي الله عيسى B باسم المنهج العلمي ، بل صانوه وأقاموا على أنه بديهي التسليم وبعيد عن مجال الجدل العقلي أو العلمي التجريبي<sup>(٢)</sup> .

وفي الوقت نفسه كان الوحي المحمدي موضوعاً مهماً بالنسبة لهم ، إذ لم ينظروا إليه على أنه بديهي وبعيد عن مجال الجدل العقلي أو العلمي التجريبي كما هو حال وحي سيدنا عيسى B . أفلا يقضي المنطق السليم إذن ان تكون النظرة إلى وحي الأنبياء نظرة واحدة مثلما هي طبيعة الوحي واحدة .

ان كل ما توصل إليه المستشرقون من تفسيرات لظاهرة الوحي المحمدي هي لا تطابق حقيقة الوحي ، فقد عبّر عنها البعض بالحالات النفسية أو الإلهامية أو المكاشفة<sup>(٣)</sup> ، وبالأمكان إدراك الفرق بين هذه الحالات التي ابتدعها المستشرقون وبين طبيعة الوحي الإلهي من خلال هذا النص : "وإذا كان الوحي فعلاً مميزاً ، فهو صادر عن فاعل مُريد ، وهذا الفاعل المُريد هو الله تعالى ، وليس الكشف والإلهام كذلك . ان مرد الإلهام يعود عادةً إلى طبيعة الميدان التجريبي لعلم النفس ، ونزعة

(١) وات ، محمد في المدينة ، ص ٤٩٦ .

(٢) ينظر : عرفان عبد الحميد فتاح ، دراسات في الفكر ، ص ١٤٨ .

(٣) المقصود بها : الوحي النفسي الصادر من النفس البشرية ويُعبّر عنه بـ ( Intuition ) . ينظر : مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ( لبنان - ل.ت ) ، ص ١٦٧ .



الوحي النفسي في انقداها تعتمد على التفكير في الاستنباط ، والمكاشفة تتأرجح بين الشك واليقين . أما الوحي فحاله فريدة مخالفة لا تخضع إلى التجربة أو التفكير ومتيقنة لا مجال معها للشك ، فضلا عن ان حالات الكشف والهام والإيحاء النفسي لا شعورية ولا إرادية ، والوحي ظاهرة شعورية تتسم بالوعي والأدراك التامين<sup>(١)</sup> .

ثم ان مصدر الإلهام والحدس الواقع ، هو باطني ( داخلي ) ومتأثر بالتجربة البشرية ، في حين ان مصدر الوحي هو خارجي غير متأثر بنفسه الداخلية أو أي تجربة بشرية ، وغير ملتزم بالحدود الطبيعية للعقل البشري ، لأنه يُنقل للإنسان حقائق تتجاوز نطاق إدراكه العقلي . أضف إلى أن القرآن الكريم ظل ينزل على النبي 9 ما يقارب الثلاث والعشرين سنة ، فهل يعقل إذن ان يلازم الحدس أو الإلهام أو أي حالة أخرى ابتدعها المستشرقون طيلة هذه السنين ويكون معه في كل ما مر من أحداث صغيرة وكبيرة شهدها الإسلام ؟ وهل يعقل ان تحمل هذه الحالات النفسية كل هذه الحكمة والأحكام وكل ما في القرآن من إعجاز ؟ .

ولعل مما يفند طروحات المستشرقين حول مصدر الوحي المحمدي ، هو الفارق الكبير بين النص القرآني ( الكلام الإلهي ) وبين الكلام النبوي ، فكلاهما تلقاهما المسلمون مباشرة من النبي 9 ، وبالتالي فالفارق كبير جداً بين النصيين ، الأول كلام إلهي والثاني كلام بشري ، فكيف إذن لشخص مهما بلغت إكانياته التعبيرية أن ينطق في وقت واحد بأسلوبين مختلفين ، ويصف الأول بأنه قرآن من عند الله ، ويصف الثاني بأنه حديث نبوي صادر منه عليه أفضل الصلاة والسلام . وكيف يتسنى له التمييز والتفريق بين نوعين من الكلام لكل منهما طابعه المميز

(١) محمد حسين علي الصغير ، " ظاهرة الوحي والمستشرقون " بحث منشور في كتاب المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي ، ( النجف - ١٩٨٦ ) ، ص ٩٦ - ٩٧ ؛ مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، ص ١٦٧ - ١٦٨ .



وصياغته الخاصة ؟ أليس من المنطق ان ينسب شرف تأليف القرآن إلى نفسه 9 لو كان فعلاً من إنشائه وتأليفه؟ (١) .

ان المتتبع لسيرة النبي الكريم في حركاته وعباراته ، وفي رضاه وغضبه وفي كل ما صدر عنه من أفعال وأقوال ، سيلاحظ حتماً بعض المواقف والحالات التي يمر بها لا تتناسب مع دعوى نسب القرآن إليه ، كالعتاب الإلهي أو الحث الإلهي للنبي 9 للقيام بما يتردد القيام به من الأوامر الإلهية . فقد وردت آيات متفرقة تبين مثل هذه الحالات ، كردود أفعال غير راضية لقيام النبي 9 بعمل ما ، وهذا بحد ذاته يبعد الفكرة القائلة بأن القرآن هو من صنع محمد 9 ، فكيف يؤلف القرآن وبالوقت عينه ينتقد نفسه . وهذا ما نلمسه في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ ... وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ... ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين أنهم أصحاب الجحيم ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ﴾ (٦) .

ولعل المنطق السليم يجد في التفريعات المؤلمة التي جاءت في عدد من آيات القرآن الكريم ، دليل على كونها صادرة من الله تعالى ، والا لو كانت صادرة

(١) ينظر : محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم . نظرات جديدة في القرآن ، ط ٢ ، دار القلم ، ( الكويت - ١٩٧٠ ) ، ص ٢٢ - ٢٣ ؛ التهامي نقرة ، " القرآن والمستشرقون " بحث منشور في كتاب مناهج المستشرقين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون ، ( الرياض - ١٩٨٥ ) ، ج ١ ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢) التحريم ، الآية (١) .

(٣) الأحزاب ، الآية (٣٧) .

(٤) التوبة ، الآية (٤٣) .

(٥) التوبة ، الآية (١١٣) .

(٦) الأنفال ، الآية (٦٧) .



عن وجدان النبي 9 ومُعبرة عن استنباط تفكيره ، أكان يعلنها عن نفسه أمام المسلمين بهذا الشكل من التهويل والتشنيع ؟ ألم يكن الأفضل له في السكوت عنها سترًا على نفسه ، وأستبقاءً لِحُرمة أقواله وأفعاله ؟ ان القرآن الكريم لو كان مثلما تصوّر وصوّر بعض المستشرقين فيفيض عن وجدانه 9 لكان بمقدوره عند الحاجة ان يكتم ما يريد إخفاءه من ذلك الوجدان ، ولو كان كاتماً شيئاً لكتّم أمثال هذه الآيات . ولكنه الوحي الإلهي الذي لا يستطيع كتمانهُ (١) .

## **نزول القرآن وأهمية التتابع الزمني لنزوله عند المستشرقين**

### **نزول القرآن الكريم**

ابتدأ التنزيل الإلهي للقرآن الكريم ، في شهر رمضان : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (٢) . وقد حُدِّدَ في ليلة القدر : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ (٣) .

(١) ينظر : محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، ص ٢٥ .

(٢) البقرة ، الآية ١٨٥ .

(٣) القدر ، الآية ١ . ومن الجدير بالذكر ، ان الاتفاق بين علماء المسلمين لم يحصل في تعيين ليلة القدر ، بخلاف ما اتفقوا عليه بشأن الشهر . ويرى أكثرهم أن ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان وهي من ليالي الأفراد مثلما تكرر عن النبي محمد 9 قوله في ليلة القدر : اطلبوها في العشر الأواخر وترأ أي ( أما ليلة الحادي والعشرين أو الثالث والعشرين أو الخامس والعشرين أو السابع والعشرين أو التاسع والعشرين ) . ولم يحصل القطع التام في تعيين هذه الليلة عند علماء المسلمين . لمزيد من التفصيل ينظر : أبو جعفر محمد بن الحسن بن





وقد حدث النزول الأول للقرآن في غار حراء ، إذ كان النبي محمد 9 معتاداً على الخروج إلى هذا المكان برفقة عائلته أو منفرداً بنفسه<sup>(١)</sup> ، وتفاصيل هذا النزول يرويها ابن أسحق على النحو التالي : ان رسول الله 9 خرج في شهر رمضان كما كان يفعل في السابق ، يصحب أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي تشرف فيها بنزول الوحي الإلهي ، جاءه جبريل B مأموراً من الله تبارك وتعالى . فكان هذا التبليغ ، الذي يروي أحداثه الرسول الكريم 9 ويقول : "فجأني وأنا نائم ، فقال : اقرأ ، فقلت وما اقرأ ! فعاد لي بمثل ذلك ، ثم قال : اقرأ ، فقلت : وما اقرأ ؟ وما أقولها آلا تنجياً ان يعود لي بمثل الذي صنع بي فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ ثم انتهى ، فأنصرف عني وهببت من نومي وكأنما صُور في قلبي كتاب "<sup>(٢)</sup> .

كان هذا بداية نزول القرآن الكريم ، النزول الذي رافق مسيرة النبي الأعظم طيلة ثلاثة وعشرين عاماً<sup>(٣)</sup> . إذ لم يُنزله الله تعالى دفعةً واحدة ، بل كان النزول مُنجزاً مفرقاً بحسب ما يقتضي سبب النزول وما يريد الأمر الإلهي ان يبينه للناس

علي الطوسي ( ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ) ، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق أحمد حبيب قصي العاملي ، مكتب الأعلام الإسلامي ، ( قم - ١٩٨٩ ) ، مج ١٠ ، ص ٣٨٤ ؛ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ( ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م ) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار احياء التراث العربي ، ( بيروت - ١٩٥٩ ) ، مج ٣ ، ص ٥١٨ ؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد أبي بكر بن فرج القرطبي ( ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م ) ، الجامع لإحكام القرآن ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، ( القاهرة - ١٩٥٢ ) ، ج ٢٠ ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .  
١ ) ينظر : محمد بن إسحاق بن يسار ( ت ١٥١ هـ / ٧٦٨ م ) ، سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث ، تحقيق محمد حميد الله ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ، ج ٢ ، ص ٩٧ - ١٠١ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ٦ ؛ الحسن بن عمر بن الحبيب ( ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م ) ، المقتفى من سيرة المصطفى ، تحقيق مصطفى محمد الذهبي ، دار الحديث ، ( القاهرة - ١٩٩٦ ) ، ج ١ ، ص ٥٢ .

٢ ) ينظر : ابن إسحاق ، سيرة ابن إسحاق ، ج ٢ ، ص ١٠١ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ١ ، ص ٥٣٢ .

٣ ) " هناك عدة أقوال في نزول القرآن الكريم ، فقليل : عشرون ؛ أو ثلاث وعشرون ؛ أو خمس وعشرون سنة . وهو مبني على الخلاف في مدة إقامته 9 بمكة بعد النبوة ، فقليل عشر سنوات ، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل خمس عشرة سنة . ولم يختلف في مدة إقامته بالمدينة أنها عشر " ينظر : محمد حسين علي الصغير ، تاريخ القرآن ، الدار العالمية ، ( بيروت - ١٩٨٣ ) ، ص ٣٧ .



، فقيل ان النزول كان في حدود الآية والآيتين والثلاث والأربع ، كما ورد نزول الآيات خمساً وعشراً وأكثر من ذلك وأقل ، كما قد صح نزول سورة كاملة<sup>(١)</sup> . وعلى هذا المنوال ظل القرآن ينزل نجوماً ، ليقرأه النبي 9 على مكث ويقرأه المسلمون شيئاً فشيئاً ، يتدرج مع الأحداث والوقائع والمناسبات التي يعيشها النبي 9 والمجتمع الإسلامي على مدى تلك السنين .

### الحكمة من تعدد النزول

كما هو معروف فإن الكتب السماوية السابقة قد انزلها الله تبارك وتعالى كاملةً على عباده ، ولكن الله تعالى شاء أن ينزل القرآن الكريم مذبذباً (مفرقاً) على النبي 9<sup>(٢)</sup> . وقد جاء تعليل هذا الأمر في قوله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ﴾<sup>(٣)</sup> . فجاء الجواب في قوله تعالى : ﴿ كذلك لثبت به فؤادك ﴾<sup>(٤)</sup> . أي لنقوي به فؤادك ، فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب ، وأشد عناية بالمرسل إليه ، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة .

وقيل في معنى " لثبت به فؤادك " أي لنحفظه لك ، فإنه عليه السلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ففرق عليه ليثبت عنده حفظه بخلاف غيره من الأنبياء . وقيل أيضاً إنما لم ينزل جملة واحدة لأن منه الناسخ والمنسوخ ، ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقاً ، ومنه ما هو جواب لسؤال ، وما هو إنكار على قول أو فعل<sup>(٥)</sup> .

(١) ينظر : محمد بن محمد بن محمد الغزي ( ت ١٠٦١هـ / ١٦٥٠م ) ، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، تحقيق خليل محمد العربي ، دار الفاروق الحديثة ، ( القاهرة - ١٩٩٤م ) ، ج ١ ، ص ١٢٢-١٢٣ .

(٢) محمد عبد الله المهدي البدري ، القرآن الكريم تأريخه وعلومه ، دار القلم ، ( دبي - ١٩٨٤ ) ، ص ٣٣ ؛ عبد الفتاح القاضي ، تاريخ المصحف الشريف ، مكتبة المشهد الحسيني ، ( القاهرة - لا . ت ) ، ص ٩ - ١٠ .

(٣) الفرقان ، الآية (٢) .

(٤) الفرقان ، الآية (٢) .

(٥) ينظر : الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن ، ج ٧ ، ص ٤٨٨ ؛ الزرقاني ، مناهل العرفان ، ج ١ ، ص ٣٩ .



ولإنزال القرآن الكريم مُنجماً فوائده وحكم كثيرة يمكن ان نقف على أهمها :

أولاً : في موقف المعارضة القرشية لدعوة النبي 9 ، فإن القرآن الكريم في كل مرة من مرات نزوله كان يتحدى المشركين والكفار ويدحض ادعاءاتهم ، فكان لهذا أكبر الأثر في لفت انتباه الناس إليه وجذب الكثير منهم لإعتناق الدين الإسلامي متأثرين بالكلام الإلهي .

ثانياً : بينما أستمروا الوحي بالنزول على النبي 9 طيلة سنوات الدعوة ، بكل ما فيها من شدة تصيبه وأحداث جسام يمر بها ، فكان عليه أفضل الصلاة والسلام يجد في نزول القرآن تفريجاً من الله تبارك وتعالى لهمومه وارتباطاً أقوى بربه وأنه دائماً إلى جانبه ، وهنا تتجلى أهمية النزول المفرق المتواصل على مدى سنين طويلة .

ثالثاً : وبالنسبة للمسلمين ، فإن النزول مُنجماً فيه تيسيراً لهم في الحفظ وتخفيفاً عليهم في العمل ، وتدرجاً بهم في التربية ، وترفقاً بهم في الإنسلاخ من عقائدهم وأعرافهم الباطلة إلى عقيدة التوحيد وشريعة الإسلام ، كما أنه تثبيتاً لإيمانهم ودفعاً لما قد يصيبهم من وساوس الشيطان وأقوال المنافقين .

رابعاً : والتنجيم هو خير وسيلة لإثبات عائدة القرآن إلى الله تبارك وتعالى ، فهو دليل قاطع وشهادة ناطقة له بالأعجاز حين تأتي الآية أو الآيات الجديدة لتوضع بأمر الله تعالى إلى جوار الآيات السابقة في النزول ولو كانت منذ سنتين ، فإذا بهن متجانسات متشابهات لا يحصل فيهما أي تناقض ، مثلما أشار لذلك قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾<sup>(١)</sup> .

خامساً : والمدقق في سيرة النبي الكريم 9 ، يجد حالات متعددة يظل فيها النبي 9 منتظراً للجواب الإلهي ، في حالات توجيه سؤال معين له أو النية في القيام بعملٍ

(١) النساء ، الآية (٨٢) .



مهم ، وانتظار الأمر الإلهي ولو طال عليه ، وهذا بحد ذاته شهادة له بالنبوة وبأنه لا ينطق عن الهوى من تلقاء نفسه وإنما هو وحياً يوحى إليه من الله تعالى ، ولو لم يكن كذلك لما احتاج عليه أفضل الصلاة والسلام للانتظار في إجابة الأسئلة واتخاذ القرارات المهمة .

### النتائج الزمنية للقرآنية عند المستشرقين

من بين المسائل المهمة التي توجه المستشرقين لدراستها في القرآن الكريم ، كان معالجة عنصر الزمن من خلال التسلسل الزمني للقرآنية . ولأن المستشرقين يفضلون التعامل مع القرآن ككتاب تاريخي ليس إلا ، حاولوا جاهدين إعادة ترتيب سورته بحسب زمن نزولها . معتقدين بذلك أنهم يقدمون خدمة جلييلة للمعرفة التاريخية . فكانت المحاولة الأهم في تأريخ الاستشراق تلك التي قام بها المستشرق الألماني تيودور نولدكه عام ١٨٦٠ . وأعقبها محاولة المستشرق الإنكليزي ادوارد سيل عام ١٨٩٨ .

### أولاً : محاولة تيودور نولدكه في إعادة ترتيب سور القرآن

لقد أفصح نولدكه بوضوح عن المنهج الذي اعتمده في الوصول إلى تسلسل زمني لسور القرآن ، فالمضمون وطبيعة الترتيب داخل النص القرآني من خلال الأسلوب والفكرة ، وما نقلته كتب السيرة والتاريخ الإسلامي المتقدمة ، هي المواد الأساسية التي اعتمدها نولدكه<sup>(١)</sup> في عمله هذا إلا أنه لم يخف معوقاً مهماً رافق عمله ، تمثل بعدم الوثوق بما جاء في الروايات الإسلامية ولا سيما ما يخص منها السنوات الهامة والمراحل المختلفة من حياة الرسول محمد 9 ، لاختلاف

(١) Noldeke , theodor , Geschichte des Gorans , (Germany-1961 ) , P P – 66 – 67 , 91 .



معظم تلك الروايات وعدم اتفاقها . وتعرض لمدة النبوة في مكة<sup>(١)</sup> كمثال عن تعدد واختلاف هذه الروايات<sup>(٢)</sup>.

ان طريقة نولده في وضع تسلسل زمني للقرآن ، كانت تقضي بتقسيم سورة إلى أربع مراحل هي كالتالي :

المرحلة الأولى : تبدأ بنزول القرآن الكريم ، أي من السنة الأولى من البعثة وحتى السنة الخامسة منها .

المرحلة الثانية : حددها نولده بالسنتين الخامسة والسادسة من البعثة .

المرحلة الثالثة : تبدأ من السنة السابعة من البعثة وحتى هجرة النبي الكريم 9 إلى مدينة يثرب .

المرحلة الرابعة : وتشمل السور المدنية جميعاً ، أي كل ما نزل بعد هجرة النبي 9 إلى مدينة يثرب .

## سور المرحلة الأولى

يرى نولده بأن أسلوب سور هذه المرحلة غلب عليه طابع الحماسة التي حركت النبي 9 في السنوات الأولى من البعثة . فالكلام كان مليئاً بالشجاعة ، ذا تصوير بلاغي وتنويع شعري ، انعكس في الآيات القصيرة ذات الحوار الإيقاعي العذب<sup>(٣)</sup> . كما يرى ان أفكار ومشاعر النبي الكريم تظهر احياناً بشكل غامض في مضمون النص القرآني<sup>(٤)</sup>. وان ما يميز سور هذه المرحلة عبارات القسم التي تتكرر في بدايات السور ، والتي يربطها نولده بما اعتاد عليه رجال الدين الوثنيين في بدأ

(١) ينظر : الهامش الثاني ، ص ٥٧ .

Ibid , P . 66 – 67 .

Noldeke , Geschichte des Qorans ,V. 1, P . 74 .

Ibid ,P . 74 .

(٢)

(٣)

(٤)



اقوالهم بقسم قوي غالباً ما يكون بمكونات الطبيعة كالليل والنهار ، والضوء والظلام ، والشمس والقمر والنجوم<sup>(١)</sup> .

حدد نولدكه سورة العلق ( ترتيبها في القرآن الحالي ٩٦ ) بأنها أول سورة نزلت من سور القرآن الكريم ، ولكنه بنفس الوقت يؤكد على ان الآيات ( ٦ . ١٩ ) تعود إلى فترات لاحقة وضيفت إلى الآيات<sup>(٢)</sup> الأولى من السورة . ثم أنه يعجز عن تحديد وقت نزول تلك الآيات بالضبط<sup>(٣)</sup> .

وتأتي سورة المدثر ( ترتيبها في القرآن الحالي ٧٤ ) بعد العلق بحسب ترتيب نولدكه ، الذي يرى بأن عبارة : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ مرتبطة بمناسبة نزول سورة العلق نفسها<sup>(٤)</sup> . ثم وضع سورة المسد ( ترتيبها في القرآن الحالي ١١١ ) بعد المدثر مستنداً في ذلك إلى علاقتها بموقف عم النبي 9 أبو لهب الراض بشدة والمعادي لإعتناق الدين الإسلامي<sup>(٥)</sup> . ثم وضع سورة قريش ( ترتيبها في القرآن ١٠٦ ) بعد المسد مشيراً إلى أنها نزلت قبل بداية الصراع بين النبي 9 وقريش . وتبعها سورة الكوثر ( ترتيبها في القرآن ١٠٨ )<sup>(٦)</sup> .

في حين وضع سورة الهمزة ( ترتيبها في القرآن ١٠٤ ) بعد سورة الكوثر وأعقبها بالترتيب بسورة الماعون ( ترتيبها في القرآن ١٠٧ ) ، وسورة التكاثر ( ترتيبها في القرآن ١٠٢ ) ، ثم سورة الفيل ( ترتيبها في القرآن ١٠٥ ) ، والتي يعبر

Ibid , P . 75 .

<sup>(٢)</sup> قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا

لَمْ يَعْلَم ﴾ العلق ، الآيات ( ١ - ٥ ) .

Ibid , P . 83 – 84 .

Ibid , P . 91 – 92 .

Noldeke , Geschichte des Qorans, V. 1, P . 92 .

Ibid , P . 92 .



عنها نولدكه ، بأنها أول سورة ورد فيها ذكر الكفار في قصة مهاجمة مكة<sup>(١)</sup>.  
واتبعها بسورة الليل ( ترتيبها في القرآن ٩٢ ) ، وسورة البلد ( ترتيبها في القرآن  
٩٠ ) وعلق على ما جاء في كتاب الإتقان حول هذه السورة من أنها سورة مدنية ،  
وأصر نولدكه على ان ذلك الرأي خاطئ<sup>(٢)</sup> .

ووصف السور المتبقية من هذه المرحلة ، بأنها سور ذات مضامين متشابهة  
ولكنه ( أي نولدكه ) في الوقت نفسه يحدد نقطة مهمة تتطابق بها هذه السور ،  
وهي عدم ورود أي ذكر لقتال الكفار ولا أي وصف للأحداث الأخيرة من العهد  
المكي<sup>(٣)</sup>. ووضع نولدكه بعد تلك السلسلة من السور المتقدمة ، سورتي الضحى  
والشرح ( ترتيبهما في القرآن الحالي ٩٤ و ٩٣ ) ، ويرى بأن الله تبارك وتعالى كان  
موسياً لنبيه فيهما<sup>(٤)</sup>. واعقبهما بسورة القدر ( ترتيبها في القرآن ٩٧ ) والتي يقول  
يقول عنها : " فقد عُدت خطأً مدنية بسبب روايات وردت في الأتقان "<sup>(٥)</sup> . ثم سورة  
الطارق ( ترتيبها في القرآن ٨٦ ) . بعدها سورة الشمس ( ترتيبها في القرآن ٩١ )  
والتي أشار نولدكه إلى ما تضمنته من عبارات القسم . ثم سورة عبس ( ترتيبها في  
القرآن ٨٠ ) وفي هذه السورة يشير نولدكه إلى نوم الله تبارك وتعالى للنبي الكريم  
محمد 9 بأن يستمر بنشر الدين الإسلامي وان لا يصغي إلى فاقد البصيرة الذين  
لا يؤمنون<sup>(٦)</sup>.

ثم سورة القلم ( ترتيبها في القرآن ٦٨ ) والتي يشير نولدكه إلى كونها  
مرتبطة في موضوعها بأول سور القرآن نزولاً ، ويقول عنها : " من المحتمل ان تُعد  
كلمة " والقلم " التي تبدأ بها السورة مقدمة لسورة ٩٦ - أي سورة العلق . ... لكن

Ibid , P . 93 .

Ibid , P. 93 – 94 .

Ibid , P . 94 .

Ibid , P . 94 – 95 .

Ibid , P . 95 .

Noldeke , Gsechichte des Qorans, V.1,P . 95 .

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)



الآيات من ١٧ . ٣٣ ، والآيات من ٤٨ . ٦٠ قد تكون أضيفت في المرحلة الثانية من الحقبة المكية<sup>(١)</sup> .

بعدها وضع سورة الأعلى ( ترتيبها في القرآن ٨٧ ) التي يجد فيها إشارة للصلاة والأدعية ولكنها معلومات غير منظمة ، ولذلك استبعد ان تكون هذه السورة مدنية ، والشئ نفسه حدث مع سورة التين ( ترتيبها في القرآن ٩٥ ) التي أشارت الآية الثالثة<sup>(٢)</sup> منها إلى مكة كمكان مقدس<sup>(٣)</sup> . وتعقبها ضمن تسلسل نولدكه الزمني سورة العصر ( ترتيبها في القرآن ١٠٣ ) والتي يشك نولدكه بأنها ناقصة<sup>(٤)</sup> . وجاءت سورة البروج ( ترتيبها في القرآن ٨٥ ) بعد العصر ، التي أشار فيها نولدكه إلى ان الآيات ( ٨ . ١١ ) قد أضيفت مؤخراً من قبل النبي ٩ ، مستنداً في هذا إلى ان هذه الآيات هي أطول من أخواتها في السورة نفسها ، يضاف لذلك ان أسلوب كلامها مطول وذو إيقاع ضعيف<sup>(٥)</sup> .

ثم تتبعا سورة الزمّل ( ترتيبها في القرآن ٧٣ ) التي يؤكد نولدكه على ان الآية ( ٢٠ ) منها هي مدنية ، ويستغرب ان المسلمين لم ينتبهوا إلى هذا الأمر . ثم سورة القارعة ( ترتيبها في القرآن ١٠١ ) . ثم سورة الزلزلة ( ترتيبها في القرآن ٩٩ ) . ثم وضع سورتي الأنفطار والتكوير ( ترتيبهما في القرآن ٨٢ و ٨١ ) . وبعقبهما بسورة النجم ( ترتيبها في القرآن ٥٣ )<sup>(٦)</sup> . وبعدها سورة الأنشاق ( ترتيبها في القرآن ٨٤ ) . ثم سورة العاديات ( ترتيبها في القرآن ١٠٠ ) وأشار نولدكه

Ibid , P . 96 .

(١)

(٢) قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ التين ، الآية (٣) .

Ibid , P . 96 .

(٣)

Ibid, P . 96 .

(٤)

Ibid , P. 97 – 98 .

(٥)

Noldeke , Geschichte des Qorans, V.1, P . 98 – 99 .

(٦)





إلى ان البعض من المسلمين قد عدوها خطأً مدنية ، لإعتقادهم بأن الآيات الأولى منها تخص الدواب التي استخدمها النبي 9 في حروبه خلال العهد المدني<sup>(١)</sup> .  
ومن ثم سورة النازعات ( ترتيبها في القرآن ٧٩ ) ويقسمها نولدكه إلى ثلاثة أجزاء : الأول من الآية ١ . ١٤ ، والثاني من الآية ١٥ . ٢٦ ، والثالث من الآية ٢٧ . ٤٦ ، ويرى بأن الجزء الثالث كان متأخراً عن الجزئين الأول والثاني<sup>(٢)</sup> . ثم تأتي سورة المُرسَلات ( ترتيبها في القرآن ٧٧ ) . وسورة النَّبَأ ( ترتيبها في القرآن ٧٨ ) . وسورة الغَاشية ( ترتيبها في القرآن ٨٨ ) . وسورة الفجر ( ترتيبها في القرآن ٨٩ ) . ثم سورة القيامة ( ترتيبها في القرآن ٧٥ ) ويؤكد نولدكه على ان الآيتين ( ١٦ و ١٩ ) لا ترتبطان بباقي آيات هذه السورة<sup>(٣)</sup> .  
ثم تأتي سورة المطففين ( ترتيبها في القرآن ٨٣ ) ويرى نولدكه ان خلافاً قائماً بشأن تحديد زمن نزولها ، فالبعض يعدّها من أواخر العهد المكي وآخرين يعدّوها مدنية ، وهناك رأي ثالث يقول انها نزلت بين مكة والمدينة<sup>(٤)</sup> . ثم سورة الحَاقَّة ( ترتيبها في القرآن ٦٩ ) . وبعدها سورة الذَّارِيَات ( ترتيبها في القرآن ٥١ ) . وسورة الطُّور ( ترتيبها في القرآن ٥٢ ) ويؤكد نولدكه على ان الآية ( ٢٤ ) منها تعود للمرحلة الثانية من المراحل التي افترضها هو ، كونها أخلت بترابط الآيات وكانت أكثرهنَّ طولاً<sup>(٥)</sup> .

تأتي بعدها سورة الواقعة ( ترتيبها في القرآن ٥٦ ) . ثم سورة المعارج ( ترتيبها في القرآن ٧٠ ) والتي يرى نولدكه في ان بدايتها كانت مرتبطة مع بداية

Ibid , P P . 100 – 103 .

Ibid , P . 104 .

Ibid , P . 104 – 105 .

Ibid , P . 105 .

Noldeke , Geschichte des Qorans ,V.1, P . 105 – 106 .

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)



سورة (٥٦) ، ويقرر ان الآيات ( ٣٢.٣٠ ) هي آيات اشتقت من سورة المؤمنون<sup>(١)</sup> . ثم سورة الرحمن ( ترتيبها في القرآن ٥٥ ) . وجاءت بعدها سورة الإخلاص ( ترتيبها في القرآن ١١٢ ) . ثم سورة الكافرون ( ترتيبها في القرآن ١٠٩ )<sup>(٢)</sup> . ثم تأتي باقي سور المرحلة الأولى على التوالي : سورتى الفلق والناس ( ترتيبها في القرآن ١١٣ و ١١٤ ) ويعلق نولدكه على اسلوب هاتين السورتين بقوله : " بهذا يكون مضمون كلتا السورتين ...أثّر فينا كثيراً . ففي جميع انحاء العالم تكون أقوال السحرة والسحر لها اسلوب كلامي ولغوي مختلف . وببساطة فأن محمد كان قد ألف في سنواته الأخيرة صيغ ساحرة ، التي ابتعدت عن الأسلوب السائد للسور المدنية واقتبس كثيراً من الأسلوب الوثني القديم"<sup>(٣)</sup> . ويضع نولدكه سورة الفاتحة ( ترتيبها في القرآن ١ ) في نهاية سور المرحلة الأولى ، ومع هذا يرى ان تأريخ نزولها قد يكون أقدم من هذا الموقع ، مستنداً إلى ان " علاقتها الأدبية " على حد تعبيره لم تكن واضحة عما تلاها من السور القرآنية<sup>(٤)</sup> .

### سور المرحلة الثانية

يصف نولدكه سور المرحلة الثانية ، بأنها لم تتسم بميزة خاصة بها ، فبعضها مماثل لسور المرحلة الأولى ، وبعضها الآخر مماثل لسور المرحلة الثالثة ، ولكن ما يلاحظ عليها ، انها انتقلت من طابع الحماس الشديد الذي تميزت به سور المرحلة الأولى إلى الهدوء الكبير في الكثير من السور الواقعية . ويبرر نولدكه هذا الانتقال لحرص الرسول الكريم 9 بكسر ومحو الأكدوبة بأنه شاعر أو ساحر<sup>(٥)</sup> .

Ibid , P . 106.

Ibid , P . 106 – 107 .

Ibid , P . 109 .

Ibid , P . 112 .

Noldeke , Geschichte des Qorans,V.1, P . 117 – 118 .

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)



ايضاً يجد نولدكه ان النبي محمد 9 قد تطرق إلى جملة من الأمثلة عن الطبيعة والتأريخ في سور المرحلة الثانية وان آثار الطابع الشعري المؤلف في السور القديمة انخفض هنا وقل وربما انعدم<sup>(١)</sup> . ولكن التصويرات ( الأوصاف ) كانت دائماً أشمل وأوسع ، ويظهر الهدوء في الطول التدريجي للآيات ، كما ان الذكر المتكرر للعقائد لاسيما ما يخص منها معرفة الرب بالطبيعة ، والقصص الطويلة لحياة الرسل القدامى ، التي تُعد بمثابة تحذير للأعداء ، ومواساة للأتباع<sup>(٢)</sup> .

ويؤكد نولدكه على ان اسلوب سور المرحلة الثانية اختلف عن اسلوب سور المرحلة الأولى ، ولذلك فقد تطلب الأمر صيغ كلامية حديثة لعدم استخدام الصيغ القديمة ، فعلى سبيل المثال اختلفت عبارات القسم المميزة لسور المرحلة الأولى<sup>(٣)</sup> ، ليتسم القسم هنا بالطول تارةً ، وبالصيغ القصيرة تارةً أخرى مثل " والقرآن " ، " والكتاب "<sup>(٤)</sup> .

حدد نولدكه سورة القمر ( ترتيبها في القرآن ٥٤ ) كأول السور نزولاً من المرحلة الثانية ، ثم سورة الصافات ( ترتيبها في القرآن ٣٧ ) والتي يقسمها إلى أجزاء ، ويرى ان آياتها ( ١ . ٧٠ ) تؤكد على يقين يوم الحساب إزاء شك وريبة اهالي مكة ، بينما أوضح ان الآيات ( ٧٣ . ١٤٨ ) تناولت قصص سبع من الأنبياء السابقين ، وان الآيات ( ١٤٩ . ١٦٦ ) اشارت إلى شرك أهل مكة<sup>(٥)</sup> .

Ibid , P . 119 .

(١) عن عبارات القسم في سور المرحلة الأولى راجع ص ٦١ .

Ibid , P . 119 – 120 .

Ibid , P . 120 .

Noldeke , Geschichte des Qorans, V.1, P P . 121 – 123 .



ثم سورة ذُوح ( ترتيبها في القرآن ٧١ ) . بعدها سورة الإنسان ( ترتيبها في القرآن ٧٦ ) وقد وضعها نولدكه في هذا الموضع على الرغم من قوله عنها : " وُعدت على انها تقتصر على عصر ما بعد الهجرة " (١) . أي انها سورة مدنية . تأتي بعدها سورة النّخان ( ترتيبها في القرآن ٤٤ ) . وسورة ق ( ترتيبها في القرآن ٥٠ ) ، آلا أنه عُدّ الآية (٣٧) منها على أنها مدنية . ثم سورة طه ( ترتيبها في القرآن ٢٠ ) . وسورة الشعراء ( ترتيبها في القرآن ٢٦ ) (٢) . وسورة الحجر ( ترتيبها في القرآن ١٥ ) ويذكر نولدكه ان فيها آيتان قديمتان هما ( ٨٩ و ٩٤ ) (٣) وتعودان إلى أيام الدعوة الأولى ، ولكن أسلوب وطريقة الكلام في السورة لا يعود إلى نفس الفترة القديمة (٤) .

ثم سورة مريم ( ترتيبها في القرآن ١٩ ) . وسورة ص ~ ( ترتيبها في القرآن ٣٨ ) . ثم سورة يس ( ترتيبها في القرآن ٣٦ ) . ثم سورة الزخرف ( ترتيبها في القرآن ٤٣ ) والتي يرى نولدكه بأن أجزاء من آياتها ترجع إلى فترات مختلفة (٥) .

ثم سورة الجنّ ( ترتيبها في القرآن ٧٢ ) التي عبرت عن عودة النبي 9 من الطائف ، وكيف استمع نفر من الجن للقرآن ، ونولدكه لا يتوانى في الإشارة إلى ان هذه السورة قد تعود إلى وقت آخر وتحديداً إلى رحلة النبي 9 إلى الحجاز ( تبوك في ٩هـ ) (٦) . ثم سورة الملك ( ترتيبها في القرآن ٦٧ ) وبشأنها يقول نولدكه ان

(١) Ibid , P . 124 .

(٢) Ibid , P . 125 – 126 .

(٣) قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴾ الحجر ، الآية ٨٩ . ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

الحجر ، الآية ٩٤ .

(٤) Ibid , P P . 127 – 129 .

(٥) Ibid , P P . 130 – 131 .

(٦) Noldeke , Geschichte des Qorans , V.1, P P . 132 - 133 .



البعض من المسلمين عدوها مدنية بسبب طولها الذي يشبه طول سور الحديد والتحرير المدنيتين<sup>(١)</sup>.

تأتي بعدها سورة المؤمنون (ترتيبها في القرآن ٢٣) ، وأشار إلى الآية (٧٨)<sup>(٢)</sup> منها على أنها عدت خطأ مدنية بسبب اشارتها إلى معركة بدر<sup>(٣)</sup>. وسورة الأنبياء (ترتيبها في القرآن ٢١) . وسورة الفرقان (ترتيبها في القرآن ٢٥) . وسورة الإسراء (ترتيبها في القرآن ١٧) والتي يجدها نولدكه انها تحدثت عن مسرى الرسول الكريم 9 من مكة إلى القدس ، ويبيدي اعتراضاً قوياً حول الآية رقم (١) والتي لا يرى بأنها متوافقة ومترابطة مع ما يليها من آيات ، وعليه فهو يتفق مع رؤية استشراقية قائمة على أساس ان آيات أخرى تلي الآية رقم (١) قد اختفت ، أو ان هذه الآية ضمت إلى القرآن بعد وفاة النبي 9<sup>(٤)</sup>. ثم تتبعها سورة النمل (ترتيبها في القرآن ٢٧) . وأخيرا سورة الكهف (ترتيبها في القرآن ١٨)<sup>(٥)</sup>.

### سور المرحلة الثالثة

وحين يتعرض لسور المرحلة الثالثة من الحقبة المكية يبدأ بالقول : " ان ما تم التطرق إليه في المرحلة الثانية من ناحية الأسلوب واللغة بشكل تدريجي ، يتم ذكره هنا في المرحلة الثالثة بشكله النهائي ، فاللغة كانت متراخية ، ضعيفة وواقعية ، التكرارات المتعددة التي لم يخشها النبي وخاصة تلك الكلمات التي تملك الحُجج والبراهين الواضحة التي لا تقنع ، إلا من لديه إيماناً وتصديقاً بالحصيلة النهائية ،

(١) Ibid , P . 133 .

(٢) قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ المؤمنون ، الآية ٧٨ .

(٣) Ibid , P . 134 .

(٤) Ibid , P P . 134 – 136 .

(٥) Ibid , P . 140 – 141 .



تلك التكرارات تجعل الأوحية غالباً مُملة من كثرة تردها ، ولكن من لم يهتم للغة الأصل وللمسائل الدينية وتتابعها التاريخي ، لم يبال لقراءة الأجزاء المتأخرة من القرآن مرة أخرى أو الثالثة<sup>(١)</sup>.

ثم يذكر ما امتازت به سور هذه المرحلة من طول واتساع في آياتها والألتزام غالباً بقافية معينة . وايضاً من مميزات هذه المرحلة عبارة ( يأيها الناس ) التي كانت تتردد كثيراً في حديث النبي 9 الواقعي . ويؤكد نولدكه على ان سور المرحلة الثالثة لم يظهر عليها أي تطور ، ولذلك فمن الممكن تصور تسلسل تأريخي أقل مما تم للسور السابقة . وهو يضع سورة السَّجدة ( ترتيبها في القرآن ٣٢ ) كأول سور هذه المرحلة نزولاً وهو يؤكد على ان الآيات ( ١٦ ، ١٨ ، ٢٠ ) قد عدت خطأً مدنية ، بالاستناد إلى روايات تاريخية خاصة بالمهاجرين الفقراء وارتباطها بمعركة بدر وما حدث فيها<sup>(٢)</sup> .

وتأتي بعدها سورة فُصِّلت ( ترتيبها في القرآن ٤١ ) . وسورة الجاثية ( ترتيبها في القرآن ٤٥ ) . وسورة النَّحل ( ترتيبها في القرآن ١٦ ) . وسورة الرُّوم ( ترتيبها في القرآن ٣٠ ) . وسورة هُود ( ترتيبها في القرآن ١١ )<sup>(٣)</sup> . وسورة إبراهيم ( ترتيبها في القرآن ١٤ ) وقد أشار نولدكه إلى الآيات ( ٣٣ - ٣٤ ) التي عدتها المفسرون المسلمون تخص الأقرشيين في معركة بدر ، وهي نظرة خاطئة برأي نولدكه<sup>(٤)</sup> . وسورة يُّوسف ( ترتيبها في القرآن ١٢ ) والتي يراها متميزة عن بقية السور الكبيرة الأخرى كونها تتحدث عن موضوع واحد وهو قصة نبي الله يوسف B باستثناء بعض الآيات القليلة جداً<sup>(٥)</sup>.

Noldeke , Geschichte des Qorans ,V.1, P . 143 .

Ibid , P . 144 .

Ibid , P P . 145 – 152 .

Noldeke, Geschichte des Qorans ,V.1, p . 152 .

Ibid , P . 152 – 153 .

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)



ثم تأتي سورة غافر ( ترتيبها في القرآن ٤٠ ) ويرى نولدكه ان الآية (٥٨)<sup>(١)</sup> منها تعود إلى العهد المدني كونها خاصة باليهود . وسورة القصص ( ترتيبها في القرآن ٢٨ ) ولا يتوانى نولدكه على ان يقول بخصوص الآية (٥٢)<sup>(٢)</sup> ، بأن البعض من المسلمين عدها خطأً نزلت بحق المسيحيين الذين وفدوا على النبي محمد 9 في المدينة<sup>(٣)</sup>.

ثم سورة الزمر ( ترتيبها في القرآن ٣٩ ) ويرجح نولدكه على ان الآيات ( ٥٤ . ٦١ ) قد تكون خاصة بالوحشي الذي قتل عم النبي 9 الحمزة بن عبد المطلب ، وبذلك فهي مدنية النزول ، وأشار إلى ما عده البعض من الآيات ( ١٣ و ٢٤ )<sup>(٤)</sup> ، يخصان ما بعد الهجرة إلى المدينة<sup>(٥)</sup>.

ثم سورة العنكبوت ( ترتيبها في القرآن ٢٩ ) والتي عد البعض آياتها ( ١٠٠١ ) على انها مدنية<sup>(٦)</sup>. وسورة لقمان ( ترتيبها في القرآن ٣١ ) إذ علق نولدكه على قصة قصة لقمان الواردة في السورة بقوله : " وقد تكون قصة لقمان أضيفت وأكملت فيما

<sup>(١)</sup> قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ غافر ، الآية ٥٨ .

<sup>(٢)</sup> قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنِّي آتَيْتَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ القصص ، الآية ٥٢ .

<sup>(٣)</sup> Ibid , P . 154 .

<sup>(٤)</sup> قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿ أَفَمَنْ يَتَّبِعِيْ بَوَّجْهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ الزمر ، الآيات ١٣ ، ٢٤ .

<sup>(٥)</sup> Ibid , P . 154 – 155 .

<sup>(٦)</sup> Ibid , P 156 .



بعد<sup>(١)</sup> أي في الحقبة المدنية وهو يؤكد إلى الآيتين (٢٦ و ٢٨)<sup>(٢)</sup> على انهما يشيران إلى اليهود في المدينة وبهذا فأنهما نزلتا هناك<sup>(٣)</sup> .  
بعدها سورة الشورى ( ترتيبها في القرآن ٤٢ ) . وسورة يونس ( ترتيبها في القرآن ١٠ ) وفيها مجموعة من الآيات عُدت خطأً مدنية مثلما يعبر عنها نولدكه ، ومنها الآية (٤١)<sup>(٤)</sup> التي نسبوها إلى اليهود ، والآيات (٩٤ . ٩٦) و ( ٥٩ . ٦٠ ) والتي عدها البعض بأنها أقدم آيات القرآن . والشئ نفسه في السورة التي تليها وهي سورة سبأ ( ترتيبها في القرآن ٣٤ ) وآيتها (١٢) التي يرد بها ذكر اليهود . ثم سورة فاطر ( ترتيبها في القرآن ٣٥ )<sup>(٥)</sup> . وسورة الأعراف ( ترتيبها في القرآن ٧ ) والتي قسمها نولدكه إلى خمسة أقسام : الآيات (١ . ٥٦) تتضمن تغيير آدم وحديث الموعظة لأبنائه ، والآيات (٥٧ . ١٠٠) بعث الأنبياء القدامى نوح ، صالح وشعيب ، الآيات (١٠١ . ١٧٣) موسى والمصير الأخير لليهود ، الآيات (١٧٤ . ١٨٥) حول عدو مجهول للرب ، وأخيراً الآيات ( ١٨٦ . ٢٠٥ ) حول قيام القيامة ( الساعة الأخيرة من الدنيا ) . وبعد تقسيمه سورة الأعراف إلى هذه الأجزاء يعلق ويقول : " على الرغم من عدم وجود أي صلة قوية بين تلك الأجزاء ، لكن النبي محمد سعى مشكوراً لجمع وتوحيد تلك الأجزاء معاً"<sup>(٦)</sup> . وهو يحدد مجموعة من

(١) Noldeke , Geschichte des Qorans ,V.1, P . 157 .

(٢) قوله تعالى : ﴿ لِّلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُ ﴾ . لقمان ، الآية ٢٦ . ﴿ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَمُوتُكُمْ اِلَّا كَنَفْسٍ وَّاحِدَةٍ اِنَّ اللّٰهَ سَمِيْعٌ بَصِيْرٌ ﴾ . لقمان ، الآية ٢٨ .

(٣) Ibid , P . 157 .

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَاِنْ كَذَّبُوْكَ فَقُلْ لِيْ عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ اَنْتُمْ بَرِيْءٌ مِّمَّا عَمَلْتُ وَاَنَا بَرِيْءٌ مِّمَّا تَعْمَلُوْنَ ﴾ . يونس ، الآية ٤١ .

(٥) Ibid , P . 158 .

(٦) Ibid , P . 158 .





الآيات التي وردت في السورة ليؤكد على انها آيات مدنية ومنها : ١٦٣ ، ١٩٨ ، ٢٠٣ ، (١٥٦ . ١٥٨) (١).

ثم تأتي سورة الأحقاف ( ترتيبها في القرآن ٤٦ ) ويعلق نولدكه على بعض آياتها بالقول : " وفقاً للسنة ( المذهب السني ) عدت الآية (١٤) (٢) على انها تعود لأبو بكر ، ويبدو ان هذا الموروث . التفسير . وجد لتبرير خلافته ... هذا ما لا يمكن اصدار الحكم فيه . ولهذا فأن نص الآيات ١٤ . ١٦ على الإطلاق لم يحدد شخصية معينة ، وانما تؤكد على البر والأحسان كصفحة مهمة للإنسان المؤمن إزاء والديه " (٣) .

بعدها سورة الأنعام ( ترتيبها في القرآن ٦ ) وأكد نولدكه على ان بعض آياتها ترجع إلى ما بعد الهجرة ومنها الآيات ٢٠ ، ٩٣ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ . وآخر سور المرحلة الثالثة والحقبة المكية ضمن التسلسل الزمني لسور القرآن والذي افترضه نولدكه ، كانت سورة الرعد ( ترتيبها في القرآن ١٣ ) (٤).

### سور المرحلة الرابعة ( السور المدنية )

توصل نولدكه إلى ان سور المرحلة الرابعة ( السور المدنية ) كانت تحتوي على تباين كبير من ناحية الأسلوب إزاء الفترة المكية . ويضاف لذلك استخدام

(١) Noldeke , Geschichte des Qorans, V.1, P. 159 .

(٢) قوله تعالى : ﴿ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون . ووصينا الإنسان بالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحماةً وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين . أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا وتجاورن عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ . الأحقاف ، الآيات ١٤ - ١٦ .

(٣) Ibid , P. 160 .

(٤) Ibid , P. 162 .



كلمات وتعابير جديدة وفق ما يقتضيه النص القرآني ولكنها غير مألوفة في سور العهد المكي<sup>(١)</sup> .

وعلى أية حال تتضمن هذه السور مواقع ومواضيع مليئة بالحيوية وهي بصورة عامة مواضيع خاصة بالقوانين والأوامر والوصايا القصيرة . من ناحية أخرى فإن تماثل المضمون أدى إلى ان تتجمع الأوحية المدنية المنفردة في سورة واحدة ، وعليه فإن السور المدنية نجدها من أطول السور القرآنية<sup>(٢)</sup> .

وأول السور المدنية يحددها نولدكه ، هي سورة البقرة ( ترتبها في القرآن الحالي ٢ ) وهو يراها بهذا الموقع كونها أقدم السور المدنية ، لأن الجزء الأكبر منها ينحدر من السنة الثانية للهجرة وتحديداً من المدة التي سبقت معركة بدر . ويرى نولدكه أيضاً بأن الجزء الأكبر من السورة من آية ( ١٩ . ١ ) هو مكي متأخر النزول . أما الجزء الثاني من الآية ( ١٩ . ٣٧ ) فلا يجد نولدكه أي دليل على كونه مدني ، بل على العكس لديه ما يشير إلى أنه مكي وهو يقرر بأن الآيات ( ٩٨ . ١١٥ ) تعود إلى وقت تحديد القبلة<sup>(٣)</sup> ، بينما يرجح في الآيات ( ١١٦ . ١٣٥ ) انها حاولت ان تثبت تأثير الكعبة ودين إبراهيم على اليهودية . أما الآيات ( ١٤٨ . ١٥٢ ) فيراها حديثة العهد أي ما بعد معركة بدر . وهو يرجح في الوقت نفسه فقدان بعض الكلمات أو الآيات من الآيات ( ١٥٨ . ١٦٢ )<sup>(٤)</sup> . ويرى بأن الآيات ( ١٨٦ . ١٨٩ ) تشير إلى الحرب وتسمح للمسلمين بأن يدافعوا عن أنفسهم بالسلاح ضد أهل مكة ، ولذلك فهو يشك ان هذا الجزء من السورة يعود لحقبة فتح مكة أو لحقبة حملة الحديبية عندما توجه النبي والمسلمين للعمرة في السنة السادسة من الهجرة

Noldeke , Geschichte des Qorans ,V.1, P . 171.

Ibid , P . 172 .

Ibid , P . 174 – 175 .

Ibid , P . 177 – 178 .

(١)

(٢)

(٣)

(٤)



متخذاً احتياطات حربية. كما انه يُعترض على ترتيب الآيات ٢٢٠ ، ( ٢٢٣ - ٢٣٨ ) ، ( ٢٤١ - ٢٤٣ ) كونها لا تعطي أي دليل عن إثباتها الزمني<sup>(١)</sup> .  
بينما يرى نولدكه في الآيات ٢٤٤ ، ( ٢٤٧ - ٢٥٧ ) على أنها ساهمت في تأجيج مشاعر الشجاعة والطاعة لدى المسلمين من خلال أمثلة من القصص القرآني<sup>(٢)</sup>.

في حين عدّ الآيات ( ٢٧٨ - ٢٨١ ) عائدة إلى الأجزاء الأخيرة من القرآن ، لأن نزولها كان عند حجة الوداع والتي أشارت إلى الفوائد التي يجنيها العباس عم النبي وموضوع الربا<sup>(٣)</sup> .

بعدها في الترتيب سورة السّنة ( ترتيبها في القرآن ٩٨ ) رغم ان هناك من عدّها مكية كونها تشابه في صياغتها أسلوب السور المكية المتأخرة على حد تعبير نولدكه<sup>(٤)</sup> . ثم سورة الجمعة ( ترتيبها في القرآن ٦٢ ) ويراها نولدكه موجه ضد اليهود . ثم سورة الأنفال ( ترتيبها في القرآن ٨ ) والتي حدد زمنها كآتي : الجزء الأكبر منها يعود إلى انتصار المسلمين في معركة بدر وقسمة الغنائم وهي زمنياً أقدم من باقي آيات السورة ، والتي يراها نولدكه قد نزلت لاحقاً بحقب متتالية ومتباعدة<sup>(٥)</sup>.

ثم سورة محمد ( ترتيبها في القرآن ٤٧ ) ويرجح نولدكه على ان تكون هذه السورة قد نزلت بعد معركة بدر ، لأن الجزء الثاني منها يضم إلى جانب ذكر المنافقين<sup>(٦)</sup> المقاتلين المترددين في القتال مع الرسول<sup>(١)</sup>.

(١) Noldeke , Geschichte des Qorans ,V.1, P . 182 – 183 .

(٢) Ibid , P . 185 .

(٣) Ibid , P . 185 .

(٤) Ibid , P . 186 .

(٥) Ibid , P . 187 .

(٦) قوله تعالى : ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ... وَلْيَاوَدَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَدَّبُّوا أَخْبَارَكُمْ ﴾ محمد ، الآيات ( ٢٢ - ٣١ ) .



ثم سورة آل عمران ( ترتيبها في القرآن ٣ ) إذ لم يستطيع نولدكه ان يحدد زمن نشوء الجزء الأول منها ، وهي الآيات ( ١٠٦ . ١ ) ، في حين رأى ان الآيات ( ١٣١ . ١٥٤ ) ترجع زمنياً إلى وقت حدوث معركة أُحد<sup>(٢)</sup> .

بعدها تأتي سورة الصَّف ( ترتيبها في القرآن ٦١ ) . وسورة الحديد ( ترتيبها في القرآن ٥٧ ) ويرجح نولدكه وقت نزولها ما بين معركة أُحد وغزوة الأحزاب<sup>(٣)</sup> . وهي تشابه في موقعها سورة النساء والتي وضعها نولدكه بعد الصَّف ( ترتيبها في القرآن ٤ ) وهو يحدد زمن نزولها ما بين السنة الثالثة والسنة السادسة من الهجرة ، ويستدل على ذلك بما ذكرته آيات السورة في مواقع مختلفة منها من شواهد على هذا الزمن<sup>(٤)</sup> .

ثم يضع سورة الطلاق ( ترتيبها في القرآن ٦٥ ) ، وتليها ضمن سلسلة نولدكه سورة الحشر ( ترتيبها في القرآن ٥٩ )<sup>(٥)</sup> ، وسورة الأحزاب ( ترتيبها في القرآن ٣٣ ) ، وسورة المنافقون ( ترتيبها في القرآن ٦٣ ) والتي يراها نولدكه قد وضعت قبل غزوة بني المصطلق بمدة وجيزة ، ويستبعد في الوقت نفسه الآيات ( ٩ . ١١ ) إلى زمن آخر<sup>(٦)</sup> .

ويعقب بسورة النور ( ترتيبها في القرآن ٢٤ ) ، وسورة المجادلة ( ترتيبها في القرآن ٥٨ )<sup>(٧)</sup> ، بعدها سورة الحج ( ترتيبها في القرآن ٢٢ ) والتي يرى نولدكه بأن جزءاً كبيراً منها قد نزل في الحقبة الثالثة قبل الهجرة ، فيقسم آيات السورة إلى مكية ومدنية بحسب قوله الآتي : " وتكون الآيات من ١ . ٢٤ والتي تربط بالآيات ٥ -

Ibid , P . 188 – 189 .

Noldeke , Geschichte des Qorans ,V.1, P . 190 .

Ibid , P . 193 – 194 .

Ibid , P . 195 – 196 .

Ibid , P . 205 – 206 .

Ibid , P P . 207 – 210 .

Ibid , P 210 – 211 .



٧ على انها مكية، أما الآيات ٤٣ . ٥٦ ، ٦٠ . ٦٥ ، ٦٧ . ٧٥ عدت دون حجة على انها مدنية<sup>(١)</sup> . وعد الآيات ٢٥ . ٣٨ آيات مدنية ايضاً<sup>(٢)</sup> .  
بعدها سورة الفتح ( ترتيبها في القرآن ٤٨ ) مُحدداً زمن نزولها بعد صلح الحديبية ، واعقبها بسورة التحريم ( ترتيبها في القرآن ٦٦ ) ، ثم سورة الممتحنة ( ترتيبها في القرآن ٦٠ ) ، وسورة النصر ( ترتيبها في القرآن ١١٠ ) ، وسورة الحجرات ( ترتيبها في القرآن ٤٩ )<sup>(٣)</sup>، ثم يضع سورة التوبة ( ترتيبها في القرآن ٩ ) ويعلق نولدكه على الآية (١١٣)<sup>(٤)</sup> من السورة فيقول : " يشير الموروث إلى ان هذا الجزء أما يعود إلى موت أبو طالب قبل الهجرة ، أو إلى زيارة النبي محمد إلى قبر أمه ، إذ منعه الله من ان يصلي لها . ان الإشارة الأولى غير ممكنة من ناحية التسلسل الزمني ، وقد يكون الثاني ممكن في حالة احتواء النص على حدث معين ، لكونها تتحدث عن أفكار بصورة عامة لعصر المدينة"<sup>(٥)</sup> . ويختم نولدكه ترتيب السور القرآنية ، بسورة المائدة ( ترتيبها في القرآن ٥ )<sup>(٦)</sup> .

Noldeke Geschichte des Qorans , V.1,P . 213 .

Ibid , P . 214 .

Ibid , P . 221 .

<sup>(٤)</sup> قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ

الْجَحِيمِ ﴾ .

Ibid , P . 225 .

Ibid , P . 227 .

(١)

(٢)

(٣)

(٥)

(٦)



## ترتيب السور القرآنية حسب نظرية المستنشرق الألماني نولدكه

### سور المرحلة الأولى

رقمها	السورة	رقمها	السورة	رقمها	السورة	رقمها	السورة
٨٣	المطففين	٩٩	الزلزلة	٩٣	الضحى	٩٦	العلق
٦٩	الحاقة	٨٢	الأنفطار	٩٧	القدر	٧٤	المدثر
٥١	الذاريات	٨١	التكوير	٨٦	الطارق	١١١	المد
٥٢	الطور	٥٣	النجم	٩١	الشمس	١٠٦	قريش
٥٦	الواقعة	٨٤	الأنشاق	٨٠	عبس	١٠٨	الكوثر
٧٠	المعارج	١٠٠	العاديات	٦٨	القلم	١٠٤	الهة
٥٥	الرحمن	٧٩	النازعات	٨٧	الأعلى	١٠٧	الماعون
١١٢	الإخلاص	٧٧	الموسلات	٩٥	التين	١٠٢	لتكأثر
١٠٩	الكافرون	٧٨	النبا	١٠٣	الصر	١٠٥	الفيل
١١٣	الفلق	٨٨	الغاشية	٨٥	البروج	٩٢	الليل
١١٤	الناس	٨٩	الفجر	٧٣	المزمل	٩٠	البلد
١	الفاتحة	٧٥	القيامة	١٠١	القارعة	٩٤	الشرح



### سور المرحلة الثانية

رقمها	السورة	رقمها	السورة	رقمها	السورة
٦٧	المُلْكُ	٢٦	الشعراء	٥٤	القمر
٢٣	المؤمنون	١٥	الحجر	٣٧	الصفات
٢١	الأنبياء	١٩	مريم	٧١	ذُوح
٢٥	الفرقان	٣٨	ص~	٧٦	الإنسان
١٧	الإسراء	٣٦	يس~	٤٤	الدخان
٢٧	النمل	٤٣	الزُخْرُف	٥٠	ق~
١٨	الكهف	٧٢	الجن	٢٠	طه

### سور المرحلة الثالثة

رقمها	السورة	رقمها	السورة	رقمها	السورة
١٠	ونس	١٢	يوسف	٣٢	السجدة
٣٤	سبأ	٤٠	غافر	٤١	فُصِّلَتْ
٣٥	فاطر	٢٨	القصص	٤٥	الجاثية
٧	الأعراف	٣٩	الزمر	١٦	النحل
٤٦	الاحقاف	٢٩	العنكبوت	٣٠	الروم
٦	الأنعام	٣١	لقمان	١١	هود
١٣	الرعد	٤٢	الشورى	١٤	إبراهيم



### سور المرحلة الرابعة ( المدنية )

رقمها	السورة	رقمها	السورة	رقمها	السورة
٤٨	الْفَتْح	٤	النِّسَاء	٢	البقرة
٦٦	التَّحْرِيم	٦٥	الطَّلَاق	٩٨	البينة
٦٠	الممتحنة	٥٩	الحَشْر	٦٤	التغابن
١١٠	النَّصْر	٣٣	الأحزاب	٨	الأنفال
٤٩	الحُجرات	٦٣	المنافقون	٤٧	محمد
٩	التَّوْبَة	٢٤	الثَّور	٣	آل عمران
٥	المائدة	٥٨	المجادلة	٦١	الصَّف
		٢٢	الحَجَّ	٥٧	الحديد

### ثانياً : محاولة إدوارد سيل في إعادة ترتيب القرآن

بعد محاولة المستشرق الألماني تيودور نولدكه في إعادة ترتيب سور القرآن الكريم ، أصدر المستشرق الإنكليزي إدوارد سيل في سنة ١٨٩٨ كتاباً بعنوان (التطور التاريخي للقرآن) وفيه قدم محاولته في إعادة ترتيب سور القرآن أيضاً.

### السور المكية عند إدوارد سيل

وضع إدوارد سيل سورة العلق ( ترتيبها في القرآن الحالي ٩٦ ) كأول السور نزولاً . ثم أعقبها بسورة الشَّوَاء ( ترتيبها في القرآن ٢٦ ) كونها تحتوي على الدعوة الأولى للإسلام<sup>(١)</sup> . ورأى سيل ان بعد فترة انقطاع الوحي ، وعندما أخذت المقاومة القرشية للدعوة والمؤمنين بها تشتد ، نزلت سورة النَّحْل ( ترتيبها في القرآن ١٦ ) . وفي هذا الوقت أيضاً الملئ بالقلق والاضطراب نزلت اثنتين من السور

<sup>(١)</sup> Edward sell , the historical development of the Quran , ( London – 1898 ) , P . 2 .





هما الكافرون والاخلاص ( ترتيبهما في القرآن ١٠٩ و ١١٢ ) لمواساة النبي 9  
(١).

وهنا يرى سيل ان النبي 9 وبعد استمرار الوحي ومواساته أخذ يهاجم عبادة الأصنام ويدعو إلى وحدانية الله تعالى ، وفي هذا الوقت نزلت سورة المدثر ( ترتيبها في القرآن ٧٤ ) وكان نزول هذه السورة في الوقت الذي سخر فيه القرشيون من النبي واتهموه بأنه شاعر أو عراف أو مُظِل للناس ، وكونها قدمت له دليلاً للاستمرار بمهمته<sup>(٢)</sup> من خلال قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾<sup>(٣)</sup>.

ثم وضع سيل سورة المسلات ( ترتيبها في القرآن ٧٧ ) بعد سورة المدثر ، لأنها أشارت إلى معارضة القرشيين للدعوة وقيادة هذه المعارضة من خلال الآيات ( ١١ . ١٩ ) وكذلك ( ٢٦ . ٢٩ ) . كما عبرت سورة القلم ( ترتيبها في القرآن ٦٨ ) عن الشيء نفسه . وسورة المسد ( ترتيبها في القرآن ١١١ ) أيضاً تناولت عم النبي أبو لهب كمعارض شديد للدعوة<sup>(٤)</sup> . وكذلك أشارت سورة الهمزة ( ترتيبها في القرآن ١٠٤ ) إلى الموضوع نفسه ، ولذلك رجح إدوارد سيل زمن نزولها في هذا الوقت<sup>(٥)</sup> .

ويشأن السور اللاحقة يقول : " خلال السنة أو السنتين اللاحقتين أصبحت نظرية الإلهام الإلهي متطورة أكثر فأكثر وأثبتت معصومية النبي على نحو أقوى . وان حالات الوحي أعلنت بأنها ليست كلمات الله فقط، بل ان أصلها في السماء"<sup>(٦)</sup> . وكان هذا الإعلان من خلال سورة البروج ( ترتيبها في القرآن ٨٥ ) في

Sell , the historical development of the Quran ,P. 5 - 6 .

Ibid , P . 6 – 7 .

<sup>(٣)</sup> المدثر ، الآيات ( ١ - ٢ ) .

Ibid , P . 7 – 8 .

Ibid , P . 8 .

Ibid , P . 9 .

(١)  
(٢)  
(٣)  
(٤)  
(٥)  
(٦)



الآية (٢١)<sup>(١)</sup>. وإلى الموضوع نفسه تُشير سورة عَبَسَ (ترتيبها في القرآن ٨٠) من خلال الآيات (١٤٠٢) (٢) ولذلك وضعها سيل بعد البروج في الترتيب الزمني<sup>(٣)</sup>. وفي الوقت الذي ازدادت فيه المقاومة القرشية للدعوة شدةً تضمن الوحي الإلهي آيات وسور فيها مدح وذم كبيرين ووعيد لأصحاب هذا الموقف من الدعوة ، لاسيما في الآيات ( ٣٠.٢٨ ) (٤) ، (٣٩) (٥) من سورة المُوسَى ، وكذلك سورة النبأ ( ترتيبها في القرآن ٧٨ ) وسورة الطارق ( ترتيبها في القرآن ٨٦ ) (٦). ثم وضع سيل بعد النبأ سورة الحجر ( ترتيبها في القرآن ١٥ ) كونها حملت تهديداً وتحذيراً من الخالق لأهل مكة كما يفهم إدوارد سيل . وكردة فعل تحدى مشركي مكة الدعوة الجديدة وطالبوا بعلامات اعجازية من النبي 9 . ولهذا السبب وضع سيل سورتي الأسراء والرعد ( ترتيبها في القرآن ١٧ و ١٣ ) في هذا الموقع<sup>(٧)</sup>، بناءً على ما ورد في الآيات ( ٩٥-٩٢ ) (٨) من سورة الأسراء وما ورد في الآية (٧) (٩) من سورة الرعد .

(١) قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ . يَلُوحٌ مَّحْضُوظٌ ﴾ . البروج ، الآيتان ( ٢١ - ٢٢ ) .

(٢) قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ . فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴾ . عَبَسَ ، الآيات ( ١٢ - ١٤ ) .

(٣) Sell , the historical development of the Quran , P . 9 - 10 .

(٤) قوله تعالى: ﴿ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا . وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا فَذُقُوا فَلَنْ نَرْدَكَ إِلَّا عَذَابًا ﴾ ( ٢٨ - ٣٠ ) .

(٥) قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ آتَّخِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَأْتًا ﴾ . ( ٣٩ ) .

(٦) Ibid , P . 10 .

(٧) Ibid , P . 11 - 12 .

(٨) قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْجِرُنَا مِنَ الْأَرْضِ بِبُوعَا . أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرُ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتَجِيرَا .

أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ وَلَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا ... ﴾ ( ٩٠ - ٩٥ ) .

(٩) قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ ( ٧ ) .



ويرى سيل ان النبي ﷺ تجاه هذا الموقف أعلن ان القرآن هو معجزته الخاصة الوحيدة التي تشهد على نبوته ، الا ان المكيين تعاملوا مع هذه المعجزة ، بأنها من صنع محمد وضعها من معلومات جمعت من الوافدين على مكة ، ووصفوها بأنها حكايات القدماء أو تدفقات الخيال الشعري . وهنا يحدد زمن نزول سورة المطففين ( ترتيبها في القرآن ٨٣ ) كونها احتوت في الآيات ( ١٠ . ١٧ ) على بيان لمهمة النبي ﷺ . ويعقبها بسورة الفرقان ( ترتيبها في القرآن ٢٥ ) لأنها كررت التهمة السابقة نفسها من خلال الآيات ( ٥ . ٦ )<sup>(١)</sup> .

ويرجح إدوارد سيل ان يكون الوحي قد حاول استرضاء أهل مكة في هذا الوقت ويظهر ذلك من خلال المناشدة الأصلحية الواردة في سورة الفيل ( ترتيبها في القرآن ١٠٥ ) . وسورة قُرَيْش ( ترتيبها في القرآن ١٠٦ )<sup>(٢)</sup> . ثم اعقبها بسورتي التين والطور ( ترتيبها في القرآن ٩٥ و ٥٢ ) . وبعدهما بسورة الواقعة ( ترتيبها في القرآن ٥٦ ) . وسورة الصافات ( ترتيبها في القرآن ٣٧ ) . وسورة القمر ( ترتيبها في القرآن ٥٤ ) . وسورة إبراهيم ( ترتيبها في القرآن ١٤ ) . وسورة غافر ( ترتيبها في القرآن ٤٠ ) . وسورة يونس ( ترتيبها في القرآن ١٠ ) . وسورة ص ( ترتيبها في القرآن ٣٨ ) . وسورة الأنبياء ( ترتيبها في القرآن ٢١ )<sup>(٣)</sup> .

بعدها يضع إدوارد سيل سورتي الفلق والناس ( ترتيبهما في القرآن ١١٣ و ١١٤ ) رغم عدم تأكده من كونهما مكيتين وهذا الأمر واضح في قوله : " وهناك سورتان شهيرتان السورة ١١٣ و ١١٤ اللتان لو كانتا مكيتان ، مع ان هذا غير

(١) Sell , the historical development of the Quran, P. 12 – 13 .

كذلك ينظر :

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَطِيبُوا الْوَلَدَ الْأَوْلَىٰ أَلَا يَنْبَغِي فِيهَا تَمَلُّ عَلَىٰ مَكْرَةٍ وَأَصْيَاكَا . قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ( ٥ - ٦ ) .

Ibid , P . 14 .

Ibid , P . 14 – 19 .

(٢)

(٣)



واضح تماماً فأنهما سيوضحان بأن النبي استخدم التعاويذ ... أو انه كان يرغب في توضيح انه يمتلك سلطة على التأثيرات الشريرة التي سعى أعداءه لجلبها عليه<sup>(١)</sup>.  
 ويضع بعدهما سورة فُصِّلَتْ ( ترتيبها في القرآن ٤١ ) . وسورة النجم ( ترتيبها في القرآن ٥٣ ) . ثم سورة الْحَجِّ ( ترتيبها في القرآن ٢٢ ) . وسورة طه ( ترتيبها في القرآن ٢٠ ) . وسورة فَاطِر ( ترتيبها في القرآن ٣٥ )<sup>(٢)</sup>.  
 وهنا يرى سيل ان النبي 9 أراد تقديم بعض البراهين لأهل مكة حول حقيقة مهمته ، فلجأ أولاً إلى سلسلة من حالات الوحي التي توضح بأن الأنبياء السابقين تمت معاملتهم كما عومل هو الآن ، وان هذه المعاملة هي دليل واضح على مهمته الإلهية ويضع سيل الآيات ( ١٠ . ١٣ )<sup>(٣)</sup> من سورة الحجر كبيان لرؤيته . والدليل الثاني وفق رؤية سيل الأثبات المستمرة والمتكررة لدعوته الإلهية ، كسورة الأحقاف ( ترتيبها في القرآن ٤٦ ) . وسورة مريم ( ترتيبها في القرآن ١٩ )<sup>(٤)</sup>.  
 وسورة غافر ( ترتيبها في القرآن ٤٠ ) . وسورة الحاقة ( ترتيبها في القرآن ٦٩ )<sup>(٥)</sup>. وفي مناسبة هجرة عدد من المسلمين إلى الحبشة يرجح سيل ان تكون سورة الزمر ( ترتيبها في القرآن ٣٩ ) قد نزلت في هذا الوقت<sup>(٦)</sup> .  
 ثم وضع سيل سورة هود ( ترتيبها في القرآن ١١ ) كأول سور الحقبة المكية الثانية . وفي الوقت الذي أعلن القرآن عن تحديه للمشركين ، وضع سيل سورة الشورى ( ترتيبها في القرآن ٤٢ ) في هذا الموضع . وتبعها بسورة المؤمنون (

(١) Sell , the historical development of the Quran , P . 20 .

(٢) Ibid , PP . 20 – 26 .

(٣) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعْبِ الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ

الْمُجْرِمِينَ . لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ .

(٤) Ibid , P . 27 – 28 .

(٥) Ibid , P P – 29 – 33 .

(٦) Ibid , - 34 – 37 .



ترتيبها في القرآن ٢٣) . ويشير إلى ان سورة الجاثية ( ترتيبها في القرآن ٤٥ ) نزلت في هذا الوقت لتجيب على من يقولون ويتسألون هل نترك آلهتنا لشاعر مجنون<sup>(١)</sup> . فكان الجواب في الآيات ( ٢٥ ، ٢٧ )<sup>(٢)</sup> منها . ويضع ايضاً سورة يوسف ( ترتيبها في القرآن ١٢ ) ويقول عنها : " ونقرأ ايضاً حول تأريخ يوسف الذي جاء بالهام من الله : السورة ١٢ ، وتأتي قصة يوسف كما تم سردها في الأساطير اليهودية ولكن يتم الأدعاء بهذا الأصل الإلهي لسردها "<sup>(٣)</sup> .

وبعد انتهاء المقاطعة القرشية لبني هاشم ، وفشل دعوة النبي في الطائف يرى إدوارد سيل ان نزول سورة الجن ( ترتيبها في القرآن ٧٢ ) كان قد صادف والنبي 9 في طريقه من الطائف عائداً إلى مكة . فكان اعتناق نفر من الجن للإسلام تخفيفاً ومواساةً للنبي عما لاقاه من أهل الطائف<sup>(٤)</sup> .

وفي هذا الوقت ايضاً رجع سيل سورة الأنعام ( ترتيبها في القرآن 6 ) وهو يؤكد على ان الكلمات الأخيرة من هذه السورة قد أشارت إلى الهجرة من مكة . وابعثها بنزول سورة العنكبوت ( ترتيبها في القرآن ٢٩ )<sup>(٥)</sup> .

## السور المدنية عند إدوارد سيل

بعد ان يستعرض سيل ملخصاً مقتضباً عن مجريات واحداث هجرة النبي 9 وخروجه من مكة إلى المدينة ، يرجح ان تكون الأنفال ( ترتيبها في القرآن ٨ ) أول

(١) Sell , the historical development of the Quran , P P – 38 – 41 .

(٢) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا اتَّبُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، "وكلمة ملك السموات

والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ﴿ .

Ibid , P 42 -43 .

Ibid , P . 44 – 45 .

Ibid , P P . 45 – 47 .

(٣)

(٤)

(٥)



السور المدنية نزولاً كونها قد أشارت في الآية (٣٠) (إلى ما دبره القرشيون من مؤامرة استهدفت النبي ٩ قبل هجرته<sup>(٢)</sup>). ويجعل أيضاً من سورة التوبة (ترتيبها القرآن ٩) بعد الأنفال على اعتبار أنها أشارت إلى اختفاء النبي ٩ وأبي بكر في الغار<sup>(٣)</sup> بالآية (٤٠) (٤).

بعدها سورة الروم (ترتيبها في القرآن ٣٠) . ثم سورة المنافقون (ترتيبها في القرآن ٦٣) . وسورة البقرة (ترتيبها في القرآن ٢) . وسورة آل عمران (ترتيبها في القرآن ٣) . وسورة نوح (ترتيبها في القرآن ٧١)<sup>(٥)</sup>.

وهنا يتطرق سيل لموضوع اليهود الذين لم يعترفوا بنبوته محمد ٩ ، وان هناك دعوى حولهم بقيامهم بإخفاء جزء من كتبهم المقدسة التي تشير وتبشر بالنبي محمد ٩ وكذلك من المسيحيين الذين قاموا بإخفاء ما بشر به عيسى B من قدوم نبي اسمه أحمد<sup>(٦)</sup> . ويحدد سيل عدة سور وآيات قد أشارت إلى هذا العمل ، وهي سورة البيئ (ترتيبها في القرآن ٩٨) . وسورة الفتح (ترتيبها في القرآن ٤٨) الآيات (٣٠ - ١) ، وايضاً الآية (١٣٤) من سورة البقرة ، والآية (٧٢) من سورة آل عمران ، والآيات (١٦ - ١٨) من سورة المائدة<sup>(٧)</sup>.

(١) قوله تعالى: ﴿وَادِّمُكْرِبِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَّبِعُوا كُفْرَهُمْ وَيُقْبَلُوا مِنِّي وَمَا لَكُم مِّنْ عِشْرِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَلْقَاكَ مِنْ أَلَدِّ بَابِهَا أَلَمْ نَكُفِّرْ بَكَ قَبْلَ هَذَا وَمَا لَكُم مِّنْ حِجَابٍ عَنِ الْغَابِطِينَ﴾ .

(٢) Sell , the historical development of the Quran , P . 53-54 .

(٣) Ibid , P . 54 .

(٤) وقوله تعالى: ﴿إِن تَصْرَوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَلْقَاكَ مِنْ أَلَدِّ بَابِهَا أَلَمْ نَكُفِّرْ بَكَ قَبْلَ هَذَا وَمَا لَكُم مِّنْ حِجَابٍ عَنِ الْغَابِطِينَ﴾ .

(٥) Ibid , P P . 55- 60 .

(٦) Ibid , P . 68 – 69 .

(٧) Ibid , P . 68 – 69 .



ثم يؤكد سيل على ان سورة الحشر ( ترتيبها في القرآن ٥٩ ) قد نزلت لإعطاء عقوبة النبي 9 ليهود المدينة الصفة الإلهية من خلال الإشارة الواردة في الآيات ( ٢ . ٥ )<sup>(١)</sup>. وأعقبها بسورة النساء ( ترتيبها في القرآن ٤ )<sup>(٢)</sup>. وسورة الأحزاب ( ترتيبها في القرآن ٣٣ ) وفي مناسبة نزول هذه السورة يتعرض سيل لعقوبة اليهود من بني قريظة ويقول واصفاً أياهم : " لا يوجد هناك شئ يسوغ المعاملة الساذجة التي تعرضوا لها وسعوا إلى الهجرة ودافعوا عن حياتهم ولكن دون جدوى . نُبِح كل الرجال بوحشية وكان قتلهم على شكل مجاميع من خمس أو ست رجال في وقت واحد وبحضور النبي نفسه . وامتلى السوق بدم حوالي ٨٠٠ رجل ... وقسمت النساء بعد ذلك بين المسلمين وتم بيع البقية كعبيد . والخمس الذي كان حصة النبي يتألف من ٢٠٠ امرأة وطفل تم بيعهم للبدو مقابل الخيول والسلاح ... " <sup>(٣)</sup>.

بعدها تأتي سورة الصف ( ترتيبها في القرآن ٦١ ) . ثم سورة المائدة ( ترتيبها في القرآن ٥ ) . وسورة التحريم ( ترتيبها في القرآن ٦٦ ) . ثم سورة النور ( ترتيبها في القرآن ٢٤ ) . وسورة الممتحنة ( ترتيبها في القرآن ٦٠ ) . وسورة الأعراف ( ترتيبها في القرآن ٧ ) ويحددها زمنياً سيل ، بأنها نزلت بعد عودة النبي 9 من فتح مكة<sup>(٤)</sup>.

(١) قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَتَانِعْتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ . وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ... ﴾ .

(٢) Sell, the historical development of the Quran , P . 76 .

(٣) Ibid , P . 77 .

(٤) Ibid , P P . 93 – 106 .







## تقييم الباحث لمحاولات المستشرقين

### في إعادة ترتيب النص القرآني

لقد حاولنا في الصفحات السابقة ان نستعرض بشكل تفصيلي أهم المحاولات التي وضعها المستشرقين في إعادة ترتيب السور القرآنية ، تلك المحاولات التي اتخذت من الأطار الزمني المعيار الرئيس في إعادة الترتيب ، متصورين أنهم يقدمون خدمة جليلة للمعرفة التاريخية ، وانهم سوف يحصلون على أحداث متسلسلة وأفكار مترابطة واضحة وسيرة غير مفككة للنص القرآني .

إذن ما هي النتائج التي آلت إليها تلك الدراسات الاستشراقية هل نجحت فعلاً في إعادة ترتيب السور القرآنية ؟ ان الواقع لا يقول ذلك ، فأبرز تلك المحاولات وهي محاولة المستشرق الألماني تيودور نولدكه التي لم تثمر عن شيء من هذا قط . إذ أعنى هذا المستشرق وقبل وفاته بوقت قصير بأنه نادم على ان خصص الوقت والجهد لعمل لم يظفر منه بنتائج حاسمة قاطعة<sup>(1)</sup> . والعمل الثاني المهم أيضاً وتناولناه هو كتاب المستشرق الإنكليزي ادوارد سيل ( التطور التاريخي للقرآن ) والذي لم يستطع فيه من التحديد الزمني لنزول جميع السور القرآنية ، إذ أغفل ذكر ما يقرب من خمس واربعين سورة ، وهذا الأمر كان كافياً لنا لنتصور ان عمل سيل هذا غير واضح وغير مكتمل وبالتالي فهو محاولة فاشلة أيضاً .

ويجب ان نثبت هنا حقيقة مهمة توصلنا إليها من خلال فحص تلك الدراسات والمحاولات الاستشراقية في إعادة الترتيب القرآني . هي ان جميع تلك المحاولات كانت فاشلة ، لأنها لم تستطع ان تصل إلى ترتيب زمني مضبوط ودقيق وكل ما

(1) قبل وفاته بوقت قصير ، سئل المستشرق الألماني تيودور نولدكه ، وقد شارف على التسعين من عمره ، ان كان يشعر بالندم لأنه لم يعكف على دراسة علم يعود بالفائدة العلمية على الجنس البشري ، كدراسة الطب أو الزراعة ، أو أي فرع غير الدين واللغات والفلسفة ؟ أجاب نولدكه : " إذا كان من ندم فلأنني درست علوماً لم أظفر منها في النهاية بنتائج حاسمة قاطعة " . ينظر : عمر لطفى العالم ، المستشرقون والقرآن ، ص ٧ . نقلاً عن مقالة للمستشرق الهولندي سنوك هورجرونييه نشرت في مجلة جمعية المستشرقين الألمان في الذكرى الأولى لوفاة نولدكه .



استندت إليه في تحديد زمن نزول أي سورة من سور القرآن هو ان تجد إشارة واضحة لحدث معروف زمنياً في آية أو مجموعة آيات من هذه السورة ، وبالتالي يكون الافتراض ، بأن زمن نزول هذه السورة هو نفسه زمن هذه الحادثة ، دون مراعاة عنصر الزمن بالنسبة للآيات الأخرى من السورة نفسها . فعلى سبيل المثال قد يحدد زمن نزول إحدى السور في السنة الثانية للهجرة نسبةً لوجود إشارة واضحة في آية أو مجموعة آيات منها . ولكن الآيات الأخرى من هذه السورة قد تنزل في أوقات لاحقة وقد تكون أوقات متباعدة وبالتالي فإن عملية تحديد زمن هذه السورة في السنة الثانية للهجرة هو تحديد غير دقيق وغير مضبوط.

ولو اردنا ان نتفهم تلك المحاولات الاستشراقية في الوصول إلى ترتيب زمني لنزول الآيات والسور القرآنية ، فأنا وبدون شك لن نستطيع ان نصل إلى نتيجة مرضية ، وذلك لأسباب عدة منها :

أولاً : من الصعوبة جداً بل من غير الممكن ان نستطيع القيام بالتحديد الزمني لنزول جميع الآيات والسور بشكل مضبوط ودقيق .

ثانياً : ان عملية إعادة ترتيب الآيات والسور وفق المعيار الزمني يضعنا أمام مشكلة كبيرة ، وهي تفتيت وتشتيت وحدة وانسجام النص القرآني ، وبالتالي يظهر النص القرآني نصاً خالياً من الأعجاز غير مترابط الأفكار . ولتطبق نموذجاً لما يدعو إليه المستشرقون من إعادة ترتيب القرآن وفق زمن نزول آياته وسوره.

يتفق العلماء على ان الآيات الأولى نزولاً من الوحي كانت الآيات الخمس الأولى من سورة العلق من قوله تعالى : ﴿ اَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . وتتبعها زمنياً الآيات السبع الأولى من سورة المدثر من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ . وتتبعها زمنياً أيضاً الآيات الثلاث من أول سورة نوح



فإذا ما جمعنا هذه الآيات وفق الرؤية الاستشراقية في تسلسل تاريخي لزمن نزولها نجد النص الآتي : ﴿ أقرأ باسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . أقرأ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ . وثيابك فطهرْ . والرُّجْزَ فَاهجرْ . وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ . وَلِرَبِّكَ فَاصبرْ . إنا أمرنا سلنا نوحاً إلى قومه أن أُنذِر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليمٌ . قال يا قوم إني لكم نذير مبينٌ . ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ .

هذه اذن صورة من صور ما يفترضه المستشرقون ونلاحظ فيه عدم انسجام النص القرآني وتشنتت الفكرة بالانتقالات ما بين مواضيع منفصلة غير مترابطة<sup>(١)</sup>. وبناء على هذا ، نقول ان الترتيب الحالي لسور القرآن وآياته هو ترتيب توقيفي بأمر الله تعالى ، لم يتخذ من عنصر الزمن الأساس الذي يقوم عليه ، ذلك ان الله تعالى أراده بهذا الشكل ، لحكمة إلهية . ولهذا فان كل المحاولات الاستشراقية لإعادة الترتيب ، سوف لن تأتي بنتائج دقيقة صحيحة .

### النص القصصي القرآني في المنظور الاستشراقي

كان ولا يزال النص القصصي القرآني مستنداً للكثير من المستشرقين في طرح الرؤية الاستشراقية القائلة : بأن القرآن كتاب من صنع وإنشاء النبي محمد 9 استقواءً وتقليداً لكتب العهدين ( القديم والجديد ) ، وان ما في القرآن من ذكر لقصص الأنبياء السابقين واقوامهم هي مشابهة إلى درجة كبيرة للقصص الموجودة في الكتاب المقدس . وهذا التشابه كان الحجة الرئيسية التي يبني أولئك المستشرقون رؤيتهم عليها .

(١) ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القرآن - نظمه - جمعه - ترتيبه ، دار الفكر العربي ، ( القاهرة - ١٩٧٢ م ) ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .



وإذا ما أردنا ان نستعرض من تلك الدراسات الأقوال التي خصت هذا الموضوع ، لوقفنا على نصوص كثيرة ، بعضٌ منها لكبار المستشرقين ، تكاد تتفق جميعها على رؤية واحدة ، وهي ان التأثيرات اليهودية والمسيحية ظاهرة وواضحة على القرآن .

ففي دائرة المعارف البريطانية ورد في هذا الشأن : " ان الدارسين الغربيين الذين حللوا محتوى مختلف التنزيلات ، أظهروا ان معظم المادة السردية التي تخص الشخصيات والأحداث القرآنية لا تختلف عن النص الإنجيلي وتبدو كأنها جاءت من مصادر مسيحية ، أو يهودية متأخرة " (١) .

وفي السياق نفسه يتحدث المستشرق الفرنسي بلاشير ( المتخصص في دراسة القرآن الكريم ) في كتابه ( معضلة محمد ) عن مصدر القصص القرآني قائلاً : " ان ما يسترعي نظر المستشرقين ، هو التشابه الحاصل بين هذه القصص وبين القصص اليهودي - المسيحي ، وان التأثير المسيحي كان واضحاً في السور المكية الأولى " (٢) .

إما المستشرق المجري جولد تسهر فيقول عن هذا الموضوع : " فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثراً عميقاً ، والتي رآها جديرة بأن توظف في بني وطنه عاطفة دينية صادقة ... لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه ، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه ، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحيّاً إلهياً " (٣) .

(١) The new encyclopaedia Britanica , ( chicago -1986 ) , Vol – 22 , P . 6 .

(٢) R . Blachere, Le Probleme du Mahomet , ( Paris ) , P . 75 .

(٣) اجنتس جولد تسهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة محمد يوسف وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق ، دار الكتب الحديثة ، ط٢ ، ( القاهرة - لا . ت ) ، ص ١٢ - ١٣ .



ويستعرض جولد تسهر مثلاً لهذا التشابه عندما يقول : " الآية ٥٤ من سورة البقرة يدور الحديث فيها حول غضب موسى حين علم بصنع بني إسرائيل عجلاً من ذهب وعبادتهم إياه ، فهو يقول : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ أي فليقتل بعضهم بعضاً ، وهذا ينطبق في الواقع على ما جاء في سفر الخروج فصل ٣٢ فصلة ٢٧ ، الذي هو مصدر الكلمات القرآنية <sup>(١)</sup> .

وينضم إلى هذه الآراء المغالية المستشرق الإنكليزي برنارد لويس الذي يؤكد على ان النبي 9 قد استقى تلك القصص من الكتاب المقدس قائلاً : " روايته لقصص الكتاب المقدس توحى بأن معرفته بها كانت عن طريق غير مباشر ، وربما كانت عن طريق التجارب والرحالة اليهود والنصارى الذين كانت أخبارهم متأثرة بالموثرات المدراسية <sup>(٢)</sup> وكتب الأساطير اليهودية <sup>(٣)</sup> .

وفي دائرة المعارف الإسلامية يقول المستشرق هورفتز تحت مادة ( التوراة ) : " وفي القرآن إلى جانب مثل هذه الأشارات البيّنة إلى التوراة قصص وأحكام استقاها منها وردها في مواضع كثيرة دون ان يذكر المصدر الذي نقل عنه ، وقد ساق أغلب هذه القصص في صيغته الهجائية وحوّر بعضه بحيث يلائم أغراض محمد الخاصة <sup>(٤)</sup> .

<sup>(١)</sup> اجنتس جولد تسهر ، مذاهب التفسير الإسلامي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار اقرأ ، ط٣ ، ( بيروت - ١٩٨٥ ) ، ص ١٠ - ١١ .

<sup>(٢)</sup> المدراسية ( أو المدراس ) وتعني مجموعة التفاسير التقليدية للتوراة عند اليهود . ويرجح انها وضعت ما بين عام ( ١٠٠ ق م ) وعام ( ٢٠٠ م ) . وهي لفظة عبرية الأصل وتعني الشرح أو التفسير . ينظر : فؤاد كاظم المقدادي ، الإسلام وشبهات المستشرقين ، المجمع العالمي لأهل البيت ( عليهم السلام ) ، ( قم - ١٩٩٦ ) ، ص ١٤٣ .

<sup>(٣)</sup> عرفان عبد الحميد فتاح ، دراسات في الفكر ، ص ١٤٧ - ١٤٨ . نقلاً عن برنارد لويس ، العرب في التاريخ ، الترجمة العربية ، ص ٥٠ .

<sup>(٤)</sup> مجموعة من المستشرقين ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج٦ ، ص ١ - ٢ .



وقد يكون المستشرق الإنكليزي هاملتون جب أقل تحاملاً في طرحه لهذه الرؤية الاستشراقية عندما يقول : " ... ان طرح على بساط البحث مسألة المصادر التي استقى منها محمد مذهبها وهي مسألة غي بها أعظم العناية علماء الغرب المسيحيون واليهود ... وكذا فإن الإسلام ، وان كان في وسعه ان يعتنق أفكاراً دينية سابقة ، فإن ذلك لا يمنع ان تشكل المواقف الدينية التي جاء بها القرآن ، وأعرّب بنية دينية جديدة متميزة "(1). وبهذا القول حاول ان يجعل من الدين الإسلامي صاحب بُنية جديدة ، ولكن هذه البنية في الأصل مُستقاة من المسيحية واليهودية وهي فكرة جديدة طرحها جب مزج فيها السم بالعسل .

وتتكرر أقوال المستشرقين في هذا الموضوع (2) ، متفقة على رؤية واحدة لا تقوم إلا بالقول : بأن القرآن كتاب مستقى من اليهودية والمسيحية . وفوق كل هذا يزيد البعض منهم ما هو أدهى وأمر ، إذ لا يكتفون بتهمة الاستقاء ، بل يعبرون عن مصادر الاستقاء ، بأنها مصادر مسيحية ويهودية شرقية حافلة بالأخطاء والتحريف لأصل هذه الديانات . على هذا يؤكدون ان ما استقاه النبي العربي من أهل الكتاب ما هو إلا معلومات خاطئة ومحرفة وهذا ما نجده صراحة في أقوال عدد من المستشرقين .

فالمستشرق الألماني كارل بروكلمان يقول : " وليس من شك في ان معرفته . أي رسول الله محمد 9 - بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية إلى أبعد الحدود ،

(1) هاملتون الكسندر روسكين جب ، بنية الفكر الديني في الإسلام ، ترجمة عادل العوا ، مطبعة جامعة دمشق ، (دمشق - 1964) ، ط 2 ، ص 89 .

(2) للإطلاع على أقوال المستشرقين هذه ينظر : مونتجومري وات ، محمد في مكة ، ترجمة شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية ، (صيدا - بيروت - 1952) ، ص ص 249 - 253 ؛ التهامي نقرة ، " القرآن والمستشرقون " بحث منشور في كتاب مناهج المستشرقين ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون ، (الرياض - 1985) ، ج 1 ، ص 50 - 51 ؛ R.S. Tritton , Islam , belief and practices , ( London - 1957 ) , P . 18 - 19 .



وحافلة بالأخطاء وقد يكون مديناً ببعض هذه الأخطاء للأساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودي<sup>(١)</sup> .

ونجد المستشرق الإنكليزي جورج سيل أكثر وضوحاً عندما يعلق على النص القرآني التالي : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> ويقول : " يبدو ان هذه الحكايات مأخوذة من بعض التراثيات الخرافية للمسيحيين الشرقيين "<sup>(٣)</sup> .

ويقول أيضاً المستشرق الألماني ونتر في ترجمته الألمانية للقرآن : " لاحظنا من فحوى القرآن : بأن النبي محمد كان على اتصال وتماس مع ممثلي الدين المسيحي من خلال رحلاته مع قوافل الجمال في سنوات شبابه . وبهذا حدث تشويه محرف ومشكوك به لمضمون الدين لكلا الطائفتين في المناطق القاحلة . وعليه فلا نتعجب لعدم إدراكه حينها لدين تلك الطوائف "<sup>(٤)</sup> .

أما المستشرق الإنكليزي وليم ميور ، ففي كتابه ( حياة محمد من مصادرها الأصلية ) ، وبعد ان يستعرض تفاصيل رحلتي الرسول الكريم 9 إلى الشام حين كان شاباً ، وما تركته من أثر في نفسه وعقله وهو يشاهد الآثار والرموز القديمة ويطلع على الأساطير اليهودية والطقوس المسيحية والكنائس<sup>(٥)</sup> ، ليقول بعد ذلك : " الا أننا متأكدين من حقيقة ان محمد لم يفت أية فرصة للبحث في ممارسات ومعتقدات

(١) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٤٣ .

(٢) آل عمران ، الآيات ( ٤٥ - ٤٦ ) .

(٣) George Sale , The Koran , ( London - 1921 ) , P . 49 .

(٤) L . W . Winter , Der Koran , ( Munchen -1964 ) , P . 9 .

(٥) Muir , the life of Mohammad , P P . 11 - 21 .



المسيحيين السوريين أو التحدث مع الرهبان ورجال الدين الذين يصادفهم في طريقه  
" (١) .

### طبيعة العلاقة بين النصين القصصي القرآني والقصصي التوراتي

يقول أحد المستشرقين الألمان : " ان القرآن ليس كتاباً منفصلاً ، وإنما هو يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع كتب الوحي المنزلة سابقاً ( قبله ) ، حتى أنه شكل قمة ختامها " (٢) .

ونفهم من هذه البداية ان العلاقة وثيقة ما بين كتب الوحي جميعها بما فيها القرآن الكريم ، الذي شكل ختام الوحي وآخر الكتب وقمة الرسالات وكمالها . ويعود المستشرق السابق نفسه ليؤكد على هذه الحقيقة بقوله : " ان الكتب المقدسة للشعوب أو الجماعات الدينية ما هي إلا إصدارات خاصة بالأمم عن الأوحية الأصلية السماوية . أما مضمونها فمن الناحية الجوهرية متماثل للجميع ، فكل نسخة متأخرة تؤكد ما جاء في السابقة . فاليهود مثلاً حصلوا على التوراة من خلال موسى ، والمسيحيين حصلوا على الإنجيل من خلال النبي عيسى ، والعرب ( بلغة عربية خالصة ) حصلوا على القرآن من خلال محمد " (٣) .

ان وجود التشابه والتماثل في بعض أقسام هذه الكتب لا يجوز لنا ابداً القول باستقاء المتأخر منها عن المتقدم ، فالأديان السماوية ولكونها صادرة من ذات واحدة ( الذات العليا الله جل وعلا ) فهذا يعني ان منبعها منبع واحد ، ولذلك فمن الطبيعي جداً ان تتشابه مقوماتها وأركانها وفروضها وكتبها وما تحويه .

وإذن فالأفكار التي تبدو متشابهة ومتماثلة في الحضارات الإنسانية واديانها ، لا تدل بالضرورة على الاقتباس ، ومع ذلك ورغم وجود تشابه ضئيل بين الإسلام من جهة وبين الديانتين اليهودية والمسيحية من جهة أخرى ، فإن هناك اختلافات

Ibid, P . 21 .

Emanuel Keller hals , Der Islam , ( Stuttgart – 1956 ) , P . 159 .

Hals ,Der Islam , P . 159 .

(١)

(٢)

(٣)





جوهرية في عبادات كل ديانة منهما عن الإسلام . وما يهمننا القول هنا ان هذا التشابه بغض النظر عن حجمه يجب ان لا يفسر إلا تحت علية وحدة المصدر الإلهي لهذه الأديان <sup>(١)</sup>.

فالقرآن الكريم في قصصه لم يسلك مسلك التوراة ، ولم يقص أخبار الأنبياء والمرسلين كما قصت هي ، وإنما اختار بعضهم ليقص قصصهم وأعرض عن الباقي كما في قوله تعالى: ﴿ ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك ﴾ <sup>(٢)</sup>. ومن هنا فإن ذلك الاختيار من الأخبار كان يتفق مع حالة الدعوة الإسلامية ومخاطبة النبي 9 لقومه . ولذلك أيضاً لم تأت تلك الأخبار على التفصيل الموجود في التوراة <sup>(٣)</sup>.

ثم ان القرآن الكريم لم يعمد إلى الزمن فيجعله العامل الأساسي في ترتيب هذه القصص كما عمدت إليه التوراة . وهناك أيضاً نقطة هامة وجوهرية في الغاية من النص القصصي سواء كان القرآني أم التوراتي ، فبينما يراعي الأخير الجانب التاريخي ويحرص على تكامل أجزاء القصة بكل تفاصيلها ، لا يهدف النص القرآني : "إلا إلى العظة والعبرة ، وإلى البشارة والأندار وإلى الهداية والأرشاد وإلى شرح مبادئ الدعوة الإسلامية والرد على المعارضين ، وإلى تثبيت قلب النبي عليه السلام ومن اتبعه وزلزلة نفوس المشركين والكفرة ، وإلى غير ذلك من المقاصد والأغراض ليس منها التاريخ على كل حال" <sup>(٤)</sup>.

ومن مستلزمات تثبيت الرؤية الاستشراقية ان ينسجم النص القرآني مع النص التوراتي أو الإنجيلي انسجاماً كاملاً في الفكرة والأسلوب والغاية ، فلكي تثبت

<sup>(١)</sup> عرفان عبد الحميد فتاح ، دراسات في الفكر ، ص ١٥٠ .

<sup>(٢)</sup> النساء ، الآية ( ١٦٤ ) .

<sup>(٣)</sup> ينظر: محمد أحمد خلف الله ، الفن القصصي في القرآن الكريم ، دار المعارف ، ط٢ ، ( القاهرة - ١٩٥٧ ) ،

ص ٢٢٧ .

<sup>(٤)</sup> المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ .



مصدقية هذه الرؤية لا بد إذن من إثبات ذلك الأنسجام : " ذلك ان طبيعة المسألة تقضي . عادةً . ان يضفي المقلد الآخذ أسباب الكمال ومعاني الأصالة وسمات الحق على المصدر الذي استقى منه أصول فكهو علمه ، وان يُنزل صاحبه منزلة العدل في الحكم ، والنزاهة في الرأي ، والسداد في الفكر والعقيدة . أما إذا وجدنا الأمر معكوساً فإن المنطق السليم يحتم خلاف ذلك " (١) .

ويستمر الدكتور عرفان عبد الحميد في هذا الرد البليغ والصائب قائلاً : " إذ كيف يجوز لعاقل ان يتصور النبي 9 تلميذاً لأحبار اليهود ورهبان النصارى يشكل قرآنه ( نعوذ بالله ) ويلقن عقيدته من توراتهم وانجيلهم وسائر مصادرهم وهو يرى القرآن الكريم يصدر في انتقاده لهذه المصادر ، المنتقد لما جاء فيها ، وهكذا فإن القرآن الكريم إذ يستعرض آراء اليهود ومعتقدات النصارى لا يصدر عن موقف ضعيف متخاذل وهو ما يتصف به المقلد للغير بل يتبين الحق في هذه العقائد من باطلها ، ويحمل وزر الباطل على أهله . انه يتهم اليهود تارةً بالتحريف والتبديل : ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ (٢) . وباللبس والتبديل : ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ (٣) . وبالإفتراء وزور القول : ﴿ يفترون على الله الكذب ﴾ (٤) .

والقرآن الكريم إذ يستعرض عقيدة المسيح B يبعده عن لوثة التثليث ، ويعد ذلك مسخاً لحقيقة ما بشر به ، وتلفيقاً من الرأي نسب إليه : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابنُ

(١) عرفان عبد الحميد فتاح ، دراسات في الفكر ، ص ١٥٠ .

(٢) النساء ، الآية ٤٥ .

(٣) البقرة ، الآية ٤٢ .

(٤) المائدة ، الآية ١١٩ .



مرسمة أنت قلت للناس أتخذوني وأمي إلهين من دون الله . قال سبحانه ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك أنت علام الغيوب ﴿١﴾ .

واري من المفيد ان أشير إلى النقاط الثلاث التي حددها المستشرق ابراهام جايجر في كتابه ( ماذا أقتبس محمد من التوراة) وقد عدها شروطاً وضوابط يجب مراعاتها من قبل المستشرقين قبل الجزم بقضية استقاء وأخذ النبي العربي النص القصصي القرآني من كتب التوراة والإنجيل :

- " أ : وجود عنصر أو أكثر من العناصر المشتركة بين الدينين .  
 ب : لا تصح المقابلة بين المقولات القرآنية واليهودية إلا إذا ثبت لنا ان تدوين الثانية تم قبل الأولى وأنها كانت موجودة في حوزة الكنيسة .  
 ج : أن يكد الباحث ويجتهد في معرفة ما إذا كان مجرد التشابه بين فريقين عقائديين مختلفين يعني بالضرورة أخذ الواحد عن الآخر " (٢) .

### جزء من قصة يوسف (عليه السلام)

### بين النص القرآني والنص التوراتي

النص التوراتي	النص القرآني
(١) ورأى إخوته ان أباه يحبه على جميع إخوته فأبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بسلام .	(١) إِذْ قَالَ يَٰٓوَسْفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ نَجْمَاتِ السَّمَاءِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ رَآئِي تَهْتِكُنِي سَجْدِينَ .
(٢) ورأى يوسف حليماً فأخبر إخوته به فزادوا كراهية له .	
(٣) قال لهم اسمعوا هذا الحلم الذي رأيته	

(١) المائدة ، الآية ١٠٦ .

(٢) عمر لطفى العالم ، المستشرقون والقرآن ، ص ٨٩ .



(٤) رأيتُ كأننا نحزم حزمًا في الصحراء  
فإذا حزمتي وقفت ثم انتصبت فأحاطت  
حزمكم وسجدت لحزمتي .

(٥) فقال له إخوته : ألعك تملك علينا  
أو تتسلط علينا ، وازدادوا أيضًا حنقًا عليه  
لأجل أحلامه وكلامه .

(٦) رأى أيضًا حلماً آخر فقصه على  
إخوته وقال : أيت حلماً أيضاً كأن  
الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة  
لي .

(٧) واذ قصه على أبيه وإخوته زجره أبوه  
قال له ما هذا الطم الذي رأيتَهُ أترانا  
نجئ أنا وأمك وإخوتك فنسجد لك إلى  
الأرض... ؟ .

(٨) فحسده إخوته وكان أبوه يحفظ هذا  
الكلام .

(٩) ومضى إخوته ليرعوا غنم أبيهم عند  
شكيم .

(١٠) فقال إسرائيل ليوسف هوذا إخوتك  
يرعون عند شكيم هلم ابعثك إليهم . قال:

(٢) قَالَ يَا نَبِيَّ لَا تَقْصُصْ رُءُوسَكَ عَلَيَّ  
إِخْوَتِكَ فَيَكِينُوا لَكَ كَمَا كَانُوا لِلشَّيْطَانِ  
لِلْإِنْسَانِ عَوًّا مُّبِينًا .

(٣) لَقَدْ كَانَ فِي يَدِ يُوْسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ  
لِّلسَّادِقِينَ .

(٤) قَالُوا لِي يُوْسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ  
لِي ~ أَيْنَا مِمَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا  
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ .



ها أنذر .

(١١) فقال له : أمضِ فافتقد سلامة  
إخوتك وسلامة الغنم وائتني بالخبر وأرسله  
من وادي جبرون فأتى شكيم .

(١٢) فلما رأوه عن بعد قبل ان يقرب  
منهم ائتمروا عليه ليقتلوه .

(٥) لُدُوا يَؤُسْفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا  
يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ  
قَوْمًا صَادِقِينَ .

(١٣) فقال بعضهم لبعض : ها هو  
صاحب الأحلام مقبل .

(١٤) لآن تعالوا نقتله ونطرحه في  
بعض الآبار ونقول ن وحشاً ضارياً  
فترسه ، ونرى ما يكون من أحلامه .

(١٥) سمع رأوبين فخلصه من أيديهم  
وقال لا نقتله .

(١٦) وقال لهم رأبين لا تسفكوا دما  
، اطرحوه في هذه البئر التي في البرية لا  
لحقوا أيديكم عليه ، لكي يخلصه من  
أيديهم ويرده إلى أبيه .

(١٧) فلما جاء يوسف إخوته نزعوا عنه  
قميصه ، القميص الموشى الذي عليه .

(١٨) واخذوه وطرحوه في البئر وكانت

(٦) ، قَائِلِينَ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يَؤُسْفَ  
الْقَوَاهُ فِي غَيْبِ الْجَبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ  
السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ .

(٧) قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى  
يَؤُسْفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ .

(٨) أُرْسِلْهُ مَعَا غَدَا يَتَعَّ وَيَدْعُ وَإِنَّا  
لَهُ لَنَحْظُونَ .

(٩) أَلِ إِنِّي لَجِئِدْنِي أَنْ تَذْهَبَ وَأَبِي  
خَافَ أَنْ يَأْكُلَهُ التَّنُّبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ



<p>البئر فارغة لا ماء بها .                  (١٩) ثم جلسوا يأكلون ورفعوا عيونهم                  ونظروا وإذا بقافلة من الأسماعليين مقبلة                  من جلعاد ، وجمالهم محملة نكعة ولساناً                  ولانناً وهم سائرون إلى مصر .                  (٢٠) فقال يهوذا لإخوته ما الفائدة من أن                  نقتل أخانا ونخفي دمه .</p>	<p>غَفُونَ .                  (١٠) لَوْ لَسْنَا أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ                  عَصَبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ .                  (١١) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَن                  وَهُ فِي غَيْبِ الْجُبِّ وَأَوْحَىٰ نَا إِلَيْهِ                  لَتَنبَيْئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُونَ .</p>
<p>(٢١) فمر قوم مدينيون تجار ف جذبوا                  يوسف وأصعدوه من البئر وياعوه                  للأسماعليين بعشرين من الفضة فأتوا                  بيوسف إلى مصر .                  (٢٢) ورجع رابيع إلى البئر فإذا يوسف                  ليس فمزق ثيابه .</p>	
<p>(٢٣) ورجع إلى إخوته وقال : الولد ليس                  موجوداً ، وأنا إلى أين أمضي .</p>	
<p>(٢٤) فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيساً                  من المعز وغمسوا القميص في الدم .</p>	<p>(١٢) وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ .                  (١٣) قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ                  بَرَكًا يَوْمَ يَأْتِيكُم بِهِ فَأَكَلَهُ الذُّبُّ                  وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ .</p>
<p>(٢٥) وبعثوا بالقميص الموشى فأنفذوه                  إلى أبيهم وقالوا : هذا أثبتته . أقميص                  ابنك هو أم لا .                  (٢٦) أثبتته وقال قميص ابني . وحش</p>	



(١٤) وَجَاءَ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَثِبٍ  
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا  
فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى  
مَا تَصِفُونَ .

(٢٧) يَاعَهُ الْمُنِينُونَ فِي مِصْرَ  
لِفُوطِيفَارِ خِصِي فِرْعَوْنَ رَئِيسِ الشَّرْطِ .  
( الفصل التاسع والثلاثون )

(١٥) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَرَثَتَهُمْ  
أَلَدَى نَأْوِهِ قَالِ يَدْ شَرَى هَذَا غُلْمٌ  
وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَاللَّهُ عَظِيمٌ بِمَا يَعْلَمُونَ .

(٢٨) وَأَمَّا يُوسُفُ فَأُنزِلَ إِلَى مِصْرَ فَأَشْتَرَاهُ  
فُؤُلُطِيفَارِ خِصِي فِرْعَوْنَ رَئِيسِ الشَّرْطَةِ  
رَجُلٍ مِصْرِي ، مِنْ أَيْدِ الْأَسْمَاعِيلِيِّينَ الَّذِينَ  
نَزَلُوا بِهِ إِلَى هُنَاكَ .

(١٦) وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ  
مَعْوَدَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِمِينَ .

(٢٩) وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ فَكَانَ رَجُلًا  
نَاجِحًا وَأَقَامَ بَيْتَهُ مَوْلَاهُ الْمِصْرِي .  
(٣٠) وَرَأَى مَوْلَاهُ أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ وَإِنَّ جَمِيعَ  
مَا يَعْمَلُهُ يَنْجِيهِ الرَّبُّ فِي يَدِهِ .

(١٧) قِيلَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ  
لِأَهْوَاتِهِ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ  
يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا  
يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَدْنَاهُ مِنْ  
تَأْوِيلِ الْأَلْحِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُدْرِكُونَ .

(٣١) فَنَالَ يُوسُفَ خَطْوَةٌ فِي عَيْنَيْهِ وَخَدَمَهُ  
أَقَامَهُ عَلَى بَيْتِهِ ، وَجَمِيعَ مَا كَانَ لَهُ جَعَلَهُ  
فِي يَدِهِ .

(٣٢) وَكَانَ مِنْذُ أَقَامَهُ عَلَى بَيْتِهِ وَجَمِيعَ مَا  
هُوَ لَهُ أَنَّ الرَّبَّ بَارِكُ بَيْتِ الْمِصْرِي بِسَبَبِ

(١٨) أَلْبَلَّغَ أَشَدَّهُ إِتْيَانَهُ حُكْمًا  
وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ .



يوسف وكانت بركة الرب على جميع ما هو له في البيت وفي الحقل .

(٣٣) ترك جميع ما كان له في يد يوسف ، ولم يكن يعرف معه شيئاً إلا الخبز الذي كان يأكله ، وكان يوسف حسن الهيئة وجميل المنظر .

(٣٤) وكان بعد هذه الأمور ان امرأة مولاه طمحت عينها إلى يوسف وقالت ضاجعني .

(٣٥) فأبى وقال لإمرأة مولاه : هوذا مولاي لا يعرف معي شيئاً مما في البيت وجميع ما هو له جعله في يدي .

(٣٦) وليس في هذا البيت شئ فوق يدي . ولم يمسك عني شيئاً غيرك لأنك زوجته فكيف أصنع هذه السيئة العظيمة وأخطأ إلى الله .

(٣٧) وكلمته يوماً بعد آخر فلم يقبل منها أن ينام بجانبها ليكون معها .

(٣٨) أتفق في بعض الأيام أنه دخل البيت ليتعاطى أمره ولم يكن في البيت أحد من أهله .

(١٩) وَرَأَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي يَدَيْهَا مِنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعذَرْتُ اللَّهَ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَثَوايَ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ .

(٢٠) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ أُمَّهُ لَمَنْعَتْهَا كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ غَمَّهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَانَةِ الْمُخْلِصِينَ .

(٢١) اسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّئًا لَنَا الْبَابَ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأُهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يَسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .





(٢٢) قَالَ هِيَ رَا وَتَنِي عَنْ نَفْسِي  
وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ  
قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلِي فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِّنَ  
الْكٰٔبِيْنَ .

(٣٩) فَأَمَسَكَ بِثَوْبِهِ قَائِلَةٌ ضَاجِعَنِي فَتَرَكَ  
رِدَاعَهُ بِيَدِهَا وَفَرَّ هَارِبًا إِلَى الْخَارِجِ .

(٤٠) فَلَمَّا رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ تَرَكَ رِدَاعَهُ وَهَرَبَ  
خَارِجًا .

(٢٣) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ بُرِّ  
فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰٔدِقِيْنَ .

(٢٤) مَا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ بُرِّ  
قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْ يَكُنَّ إِنْ كَيْ يَكُنَّ عَظِيمٌ .

(٤١) صَاحَت بِأَهْلِ بَيْتِهَا وَقَالَتْ لَهُمْ  
انظُرُوا كَيْفَ جَاءَنَا بِرَجُلٍ عِبْرَانِي لِيَتْلَاعِبَ  
بِنَا ، أَتَانِي لِيَضَاجِعَنِي فَصَرَخَتْ بِصَوْتِ  
عَالٍ .

(٢٥) يٰٓوَسْفَ أَعْرَضَ عَن هَٰذَا  
وَاسْتَغْوَىٰ لِدُنْبِكَ إِنْكَ كَتَمْتَ مِنَ  
الْخَاطِئِيْنَ .

(٤٢) فَلَمَّا سَمِعَنِي قَدْ رَفَعْتَ صَوْتِي  
وَصَرَخْتَ تَرَكَ رِدَاعَهُ بِجَانِبِي وَفَرَّ هَارِبًا إِلَى  
الْخَارِجِ .

(٤٣) وَوَضَعْتَ رِدَاعَهُ بِجَانِبِهَا حَتَّىٰ قَدِمَ  
مَوْلَاهُ إِلَىٰ بَيْتِهِ .

(٢٦) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ  
الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتَہَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ  
شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلٰٓلٍ مُّبِيْنٍ .

(٢٧) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ  
يِهِنَّ وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مَتَكًا وَعَآتَتْ كُلَّ  
وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِيْنَا وَقَالَتْ اخْرُجْ  
يِهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ  
أَيْ حَيْثُ وَقَلْنَ حَسْبَ لَنَا مَا هَٰذَا بَشَرًا

(٤٤) فَكَلِمَتُهُ بِمَثَلِ هَٰذَا الْكَلَامِ وَقَالَتْ أَتَانِي  
العبد العبراني الذي جئتنا به ليتلاعب بي .

(٤٥) وَكَانَ عِنْدَمَا رَفَعْتَ صَوْتِي وَصَرَخْتَ  
أَنَّهُ قَدْ تَرَكَ رِدَاعَهُ بِجَانِبِي وَهَرَبَ خَارِجًا .

(٤٦) فَلَمَّا سَمِعَ مَوْلَاهُ كَلَامَ امْرَأَتِهِ الَّذِي  
أَخْبَرْتَهُ بِهِ قَالَتْ كَذَا صَنَعَ بِي عَبْدُكَ  
اسْتِشْطَاطٌ عَلَيْهِ غَضَبًا .



إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ .  
(٢٨) قَالَتْ فَذَنْ الَّذِي لَمْتَنِي فِيهِ  
وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَصْحَمَ  
وَلَعِنَ لَم يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لِي سَجْنٌ  
وَلِيُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ .

(٢٩) قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا  
يَعُونِي إِلَهُهُ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ  
أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ .  
(٣٠) ثُمَّ بَدَأ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا  
الْآيَةَ لَيْسَ جُنَّةً حَتَّى حِينٍ .

(٤٧) فأخذ يوسف مولاه وأودعه الحصن  
حيث كان سجناء الملك مقيدين ، فكان  
هناك في الحصن .



هذا جزء من قصة نبي الله يوسف عليه السلام مما ورد في القرآن الكريم والتوراة لاستكمال المقارنه بين الكتابين المقدسين راجع : مالك بن نبي ، الظاهرة القرآنية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، ( لبنان . لا.ت) ، ص ص ٥٣ . ٣٠٠ .

### نتائج المقارنة في قصة يوسف عليه السلام بين النص القرآني والنص التوراتي

الملاحظات	الرواية التوراتية	الرواية القرآنية	رقم الآية القرآنية
اختلاف	رؤيتان ليوسف B	رؤيا واحدة ليوسف B	٦.٤
اختلاف	ذهاب يوسف B بأمر يعقوب .	ذهاب يوسف B بموافقة يعقوب عقب التآمر عليه .	١٥.٧
اختلاف	سرعة تصديق يعقوب عقب المؤامرة ويأسه من رؤية يوسف	ارتياب يعقوب في أولاده عقب المؤامرة وامله في رؤية يوسف .	١٨.١٦
	الرواية نفسها	بيع يوسف ووصوله إلى مصر	٢٠.١٩
زيادة من	لم يذكر شئ خاص	هم يوسف بالمعصية وبرهان الله	٢٤



القرآن	بالمعصية .	عالي له .	
اختلاف	القميص تأخذه المرأة	القميص تقده المرأة	٢٥
اختلاف	غضب الزوج على يوسف	إدانة خلقية من الزوج لزوجته	٢٩.٢٧
زيادة من القرآن	لم يذكر شئ بهذا الخصوص	فضيحة في المدينة واجتماع للنسوة	٣١.٣٠
زيادة من القرآن	لم يذكر شئ بهذا الخصوص	دعاء يوسف أمام إلحاح المرأة	٣٤

### الغرض من القصة القرآنية

وهنا لابد من الوقوف على الأغراض الداعية لذكر القصص في النص القرآني<sup>(١)</sup>. رغم ان القرآن ليس كتاباً تاريخياً ولم يعير في أي من نصوصه ذلك الأهتمام التاريخي مثلما نجده في غيره. ان ما عرضه القرآن في آياته من شخوص وأحداث هامة ليقتص قصصهم ، لم يمثلوا جميع الأنبياء والرسل والأحداث الهامة المثيرة ، فلقد راعى القرآن الكريم خيال المجتمع العربي ومستوى ثقافتهم ومدى التأثير على مواقفهم فضلا عما يقدمه من دعم نفسي كبير للنبي محمد 9 . وقد يكون واضحاً السبب في اختيار شخوص وأحداث معينة لتذكر في القرآن دون سواها في القول الإلهي : ﴿ وكُلُّنَا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ ... ﴾

(١) للتفصيل في اغراض القصة القرآنية ينظر : محمد باقر الحكيم ، القصص القرآني ، المركز العالمي للعلوم الإسلامية ، (قم - ١٩٩٥ م) ، ص ص ٣١ - ٥٦ .



(١) وقوله تعالى: ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن . . . ﴾ (٢). ومعنى هذا ان اختيار الله تبارك وتعالى لأحداث بعينها من تأريخ الرسل وقصصهم كان مقصوداً ، وان هذا القصد لم يكن إلا التنفيس والإفاضة عن النبي عليه السلام والمسلمين ، وإلى خدمة الدعوة الإسلامية ، ولم يسع أبداً إلى بيان القصص وسرد كامل تفاصيلها (٣) .

ففي قوله تعالى : ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ مُّستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخلٍ منثورة فكيف كان عذابي ونذر ﴾ (٤). يعلق الأستاذ محمد أحمد خلف الله قائلاً : " ان القرآن قد تخطى عن كثير من التفاصيل ، فلم يذكر عن عاد شيئاً قبل التكذيب ، وحتى عملية الإرسال نفسها قد تجاوز عنها فلم يذكر عن هود شيئاً وهو الرسول الذي كذبه القوم ، كما لم يذكر هنا صفة عاد ولم يتحدث عن بيوتها ومساكنها ، ولم يذكر لنا شيئاً مما دار بين هود وقومه من جدل أو حوار . ترك كل هذا وأسرع إلى وصف العذاب ... " (٥) .

ويبرر خلف الله هذا الأهمال القرآني للتفاصيل وتركيزه في العذاب الذي لحق بقوم عاد قائلاً : "فعل القرآن كل هذا لسبب بسيط وهو أنه يريد في ذلك العهد ان ييبث في نفوس المعاصرين للنبي 9 الخوف من العذاب ، ويريد ان يريهم من الصور ما يجعل الخوف قوياً عنيفاً . ومن هنا اختار هذه الصورة واكتفى بها حتى لا يشغل الذهن عنها بغيرها وحرص القرآن على ان يكون العذاب والخوف منه هو النتيجة التي يجب ان تقر في النفس وفي الفؤاد . ومن هنا بدأ القصة بذلك الأستفهام الذي

(١) هود ، الآية (١٢٠) .

(٢) يوسف ، الآية (٣) .

(٣) ينظر : محمد أحمد خلف الله ، الفن القصصي في القرآن ، ص ٣٢١ .

(٤) عاد ، الآية (١٢٣) .

(٥) محمد أحمد خلف الله ، الفن القصصي في القرآن ، ص ١٢٠ .



يُصوب إلى القلب السهام . فكيف كان عذابي ونذري؟ . وختمها أيضاً بالاستفهام نفسه وكأنه يريد أن يصيب من الناس القاتل " (١) .

ومن هنا نستطيع القول ان القرآن الكريم قد اختار من الشخوص والأحداث ما يلائم الأغراض المرجوة من ذكر القصص ولم يعمد إلى سرد الوقائع وتعريف الناس بالأحداث التاريخية . فأكثر الأغراض ، كانت تثبيت قلب النبي 9 وقلوب المؤمنين ، ذلك ان ذكر قصص الأنبياء والرسل وما لاقوه من العذاب والمقاومة في نشر رسالاتهم كان بمثابة العزاء والتخفيف على نفس النبي 9 مما يلقاه من أذى قومه مهوناً عليه الشدائد .

(١) المصدر نفسه والصفحة .

## الفصل الثالث

### تدوين القرآن الكريم وجمعه في عهدي النبوة والراشدة في المنظور الاستشراقي

- لفظة القرآن
- لفظة القرآن عند الملتشرقين
- حقيقة أمية النبي 9
- كتابة القرآن الكريم على عهد النبي 9
- المواد الملتخدمة في تدوين القرآن
- الحرص الملتد في لتدوين النص القرآني
- كتبة الوحي
- النبي محمد 9 وجمع القرآن
- جامع القرآن على عهد النبي 9
- روايات جمع القرآن بعد وفاة النبي 9
- الملتشرقون وروايات الجمع
- آلية عمل زيد ومنهجه في جمع القرآن



## لفظة القرآن

للقرآن الكريم أسماء عديدة ورد ذكرها في الآيات ، كما ورد بعضها في أحاديث النبي 9 (١) . وأكثر هذه الأسماء شهرة وأوضحها دلالة الأسماء التالية:

**أولاً : القرآن** . كما ورد في قوله تعالى : " إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ " (٢) ، وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) ، وقوله جل وعلا : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (٤) . وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ . . . ﴾ (٥) ، وقوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (٦) .

**ثانياً : الكتاب** . كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْكِتَابُ الَّذِي يَتْلُوهُ عَلَى الْعَمَلِ . ذَلِكِ الْكِتَابُ الْمُرِيدُ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٧) ، وقوله : ﴿ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ . . . ﴾ (٨) ، وقوله عزمن قائل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ . . . ﴾ (٩) .

**ثالثاً : الفرقان** . كما في قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ (١٠) ، وقوله : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾ (١١) .

(١) ينظر : محمد عبد الله المهدي البدري ، القرآن الكريم تأريخه وعلومه ، دار القلم ، (دبي - ١٩٨٤) ، ص ٩-١٠ .

(٢) الواقعة ، الآية (٧٧) .

(٣) يوسف ، الآية (٢) .

(٤) الإسراء ، الآية (١٠٦) .

(٥) الإسراء ، الآية (٩) .

(٦) القيامة ، الآيات (١٧ - ١٨) .

(٧) البقرة ، الآيات (١ - ٢) .

(٨) آل عمران ، الآية (٣) .

(٩) آل عمران ، الآية (٧) .

(١٠) الفرقان ، الآية (١) .

(١١) آل عمران ، الآية (٢) .





**رابعاً : الذِكر .** في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزَكِّيهِ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله : ﴿ ... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله تبارك وتعالى : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

**خامساً : التنزيل .** كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، وقوله : ﴿ حَمْدٌ . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ <sup>(٦)</sup> .

ولفظة القرآن في الأصل مصدر على وزن فعلان بالضم ، كالغفران والشكران والثكلان : " تقول قرأته قرأاً وقرأه قرأناً بمعنى واحد ، أي تلوتهُ تلاوةً " <sup>(٧)</sup> . وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ <sup>(٨)</sup> .

لقد تعددت الآراء في الأصل الذي اشتقت منه لفظة " القرآن " <sup>(٩)</sup> فقيل : انها وصف من القراء بفتح القاف وسكون الراء بمعنى الجمع ، وقيل : مشتقة من القرائن ، وقيل من قرنت الشيء بالشيء أي جمعت بعضه إلى بعض ، وقيل : انها مرتجلة أي موضوعة من أول الأمر علماً على كلام الله عز وجل . وقيل هي في اللغة مصدر مرادف للقراءة <sup>(١٠)</sup> .

(١) الحجر ، الآية (٩) .  
 (٢) النحل ، الآية (٤٤) .  
 (٣) الأنبياء ، الآية (٥٠) .  
 (٤) الشعراء ، الآية (١٩٢) .  
 (٥) فصلت ، الآيات ( ٢-١ ) .  
 (٦) الواقعة ، الآية (٨٠) .  
 (٧) ينظر : محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، دار القلم ، ط٢ ، ( الكويت - ١٩٧٠ ) ، ص ١٢-١٣ .  
 (٨) القيامة ، الآية (١٧) .

(٩) للتفصيل في أسباب تسميته بالقرآن راجع : الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج١ ، ص ١٨ .  
 (١٠) للتفصيل عن الآراء ينظر : أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ( ت ٥٤٨ هـ ) ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار احياء التراث ، ( بيروت - لا . ت ) ، ج١ ، ص ١٤ ؛ البديري ، القرآن الكريم تأريخه وعلومه ، ص ٩ ؛ عبد الكريم الخطيب ، القرآن ، ص ٢-١ .



ولكل من الآراء السابقة وجه ، ولكن أرجحها عند كثير من أهل اللغة والفقهاء ، إنها كلمة مبتدأة اسماً لهذا الكتاب العزيز المُتَوَلَّى على محمد بن عبد الله 9 ، ولما جاء فيه من كلام رب العالمين ، تصدق على كله كما تصدق على بعضه . فيقال للمصحف كله قرآن كما يقال للجزء منه قرآن ، كما انها أيضاً تستعمل مصدراً بمعنى القراءة في قراءة القرآن<sup>(١)</sup>.

### لفظة القرآن عند المستشرقين

على ان لفظة " قرآن " هي الأخرى لم تسلم من أبحاث ودراسات المستشرقين ، الذين حاولوا التأكيد على ان أصل الكلمة غير عربي .

فالمستشرقين نولدكه الألماني ومونتجمري وات الإنكليزي يريان ان كلمتي " قراء " و " قرآن " هما من الكلمات الدينية التي ادخلتها المسيحية إلى شبه الجزيرة العربية<sup>(٢)</sup>.

في حين ان المستشرقين شفالي وولهاوزن يجدانها كلمة مستعارة من السريانية أو العبرية : قريانا Keryana أو بالكسر Kiryana<sup>(٣)</sup> .

وعن الأصل اللغوي لها يقول المستشرق الفرنسي بلاشير : " ان السور المنزلة الأولى التي أفتتحت دعوة محمد ، تشتمل على الأصل اللغوي لأسم " القرآن " . ففي بعض المقاطع القرآنية وردت كلمة " قرآن " بمعنى التلاوة ، ويمكن ان تكون هذه الكلمة مأخوذة عن اللغة السريانية التي يرد فيها لفظ مشابه

(١) ينظر : البديري ، القرآن الكريم تاريخه وعلومه ، ص ٩ .

(٢) Noldeke , Geschichte des Qorans , vol – 1 , P . 82 .

ينظر كذلك : مونتجمري وات ، محمد في مكة ، ص ٨٦ .

(٣) ينظر : هاملتون جب و ج . هـ . كالمرز ، الموسوعة الإسلامية الميسرة ، ترجمة راشد البراوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ( القاهرة - ١٨٨٥ ) ، ج ٢ ، ص ٨٠٠ .



جداً لهذا المعنى" (١) .

ويرجع المستشرق الألماني عمانويل كليير هلس بأصل الكلمة إلى العبرية عندما يقول : " ان أصل كلمة قرآن ... هو غير معلوم لنا بصورة أكيدة . ولكن على ما يبدو هو مشتق من الفعل " قرأ " أو " يقرأ " استناداً إلى الوحي الذي نزل على النبي محمد وأمره بـ " أقرأ " أو " قل " . وما نلاحظه بوجه خاص هو المعنى نفسه في العهد القديم ، وكذلك الكلمة العبرية Kara أي (قرأ) (٢) . ويتفق معه تماماً زميله الألماني المستشرق ونتر في ترجمته للقرآن في إرجاع أصل لفظة القرآن إلى العبرية (٣) .

ان القرآن الكريم عربي مبين في مجمله وتفصيله ، ومفرداته وتراكيبه ، وليس فيه ما هو غير عربي ، مثلما يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) . وقوله جل شأنه : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَّلَهُ بِرُوحِ الْأَمِينِ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٥) ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَوَجَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ... ﴾ (٦) .

وبناءً على هذه المعاني السامية الدالة على ان الألفاظ القرآنية ما هي إلا ألفاظ عربية وبلسان عربي مبين . وإن فالأولى بنا ان لا نعتقد إلا بالأصل العربي

(١) بلاشير ، القرآن نزوله ، تدوينه ، ترجمته وتأثيره ، ترجمة رضا سعادة ، دار الكتاب اللبناني ، (بيروت ١٩٧٤ - ) ، ص ٢٣ . ولقد أصدر المستشرق كريستوف لوكنبرغ في عام ٢٠٠٠م كتاباً بعنوان ( معاني القرآن على ضوء علم اللسان - قراءة آرامية سريانية للقرآن ) . إذ حاول هذا المستشرق الألماني إيجاد رابط بين العربية والسريانية ، وقام بدراسة بعض المقاطع القرآنية التي أرجعها إلى أصول سريانية .

(٢) Hals , Der Islam , P . 160 .

(٣) Winter , Der Koran , P . 5 .

(٤) يوسف ، الآية (٢) .

(٥) الشعراء ، الآيات ( ١٩٢ - ١٩٥ ) .

(٦) فصلت ، الآية (٤٤) .



لكلمة القرآن ، الكلمة الجامعة لمحتواه والمعبرة عن الكل والجزء من كلام الله المنزل على رسوله محمد 9 (١) .

### حقيقة أمية النبي 9

قبل الخوض في تفاصيل كتابة القرآن وجمع آياته في عهد النبي 9 ، لابد من الإشارة إلى موضوع في غاية الأهمية ومرتبب ارتباطاً وثيقاً بموضوع البحث ، ألا وهو الحقيقة في معرفة النبي 9 للقراءة والكتابة ، ووجهة نظر الاستشراق بذلك .

لم يحصل الأتفاق التام والكامل بين علماء المسلمين على موقف واحد من أمية النبي 9 ، وتعددت الآراء بين من يقول أنه صلى الله عليه وآله لم يكتب ولم يقرأ من كتاب قط . وبين من يقول أنه لم يتوفه الله تعالى حتى كتب وقرأ ، وبين من يقول أنه كتب مباشرة وببده في أيام البعثة (٢) .

بينما انتهى أكثر المستشرقين إلى استبعاد القول بأمية النبي محمد 9 ، والأنطلاق من فهمهم لكلمة " أقرأ " التي وجهت للنبي 9 في النزول الأول للوحي ، بأنها أمر للقراءة ، مما يعني ، ان النبي 9 كان عارفاً بالقراءة ، وعلى هذا الأساس فهو ليس بأمي .

هذا ما يطرحه كثير من المستشرقين ، كمونتجمري وات الذي يعلق على جواب النبي 9 للأمر الإلهي القائل : " اقرأ " قائلاً : " في التمييز عند ابن هشام " ما أقرأ " وماذا أقرأ " حيث التعبير الثاني لا يمكن ان يعني إلا " ماذا أتلو " وهذا هو المعنى الطبيعي لقوله " ما أقرأ " ، ويبدو من المؤكد تقريباً ، ان المفسرين التقليديين اللاحقين تجنبوا المعنى الطبيعي لهذه الكلمات ليجدوا أساساً للعقيدة التي تريد أن

(١) ينظر : البدري ، القرآن الكريم تاريخه وعلومه ، ص ١٧-١٨ ؛ عبد الكريم الخطيب ، القرآن ، ص ٢-٣ .

(٢) للتفصيل ينظر : عبد الصبور شاهين ، تاريخ القرآن ، دار القلم ، ( بلا - ١٩٦٦ ) ، ص ٤٧ - ٤٨ .



محمدًا لم يكن يعرف الكتابة ، وهذا عنصر رئيس للتدليل على طبيعة القرآن المعجزة  
 «(١)» .

الأعتقاد هذا قد بُني عند المستشرقين ، من خلال مجموعة من المعطيات  
 الواردة في بعض الآيات القرآنية والأحاديث المروية الدالة على معرفة النبي للقراءة  
 والكتابة ، مضافاً إلى ما يعتمدوه في تفسير جواب النبي 9 للوحي الأول . فالآية  
 (٤٨) من سورة العنكبوت : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لُمْتُمْ  
 الْمُبْطِلِينَ ﴾ وفيها إشارة واضحة إلى ما كان النبي 9 يتلوه ( وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ  
 قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ ) ومعنى هذا القول الإلهي عند المستشرق فيل  
 والمستشرق هاملتون جب : ان النبي 9 كان يعرف القراءة والكتابة ، وإنه 9 لم يقرأ  
 كتب اليهود والنصارى السابقة لبعثته<sup>(٢)</sup> .

وقد ينظر إلى الآية (٥) من سورة الفرقان : ﴿ وَقَالُوا أُسْطِرُّوا وَالْأُولَىٰ نَاكِتًا فَهِيَ  
 تَمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ انها تأكيد على ان النبي 9 لم يقرأ كتب اليهود والنصارى  
 ولم يكتب منها ، وإنه 9 قد تعلم في وقت متأخر من حياته<sup>(٣)</sup> .

وتبنى المستشرق الفرنسي رجيس بلاشير المناقشة التفصيلية للتساؤل المهم  
 الوارد ضمن قوله : " هل كان محمد يعرف القراءة والكتابة ؟ ... سؤال مهم جداً...  
 وقد جاءت عنه إجابات مختلفة ، فالرأي الثابت اليوم لدى المسلمين هو أن محمدًا  
 لم يكن يملك هذه المعرفة ، وهو يعتمد على خبر قديم سابق في علم التفسير ،  
 يجعل الاشتقاق ( أُمِّي ) ، لاسيما في التعبير : ( النبي الأُمِّي ) بمعنى ( جاهل -

<sup>(١)</sup> مونتجمري وات ، محمد في مكة ، ص ٨٥ ؛ ولا يخرج عن نطاق هذا المعنى المستشرق ادوارد سيل ، ينظر :  
 Sell , Edward , The historical , P . 2 .

<sup>(٢)</sup> ينظر : هاملتون جب و كالمرز ، الموسوعة الإسلامية الميسرة ، ج ٢ ، ص ٨٠٨ - ٨٠٩ ؛  
 عبد الصبور شاهين ، تاريخ القرآن ، ص ٤٩ .

<sup>(٣)</sup> هاملتون جب و كالمرز ، الموسوعة الإسلامية الميسرة ، ج ٢ ، ص ٨٠٨ - ٨٠٩ .



لا يعرف القراءة والكتابة ) ، وقد أخذ بهذا التفسير عدد من المستشرقين مثل :  
Montet , Kasimirski , Amari<sup>(١)</sup>.

ويواصل بلاشير قائلاً : " لنعد إلى السورة ٢/٩٦<sup>(٢)</sup> ... فكلمة " أمي " في هذه الآية ، وفي كثير غيرها يقصد بها ( العرب المشركون ) الذين لم يتلقوا وحياً ، كما هي حال اليهود والنصارى ، وهم لذلك يعيشون في جهل بشرع الله ، وفي تفسير الطبري أخبار كثيرة مرفوعة إلى ابن عباس تؤيد هذا المعنى وتزكيه .  
فالنبي الأمي لا يعني إذن ( النبي الجاهل ) ، وإنما يعني نبي الوثنيين ، ...  
أي الوثنيون الذين كان اليهود والنصارى يعرفونهم<sup>(٣)</sup> .

ويعلل الفكرة السائدة عند المسلمين بشأن أمية النبي 9 في قوله : " ولو أننا تأملنا من قريب الفكرة السائدة في العالم الإسلامي فسنلاحظ أنها ناشئة عن نزعة إلى المديح : فالذي يدل على الأصل الإلهي للقرآن هو أن ذلك الكتاب قد أوحى إلى أمي ( جاهل ) ، حالت أميته بينه وبين ان يستقي معلوماته من أي تعلم مباشر للكتب اليهودية . النصرانية ، وهكذا يروعا التناقض بين صورة محمد في تواضعها كإنسان ، وفي عظمتها كرسول . لذلك انتهى بعض المستشرقين إلى إقصاء القول بأمية محمد جانباً<sup>(٤)</sup> .

وبلاشير يصرّ على معرفة النبي 9 للقراءة والكتابة ، مستعيناً ببعض الأخبار الواردة عن النبي 9 في كتب التاريخ ، ويقول : " ففي خبر الحديبية ( عام ست من الهجرة / ٦٢٧ م ) ان محمداً ورسول مكة سهيل قررا عقد معاهدة ، فدعا محمد كاتبه وبدأ يُملي البسملة ، ولكن سهيل أوقف النبي لساعته قائلاً : ( أكتب كما

<sup>(١)</sup> Regis Blachere , introduction au coran , (paris-1959) , P . 6 – 7 .

<sup>(٢)</sup> ورد رقم السورة المقصودة عند بلاشير خطأً ، والصحيح هو (٦٢) سورة الجمعة وليس (٩٦) . وقد جاء في الآية الثانية منها قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يُتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ... ﴾ .

<sup>(٣)</sup> Blachere , introduction , P . 7 - 8 .

<sup>(٤)</sup> Ibid , P . 8 .



كنت تكتب من قبل : بأسمك اللهم ) فمن الواضح ان سهيل يشير إلى بعض كتابات بيد محمد قبل رحيله من مكة وربما قبل مبعثه .

وأكثر من ذلك أيضاً مجموعة الأخبار التي تشير إلى ان النبي في مرضه الأخير طلب كتفاً أو قطعة من جلد ، ودواة كيما يحرق وصيته السياسية ، ولم يدهش أحد من طلبه ، وإذا كان الذي حدث أنهم لم يجيبوه إلى ما طلب ، فلأن جانب أبي بكر وعائشة قد عارض في ذلك جانب علي<sup>(١)</sup> .

ثم يختم بلاشير هذا الموضوع بقوله : "وجملة القول : أننا نرى وجود قرائن على ان محمداً كان يعرف القراءة والكتابة ، فضلاً عن ذلك فلدينا من الأسباب ما يحملنا على الظن بأن رجالاً آخرين من أسرته : مثل عمه أبي طالب ، وأبن عمه علي كانت لديهم أيضاً هذه المعرفة"<sup>(٢)</sup>.

وبعدما عرضنا أهم طروحات المستشرقين والنقاط التي يثيرونها لدعم فرضيتهم القائلة بمعرفة النبي 9 للقراءة والكتابة . أكتفي بإيراد نقطتين هامتين في دعم حقيقة أمية النبي 9 . على ان الأمية هنا ، لا تعني إلا جهل القراءة والكتابة ، والا فعقل النبي 9 وتفكيره ونطق لسانه لا يضاويه فيهن أحد ، لأنه المختار من العباد لحمل أشراف الرسالات السماوية ، وان الأمية هنا لا تتعدى حدود ( جهل القراءة والكتابة) وهو بلا شك أمر إلهي لإرادة حكيمة .

أما كيف أثبات هذه الأمية ، فنقول ان رسول الله محمد 9 كان من المسلمين بمقام رفيع ومنزلة عالية ، ولذلك تشرف الكثير منهم لتسجيل أحاديثه وأخباره وغزواته وكل ما يخصه 9 من الشمائل والأخلاق والصفات وعدد الزوجات وغيرها من صغير أو كبير . فكيف إذا يعرضون عن إيراد خبر هام حول معرفة النبي 9 للقراءة والكتابة لو كان بالفعل قارئاً و كاتباً .

Blachere , Introduction , P . 10 – 11 .

Ibid , P . 11 .

(١)

(٢)



أضف لذلك أستعمال النبي 9 لعدد من الصحابة في كتابة الوحي ، حتى بعض الصحابة كان معروفاً بملازمته للنبي 9 استعداداً وتهيئاً لأي وحي قد ينزل على رسول الله 9 فيقوم الكاتب بتسجيله . ولو كان عليه أفضل الصلاة والسلام على علم ومعرفة بالقراءة والكتابة لما احتاج إلى ذلك العدد من الكتبة ولا إلى تلك الملازمة .

ويكفينا القرآن الكريم علةً وحكمة هذه الأمية والتي هي ليست عيباً ولا نقصاً بشخص النبي 9 ، وإنما هي إثباتاً لحقيقة نبوته ، يكفيها القول الإلهي : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكُمْ إِذَا لُمْتُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

### كتابة القرآن الكريم على عهد النبي 9

كان القرآن الكريم ينزل على النبي محمد 9 فيحفظه أولاً ، ثم يدونه كتابةً مستعيناً ببعض الصحابة ممن يعرفون القراءة والكتابة ، فيدلهم على مواضع الآيات وأماكنها في السور ، وهذا ما أشارت إليه الرواية المذكورة عن زيد بن ثابت في قوله : " كنا عند رسول الله 9 نؤلف القرآن من الرقاع "<sup>(٢)</sup>. وتأليف القرآن هنا يعني ترتيب سورته وآياته كلاً بحسب مكانه .

نعم لقد كان النبي الكريم 9 يهتم بتدوين الآيات القرآنية كلما نزلت عليه ، مرتباً أماكنها بشكلٍ توقيفي غير اختياري فعن قول عثمان بن أبي العاص أخرج أحمد في مسنده ما نصه : " كنت جالساً عند رسول الله 9 إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ إلى آخرها " <sup>(٣)</sup>.

(١) العنكبوت ، الآية (٤٨) .

(٢) ينظر : محمد بن بهادر عبد الله الزركشي (ت : ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م ) ، البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، (بيروت - ١٣٩١ هـ) ، ج١ ، ص ٢٣٧ ؛ جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) ، الاتقان في علوم القرآن ، المكتبة الثقافية ، (بيروت - ١٩٧٣ م) ، ج١ ، ص ٩٩ .

(٣) السيوطي ، الاتقان ، ج١ ، ص ١٠٤ .





وفي كتب الحديث مداليل أخرى على ان الآيات والسور القرآنية قد رُتبت بشكل توقيفي في أيام النبي 9، وقد ثبت انه 9 قد قرأ سوراً متعددة بترتيب آياتها في الصلاة وفي خطب الجمعة بمشهد من الصحابة ، فكان ذلك دليلاً صريحاً على ان الترتيب هو توقيفي غير اختياري ولا اجتهادي<sup>(١)</sup> .

ويجب علينا كمسلمين ان لاندع مجالاً لتداول بعض الآراء المؤدية إلى إضعاف الدين في نظر الآخرين وإشاعة الأقاويل حول ما يخص القرآن الكريم من جمع وترتيب وتدوين .

فمثلاً يورد الزركشي بشأن ترتيب السور القرآنية ما نصه : " وترتيب بعضها ليس هو أمراً أوجبه الله ، بل أمر راجع إلى اجتهادهم واختيارهم ، ولهذا كان لكل مصحف ترتيب "<sup>(٢)</sup> . وقول الزركشي هذا وأمثاله مما يعمل على تجريد النبي 9 من مهامه وأدواره الرسالية ويسلب من كتاب الله العناية الإلهية التي حفته منذ نزوله على المصطفى وحتى الآن . وينسب فضل ترتيبه على هذه الصورة الحالية إلى اجتهاد الصحابة واختيارهم<sup>(٣)</sup> . وكان هذا الترتيب غير مرتبط بالإرادة الإلهية ، وكان جبريل B لم يكن ينزل في كل سنة مرة ليراجع مع النبي 9 ما نزل من القرآن الكريم ، حتى قيل انه نزل مرتين في آخر سنة من حياة النبي 9<sup>(٤)</sup> . فعلى أي ترتيب كانوا يراجعون ، أعلى الترتيب المرتبط بالمشيئة الإلهية أم على الترتيب الأجهادي والاختياري للصحابة ؟ .

(١) ينظر : السيوطي ، الإتقان ، ج١ ، ص ١٠٥ .

(٢) الزركشي ، البرهان ، ج١ ، ص ٢٦٢ .

(٣) يقول المستشرق الأمريكي آرثر جفري في مقدمته لكتاب المصاحف : " فإن علماء الغرب لا يوافقون على ان ترتيب نص القرآن كما هو اليوم في أيدينا من عمل النبي " ينظر : أبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني ( ت : ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ) كتاب المصاحف ، تحقيق آرثر جفري ، المطبعة الرحمانية ، ( مصر - ١٩٣٦ ) ، ج١ ، ص ٥ .

(٤) ينظر : أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ( ت : ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م ) ، كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، تحقيق طيار ألتى قولاج ، دار صادر ، ( بيروت - ١٩٧٥ ) ، ص ٣٣ .



والراجح كما يقول السيوطي ان تدوين القرآن في عهد الرسول 9 كان في زمن مبكر من الدعوة أي قبل الهجرة ، وما يؤكد ذلك خبر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فالكتابة كانت تسير مع القراءة عن طريق المشافهة في حفظ النص ، فكلما نزل من القرآن شئ أمر الرسول 9 كتابة الوحي بتدوينه <sup>(١)</sup> .

وقد كان الصحابة يعرضون ما يحفظون من القرآن على الرسول 9 للتأكد من ضبط وسلامة حفظهم ، كما كان الرسول 9 يأمرهم أحياناً بالقراءة حتى يستمع . فقد ورد عن ابن مسعود انه قال : " قال لي رسول الله 9 : أقرأ عني ففتحت سورة النساء ، فلما بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، رأيت عينيه تذرف من الدمع ، فقال : حسبك الآن " <sup>(٣)</sup> .

وهكذا رغم اهتمام النبي الكريم 9 على حفظ الصحابة للقرآن ومداومتهم على قراءته في الصلاة وغيرها من المناسبات العبادية وعلى دراستهم ومذاكرتهم لآياته وسوره . فقد ركز وأولى عناية فائقة بكتابته وتدوينه ويقول أبو شامة : " كان النبي 9 كلما نزل من القرآن شئ أمر بكتابته " <sup>(٤)</sup> .

وبذلك كانت كتابة الآيات والصور وترتيبها توقيفي بأمر النبي الكريم 9 ، الذي كان يعرض القرآن بنفس الترتيب على جبريل B مما يدل على ان النص القرآني وترتيبه قد وثق توثيقاً لا يبقى معه أدنى شبهة في كونه نابع من المشيئة الإلهية وغير خاضع للأجتهد والأختيار البشري .

وان ما رافق ذلك الاهتمام بالكتابة والتدوين ، كان الحفظ الصدري الذي لم يكن بأقل أهمية من التدوين والكتابة ، إذ الكثير من الصحابة كانوا لا يعرفون الكتابة أو

<sup>(١)</sup> السيوطي ، الاتقان ، ج١ ، ص ٦٢ .

<sup>(٢)</sup> النساء ، الآية (٤١) .

<sup>(٣)</sup> محمد بن محمد بن الجزري ، غاية النهاية ، تحقيق برجستراسر ، مكتبة الخانجي ، (مصر - ١٩٣٢ م) ،

ج١ ، ص ٤٥٨ .

<sup>(٤)</sup> أبو شامة ، كتاب المرشد الوجيز ، ص ٣٣ .



القراءة من المكتوب ولذلك يلجئون إلى الحفظ الصدري لآيات وسور القرآن ، هذا من جهة ، ومن جهةٍ أخرى فإن الحفظ الصدري للقرآن كان من مستلزمات إداء بعض العبادات التكليفية الواجبة كالصلاة .

ويبدو المستشرق الألماني شبرنجر متحيراً بشأن كتابة وتدوين القرآن على عهد النبي 9 عندما يقول : "وعليه نرى بأن محمد دَوَّن وحيه في المدينة من خلال الكتاب ، إلا أننا غير متأكدين فيما لو انه أنتج كتاباً كاملاً أم لا ، أو فيما لو جمع القرآن من خلال الكتابة ولكن ما تأكدنا منه هو ان القرآن كان محفوظاً في الذاكرة والقلب" (١) .

وتتطابق رؤيته مع الحقيقة حينما يؤكد على وجود مدونات مكتوبة وان الاعتماد لم يكن مقتصرًا على الحفظ الصدري فقط حين يقول : " ووجدنا ... بأنه 9 قد أرسل رسلاً إلى القبائل كي يعلموهم القرآن وواجبات الإسلام ، ولم يحصل إياً منا على نسخة كاملة للقرآن ، وقد يكون لدى البعض معلومات مدونة ( مكتوبة ) قليلة ، إلا ان الأغلبية يحفظون الكثير عن ظهر قلب" (٢) .

### المواد المستخدمة في تدوين القرآن

لم يعرف الورق ، ولم يستخدم في العالم الإسلامي ، إلا في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري (٣) . وقبل هذا التاريخ كانت هناك مواد متعددة تستخدم بديلاً عنه ، قد استخدمت في كتابة آيات القرآن وسوره ، ومنها : الرق ، الجلد ، ألواح خشبية ، العُعب ، اللخاف وعظام الكتف (٤) .

(١) A . Sprenger , Leben und die lehre Mohammad , (Berlin-1869) , P .XXXII .

(٢) Ibid . P .XXXII .

(٣) ينظر : صالح أحمد العلي ، دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ( بيروت - لا . ت ) ، ص ١٣ ؛ حسين علي الداوقني ، " معركة طلس أو الصراع الحضاري بين العرب والصين " ، بحث منشور في مجلة دراسات للأجيال ، العدد الثالث - أيلول ١٩٨٧ ، ص ص ١٢٢ - ١٢٤ .

(٤) ينظر : صبحي الصالح ، مباحث في القرآن ، ط ١٠ ، دار العلم ، ( بيروت - ١٩٧٧ ) ، ص ٦٩ ؛ أبي عبد الله الزنجاني ، تأريخ القرآن ، ص ٢٢ .



وكان كتبة الوحي يكتبون الآيات على هذه المواد فيطلق عليها الصحف ، وكانت من تلك الصحف تكتب لرسول الله 9 وتوضع في داره (١).  
ولكن التساؤل المهم والملح هنا : هو أي المواد كانت الأكثر استخداماً من بين هذه الأنواع ؟

من الطبيعي جداً ان تكون هناك مواد مناسبة كان الرسول 9 يستخدمها في كتابة النصوص القرآنية ، وهي بلا شك ليست المواد السريعة التلف أو التي لا تستوعب سوى أسطر أو كلمات معدودة ، كالخاف والعب وحتى عظام الحيوانات . بل لابد ان تكون أفضل من هذه ، إذ يذكر القلقشندي ان الصحابة أجمعوا : " على كتابة القرآن الكريم في الرق لطول بقائه أو لأنه الموجود عندهم حينئذ " (٢) .

وعلى ما يبدو فإن القراطيس (٣) كانت أفضل الأنواع ملائمة لكتابة وتدوين النصوص القرآنية ، لاسيما وهي من المواد المستخدمة في شبة جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام ، كما ان القرآن الكريم قد أشار إليها في قوله تعالى : ﴿ وَكَوْنَزَكْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ ... قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْطِيسٍ تُبَدُّوْنَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ... ﴾ (٥) .

(١) الزنجاني ، تأريخ القرآن ، ص ٢٢ .

(٢) القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد ( ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م ) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب المصرية ، ( القاهرة - ١٩٦٣ ) ، ج ٢ ، ص ٤٢٥ .

(٣) (القراطيس) وهي كلمة مشتقة من Khartes الإغريقية ، والقراطس هو نبات البردي من نوع الحلف يكثر وجوده في مصر التي اشتهرت بزراعته منذ أقدم الأزمنة ، ولاسيما في منطقة الدلتا والفيوم ، وكان يؤخذ لينة ، ويقطع في شرائح طويلة توضع متعارضة في طبقتين أو ثلاث ثم تبلل بالماء ، ثم تضغط وتصل فتتكون منها أوراق تصلح للكتابة بالحبر تسمى بالقراطيس . ينظر : صالح أحمد العلي ، دراسات في تطور الحركة الفكرية ، ص ٥٤ ؛ جورج سارتون ، تأريخ العلم ، ترجمة محمد خلف الله وآخرون ، دار المعارف ، ط ٣ ، ( القاهرة - ١٩٧٦ ) ، ج ٣ ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٤) الأنعام ، الآية (٧) .

(٥) الأنعام ، الآية (٩١) .



ويأتي امتياز القراطيس عن غيرها من المواد الأخرى ، كونها أوراق صالحة للكتابة بالحبر ، خفيفة الوزن تبقى آمداً طويلاً ، كما أنه يمكن ان يكتب عليها نصوص بالغة الطول وتحفظ على ترتيبها ، ويتراوح عرض القرطاس ما بين ثلاثة أقدام إلى ثمانية عشر قدماً ، أما طوله فيمكن ان يصل إلى أكثر من مئة قدم (١) .  
وقد نقل السيوطي (٢) عن موطأ بن وهب ان أبا بكر لما أراد جمع القرآن كان بعضه مكتوباً في قراطيس مما يعني أنه كان مما استخدمه رسول الله 9 في تدوين آيات القرآن وسوره ، ولا يستبعد ان تكون القراطيس من أكثر المواد التي استخدمت لهذا الغرض ، كونها تتميز عن غيرها بقابلية حفظ أسطر كثيرة في قطعة واحدة بخلاف المواد الأخرى .

وقد يكون السبب في عدم اعتماد النبي الكريم 9 على مادة واحدة كالقراطيس مثلاً أو الرق ، بسبب طول مدة نزول الوحي لثلاث وعشرون سنة تقريباً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، ان الوحي ووفق ما جاء في الروايات الإسلامية كان ينزل على النبي 9 دون سابق إنذار ودون موعد محدد ، وعليه فالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، كان يسارع إلى حفظه أولاً ، ومن ثم إلى تدوينه ، وعلى أي من المواد المتوافرة لديه وقتذاك ، ان كان عباً أو لخافاً أو رقااً أو غيرها .

ونرى هنا بأن المستشرقين لا يختلفون في ان النبي الكريم 9 ، كان إذا ما نزل عليه الوحي الشريف يسارع إلى حفظه الصدري ، وبالوقت نفسه إلى تدوينه على مواد متعددة .

فالمستشرق الألماني عمانويل يقول : " ففي عصر الرسول تم الاحتفاظ بالوحي بطرق مختلفة ، فبعضاً من الذين عاصروه كتبوها على مواد متعددة مثل ( الجلد ، الخشب ، أوراق النخيل ، قطع حجرية ، وحتى على العظام ) وليس بدافع

(١) ينظر : صالح أحمد العلي ، دراسات في تطور الحركة الفكرية ، ص ٥٤-٥٥ ؛ جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ج ٣ ، ص ٨١-٨٢ .  
(٢) الأتقان ، ج ١ ، ص ٦٠ .



الاستهانة عندما كانت تقوم بعض المجاميع بتلاوة بعضاً من القرآن شفويّاً من ذاكرتهم إلى جانب التدوين<sup>(١)</sup>.

ويقول المستشرق موريس بوكاي : " وقد استخدمت أشياء متنوعة لإتمام أول تدوين للقرآن : مثل الرق والجلد والألواح الخشبية وعظام لوح البعير وأحجار الحفر الطرية . ولكن محمداً 9 قد أوصى المؤمنين في الوقت ذاته بحفظ القرآن عن ظهر قلب ، وذلك ما فعلوه ... ولقد اتضحت القيمة الثمينة لذلك المنهج المزوج في حفظ النص بالكتابة والذاكرة<sup>(٢)</sup> .

وبينما يرى بلاشير ان استخدام هذه المواد في تدوين النصوص القرآنية لم يتم إلا بعد هجرة النبي 9 إلى المدينة<sup>(٣)</sup> . نطالع الحقيقة في قول المستشرق عمانويل ، والتي يؤكد فيها على غاية النبي 9 من عنايته وأهتمامه بتدوين النصوص القرآنية حين يقول : " لقد أملى النبي محمد ما أوحى إليه على مختلف الكُتاب ، ... إذ أراد بهذا ان يترك خلفه كتاباً كاملاً لأوحيته ، مثلما هو لدى اليهود والمسيح . والذي شجعهم على هذه المهمة الصعبة هو عجبهم بما يملكوه ( أهل الكتاب ) .

قدر الأماكن أراد النبي محمد ان يزيد على مؤسس الكنيسة المسيحية ، بأنه ليس مثل يسوع تخلى عن تدوين علومه طيلة شبابه ، وإنما تمسك بنصه وحرص على تدوينه تحريراً<sup>(٤)</sup> .

### الحرص المحمدي لتدوين النص القرآني

(١) Hals , Der Islam , P . 161 .

(٢) موريس بوكاي ، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم ، دار المعارف ، ط٤ ، ( القاهرة - ١٩٧٧ ) ، ص ١٥٥ .  
(٣) بلاشير ، القرآن نزوله ، ص ٢٨ - ٣٠ . وعلى ما يبدو ان المستشرق الفرنسي بلاشير قد غابت عنه رواية إسلام عمر بن الخطاب وما فيها من دليل واضح على وجود صحف عليها مدونات قرآنية . عن هذه الرواية ينظر : ابن هشام ، محمد بن عبد الملك ( ت : ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م ) ، السيرة النبوية ، تحقيق همام سعيد ومحمد بن عبد الله ، ( الأردن - ١٩٨٨ ) ، مج ٢ ، ص ١٩٠ .

(٤) Hals , Der Islam , P . 160 - 161 .



ينقسم المستشرقون إلى من يرى في ان النبي الكريم 9 لم يبد أي اهتمام بتدوين النص القرآني ، أو على الأقل أنه أهمل ذلك التدوين خلال العهد المكي . في حين يرى آخرون بأنه 9 كان يهتم بشكل كبير في هذا الأمر . فالمستشرق ونتر يقول : " ان القرآن الكريم ، الذي نشأ دون اعتبار للتدوين التحريري ( المكتوب ) ، وإنما فقط وفق الاعتماد على الذاكرة وما حفظ منه ... كان قد ترك فجوات شك وريبه عند وفاة النبي " (١).

وبينما يصّر بلاشير على ان التدوين تم بعد هجرة النبي 9 إلى المدينة ، محاولاً التقليل من حجم الأهتمام والحرص المحمدي حين يقول : " ان مفهوم النص المكتوب كان حاضراً في أذهان المهتمين المكيين الأول ... إبان سنة ٦٢٢ م ... ومع ذلك فإن أنصار محمد لم يشعروا مباشرةً بضرورة تدوين الرسالة الجديدة "

في حين ان شبرنجر يرى بأن النبي محمد 9 كان حريصاً على تدوين النص القرآني ، ولكن يعطل هذا الحرص بأنه ناتج عن تقدم سن النبي 9 وضعف ذاكرته ، مما دعاه إلى هذا الحرص (٣) ، ثم يعود في نهاية المطاف ليقرر ان المدونات القرآنية قد أهملت قبل وفاة النبي 9 ، ونجد هذا من خلال قوله : " لقد صاغ محمد الكثير من أجزاء القرآن في سور . وبضمن هذا أيضاً ما قد فقد منها بسبب ضعف الذاكرة أو بسبب أهمالها . وعلى الرغم من ان أوحيته تمثل كلام الله ، ألا أنها بقيت حتى موته تخضع للأهمال ، فمثلاً عرض هشام بن حكيم السورة (٢٥) بشكل غير

Winter , Der Koran , P . 10 .

(٢) بلاشير ، القرآن نزوله ، ص ٢٨ .

Sprenger , Leben und die lehre mohammad , P .XXXIII – XXXIV .

(١)

(٣)



صحيح ، مما اغضب عمر وقال : دعني اسمع قراءتك بعد ما انتهى من قراءته . وكانت مختلفة عن هشام ، قال ثانية : هكذا أوحيت إليّ !!! ... " (١) .

اما الطرف الثاني الذي يدرك العناية المحمدية لتدوين النص القرآني ، والنابعة أصلاً من العناية الإلهية التي تؤكد الآيات القرآنية المتعددة التي سنأتي على ذكر بعض منها . يمثلها المستشرق موريس بوكاي بقوله : " هناك نصوص تثبت صراحةً ان ما قد أنزل على محمد 9 من القرآن قبل مغادرته مكة إلى المدينة ( أي قبل عام الهجرة ) كان مثبتاً بالكتابة " (٢) . وأكثر من هذا يشير المستشرق عمانويل إلى ان النبي الكريم 9 قد دُونَ ما أُوحى إليه من القرآن وأراد من هذا التدوين ان يترك بعده كتاباً كاملاً ، وانه أراد ان لا يتخلى عن تدوين النص القرآني في حياته كما حصل مع المسيح B ، وإنما تمسك بالنص المنزل عليه وكان شديد الحرص على تدوينه تحريرياً (٣) .

وكما نرى لا يوجد اتفاق واحد بين المستشرقين ، حول حجم اعتماد التدوين القرآني في عصر النبوة ، والأهتمام والحرص المحمدي لذلك . وارى بأن الوقوف على حجم الأهتمام بتدوين النص القرآني خلال العصر النبوي ، سيكون مفيد جداً في الإجابة على تساؤل مهم وهو : هل توفي النبي 9 وهو تارك الآيات والسور القرآنية مفرقة بين الرقاع والعظام وسعف النخيل ؟ .

وبلا شك ان موضوع تدوين النص القرآني وحجم الأهتمام به ، له علاقة وثيقة ومتينة بموضوع جمع القرآن والحرص على حفظه من الضياع . واني لأستغرب من تأكيد المستشرق بلاشير وآخرون غيره ، على عدم حرص النبي 9 على تدوين وكتابة الآيات حال نزولها (٤) ، رغم ان الشواهد التي تخالف هذا

(١) Sprenger ,leben und die lehre mohammad , P – XXXIV .

(٢) موريس بوكاي ، القرآن الكريم والتوراة ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٣) Hals , Der Islam , P.160 -161 .

(٤) Blachere , Introduction au coran) , P .-14 - 15 .





المنطق كثيرة ومتنوعة ، فالكتابة عند ظهور الإسلام كانت معروفة ومستعملة عند العرب عموماً ، لاسيما في مكة والمدينة<sup>(١)</sup> . ويظهر الإسلام ، فإن الأهتمام بها والحرص على استعمالها والتشجيع على تعلمها ، كان بارزاً من خلال آياتِ عِدَّة وأحاديث منقولة عن رسول الله 9 .

فعاية الله تبارك وتعالى نجدها ظاهرة بشكل واضح من خلال تأكيد القرآن على وجوب كتابة وتدوين بعض الوثائق والعقود كعقد الدين كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَانَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ . . . وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ . . . ﴾<sup>(٢)</sup> . وعقد النكاح في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَكَيْسَتَعْفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاكْتُبُوهُمُ إِنِ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا . . . ﴾<sup>(٣)</sup> .

كما ان مواد الكتابة قد نُكرت كثيراً في القرآن الكريم ، فقد وردت لفظة القلم في قوله تعالى : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله : ﴿ أقرأ ومرتبك الأكرم . الذي علم بالقلم ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقوله : ﴿ وَكُونَا فِي الْأَمْرِ فِي شَجَرَةٍ أَقْلَمُ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقوله جل وعلا : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيحًا وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ ﴾<sup>(٧)</sup> .

كذلك ينظر :

- التهامي نفرة ، " القرآن والمستشرقون " ، ج ١ ، ص ٤٠ - ٤١ .  
<sup>(١)</sup> ينظر : صالح أحمد العلي ، دراسات في تطور الحركة الفكرية ، ص ٨٠ - ٨١ .  
<sup>(٢)</sup> البقرة ، الآية (٢٨٢) .  
<sup>(٣)</sup> النور ، الآية (٣٣) .  
<sup>(٤)</sup> القلم ، الآية (١) .  
<sup>(٥)</sup> العلق ، الآيات (٣ - ٤) .  
<sup>(٦)</sup> لقمان ، الآية (٢٧) .  
<sup>(٧)</sup> آل عمران ، الآية (٤٤) .



كما وردت لفظة الرق في قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ . وَكَتَبَ مَسْطُورٍ . فِي رِقِّ مَنَشُورٍ ﴾<sup>(١)</sup> . ولفظة القرطاس في قوله : ﴿ وَكُونزَكْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرطَاسٍ . . . ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله : ﴿ . . . قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ . . . ﴾<sup>(٣)</sup> . والمداد<sup>(٤)</sup> في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي لَتَفَدَّ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَفَدَّ كَلَّمْتُ رَبِّي وَكُوجِنًا بِمِثْلِهِ مِدَادًا ﴾<sup>(٥)</sup> .

وقد أفادنا الدكتور صالح أحمد العلي بإحصائية دقيقة بكل ما يرتبط بالكتابة ومعانيها والفاظها ، فقد ذكر ان لفظة الكتاب المسطور وردت في ( الكوثر ١٢ ، الاحزاب ٦ ، الإسراء ٥٨ ) ، ولفظة الألواح وردت في ( الأعراف ١٤٥ ) ولفظة السجل الذي يطوي الكتب وردت في ( الأنبياء ١٠٤ ) ، ولفظة الصحف وردت في ( المدثر ٥٢ ) ، ولفظة الصحف الأولى وردت في ( طه ١٣٣ ، الأعلى ٢ ) ، وصفح موسى في ( النجم ٣٩ ) ، وصفح إبراهيم وموسى في ( الأعلى ١٩ ) ، وعبارة ان القرآن الكريم كان في صحف مكرمة (عبس ١٣) ، وتلاوة رسول الله 9 لصفح مطهرة ( البينة ٢ )<sup>(٦)</sup> .

ويقول أيضاً : " ذكر فعل الكتابة بمعنى الأمر في ٢٦ آية ، وفي المعنى الشائع لدينا في سبع آيات . أما كلمة " كتاب " فقد وردت في القرآن الكريم في ٢٩

<sup>(١)</sup> الطُّور ، الآيات ( ٣-١ ) .

<sup>(٢)</sup> الأنعام ، الآية (٧) .

<sup>(٣)</sup> الأنعام ، الآية (٩١) .

<sup>(٤)</sup> ( المداد ) : " المَدَّة بالضم أسم ما استمددت به من المداد على القلم ... وَالْمَدَادُ النَّقْسُ تقول منه مَدَّ الدَّوَاةَ وَأَمَدَّهَا أيضاً وَأَمَدَّتْ الرَّجُلَ إِذَا أُعْطِيَتْهُ مَدَّةً بِقَلَمٍ " . ينظر : ابي بكر الرازي ، مختار الصحاح ، ص ٢٥٨ .

<sup>(٥)</sup> الكهف ، الآية (١٠٩) .

<sup>(٦)</sup> صالح أحمد العلي ، دراسات في تطور الحركة الفكرية ، ص ٧٤ - ٧٥ .



آية ، وورد ذكر ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ في ٣٢ آية ، ووردت كلمة " الكتاب " أو " الكتب " بمعنى الكتب المقدسة في الأديان السماوية في ٣٨ آية ...<sup>(١)</sup>.

ويعلق الخطيب البغدادي حول آية الدين قائلاً : " فلما أمر الله تعالى بكتابة الدين حفظاً له ، واحتياطاً عليه ، وإشفاقاً من دخول الريب فيه ، كان العلم ، الذي حفظه أصعب من حفظ الدين أحرى ان تباح كتابته ، خوفاً من دخول الريب والشك فيه "<sup>(٢)</sup>.

وهنا إلا تكفي هذه الآيات الكريمات ، وما جاء فيها ، للتدليل على العناية والحرص الإلهي على قضية التدوين والحفظ التحريري . ثم ان العناية المحمدية لا تختلف عن توجهات العناية الإلهية . فقد حث الرسول الكريم 9 على كتابة آيات القرآن وسوره ، إذ يروي أبو سعيد الخدري ان الرسول 9 قال : " لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن "<sup>(٣)</sup> . ونلاحظ الحرص المحمدي على ان لا ينصرف المسلمون ، إلا إلى القرآن في كتابته وفي دراسته وفهمه وحفظه ، وما قصة فداء أسرى المشركين في معركة بدر ، وإطلاق سراح من علم منهم عشرة صبيان مسلمين القراءة والكتابة<sup>(٤)</sup> ، إلا دليل أكيد على ذلك الحرص والأهتمام .

ثم ان هناك ما يشير إلى خوف النبي 9 من ضياع آيات القرآن أو تحريفها أو اختلاطها ، بما يروى من الأحاديث ، لذلك جاء نهيه الشريف عن ترك الكتابة

(١) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .

(٢) أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م ) ، تقييد العلم ، تحقيق يوسف الغش ، ط ٢ ، ( بلا - ١٩٧٤ ) ، ص ٧١ .

(٣) ينظر : الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص ٢٩ - ٣١ ؛ السجستاني ، المصاحف ، ص ٤ .

(٤) ينظر : الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٢ ، ص ٣٤ .



لغير القرآن . فقد جاء في كتاب تقييد العلم<sup>(١)</sup> ان رسول الله 9 قال : " ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما اكتبوا من الكتب مع كتاب الله " .  
 نعم لقد أدرك رسول الله 9 ، ان التقصير بمسألة تدوين النص القرآني ، ممكن ان يؤدي إلى ضياعه أو تحريفه . وعليه كان الحرص المحمدي شديداً ، مُذكراً للمسلمين بأهمال وتقصير أهل الكتاب من اليهود والنصارى وما أصاب كتبهم من تحريف ، فقد ورد في مسند أحمد<sup>(٢)</sup> رواية بهذا الشأن جاء فيها : " عن أبي أمامة الباهلي قال لما كان في حجة الوداع قال رسول الله 9 ... : يأبها الناس خذوا من العلم قبل ان يقبض العلم وقبل ان يرفع العلم وقد كان أنزل الله عز وجل :  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ ان تَبَدَّلَكُمْ تَسْؤُكُمْ وان تَسْأَلُوا عَنْهَا حين ينزل القرآن تبدلكم . عفا الله عنها والله غفور حلیم . قال فكنا نذكرها كثيراً من مسألتها واتقينا ذلك حين أنزل الله على نبيه 9 ، قال فأتينا اعرابياً فرشونا برداء ... ثم قلنا له سل النبي 9 ، قال فقال له : يا نبي الله كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف ، وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها نساءنا وذراريها وخدمنا؟! قال فرفع النبي 9 رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب قال فقال : أي ثكلتك أمك ، وهذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقوا بحرف مما جاءتهم به أنبياءهم . "

وبعد هذا القدر من الشواهد القرآنية وغير القرآنية على الحرص والأهتمام المحمدي النابع أصلاً من الحرص الإلهي على تدوين وكتابة النص القرآني أولاً بأول والتأكيد على حفظه . فهل يجوز لقائل ان يقول ان رسول الله 9 قد أهمل تدوين

( ١ ) الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص ٧٢ - ٧٣ .

( ٢ ) الشيباني ، احمد بن حنبل ( ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م ) ، مسند احمد ، مؤسسة قرطبة ، ( مصر . لا . ت ) ، ج ٢ ، ص



القرآن وكتابه في حياته وأنه لم يبد حرصاً عليه ، وان الحرص تمثل بالحفظ  
الصدري دون التحريري .

### كتابة الوحي

لم يكن تأريخ دخول الخط العربي إلى البيئة المكية قديماً<sup>(١)</sup>، فقد تأخر نسبياً  
إلى وقت قريب من ظهور الدعوة المحمدية ، ولذلك كان الخط العربي صناعة حديثة  
العهد في البيئة القرشية ، لم يتعلمها سوى عدد قليل من أبناء مكة . ويرى الدكتور  
عبد الصبور شاهين ان بسبب هذه المعرفة المتأخرة كان الخط العربي في مكة رديئاً  
وقاصراً ، وتجربة الكتابة الجدد ، تجربة ضعيفة . ولو كانت التجربة الجديدة قد  
انتقلت خلال عدة أجيال لحسن الخط العربي ، ولأتمت ما كان به من نقص ولظهرت  
الحاجة إلى تجويده وضبطه ، وهو ما حصل فعلاً عندما تطور المجتمع الإسلامي  
لاحقاً<sup>(٢)</sup>.

وعلى أساس ما ذكرناه ، فإن من يعرفون الكتابة في مكة كانت إعدادهم قليلة  
. ولأن النبي 9 كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فقد اعتمد 9 في حفظ النص القرآني  
تحريراً على مجموعة من الكتبة ( وهم جماعة من صحابته  
ممن كانوا عارفين بالقراءة والكتابة ) وممن ذكر من كتبة الوحي: علي بن أبي  
طالب B ، وعثمان بن عفان ، وعمرو بن العاص بن أمية ، وشرحبيل بن حسنة ،  
وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن

<sup>(١)</sup> يورد السجستاني ثلاث روايات حول دخول الخط العربي إلى بيئة مكة وهي :  
أ - ان المهاجرين تعلموه ( أي الخط ) من الحيرة ، وان أهل الحيرة أخذوه عن أهل الانبار .  
ب - ان رجلاً يقال له بشر بن عبد الملك الكندي تعلمه من الانبار ، ثم وفد إلى مكة في بعض شأنه ، فتزوج  
الصهباء بنت حرب بن أمية ، وعلم أباه حرب بن أمية ، وأخاها سفيان بن حرب ، صناعة الخط .  
ج - ان مرامر بن مرة وسلمة بن حزره هم الذين وضعوا هذا الكتاب وهم من بولان ، قوم من طي ، كانوا  
يسكنون بقة ( وهي قرية وراء الانبار ) . السجستاني ، المصاحف ، ج ١ ، ص ٤-٥ .  
<sup>(٢)</sup> ينظر : عبد الصبور شاهين ، تاريخ القرآن ، ص ٦٧ - ٦٨ .



ثابت ، وحنظلة بن الربيع ، وأبي بن كعب ، وجيهم بن الصلت وغيرهم<sup>(١)</sup>. وقد بلغ عدد من كتبوا الوحي ثلاثة وأربعين كاتباً<sup>(٢)</sup>.

لقد شكك المستشرق بلاشير بمصداقية كتاب الوحي ، من خلال موقف عبد الله بن أبي سرح ، وهو أحد الكتبة ، حين قال عنه : " وإذا كنا نستطيع ان نثق ببعضهم ثقة مطلقة ، فماذا نقول في رجل كعبد الله بن أبي سرح ، الذي أرتد وافتتن بأنه كان يكتب (غفوراً رحيماً) حيث كان النبي يملي عليه (عزيزاً حكيماً)"<sup>(٣)</sup>.

ثم ان بلاشير يستبعد ان يكون التسجيل كاملاً لكل ما نزل من القرآن ، إذ يقول : " حدث ان قامت استحالات مادية في سبيل تسجيل الوحي الهابط فجاءة ، في السفر ، وفي الصلاة ، وخلال الليل " <sup>(٤)</sup> . رغم انه قد بلغ بكتابة الوحي الأربعين رجلاً <sup>(٥)</sup> .

وأرى بأن عدد كتبة الوحي ، هو كبير جداً ، قد بالغت المصادر التاريخية في تحديده . فحين نصفهم بكتابة الوحي ، أي أنهم الملازمون لرسول الله 9 ، المواظبين على كتابة ما ينزل عليه من القرآن ، والا كيف تصح عليهم هذه التسمية .

وإذا ما اعتبرنا هذا المعنى ، هو المعبر عن مفهوم " كتبة الوحي " عندها ، لن يكون منطقياً ولا واقعياً ان يعتمد النبي 9 على أكثر من أربعين رجلاً لكتابة الوحي . ولا أستبعد ان يكون سعي المسلمين من أجل نيل شرف المشاركة في عمل عظيم ككتابة وحي الله تعالى ، كان هاجساً لكل الصحابة أو لأبنائهم وأحفادهم في

(١) أبي عبد الله الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص ٢٠ .

(٢) عبد الصبور شاهين ، تاريخ القرآن ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٣) Blachere , Introduction au coran , P . 12 .

(٤) Ibid , P . 12 .

(٥) Ibid , P 12 .



الفترات اللاحقة من حياة الدولة الإسلامية . وعلى هذا الأساس فمن الممكن ان تكون بعض الأسماء قد ألحقت بقائمة كتاب الوحي ليصل إلى هذا العدد الكبير . وأجد نص المستشرق مونتجمري وات <sup>(١)</sup> قريباً من هذه الحالة ، والذي يقول فيه : " فلا شك ان أحفاد رجل قد سكتوا فيما بعد عن معارضته لمحمد أو قتلوا من شأنها ، بينما ضخم أعداء هذا أو أعداء أحفاده هذه المعارضة " . وهذا مما ينطبق على البعض ممن عاصروا الرسول 9 ، وكانوا من أشد المعارضين وأقساهم عليه وعلى المسلمين ، كأبي سفيان بن حرب الذي تعده كتب التاريخ من كتبة الوحي <sup>(٢)</sup> . وهو الذي ظل مكابراً معانداً لم يرضخ للإسلام إلا قبل سنوات قليلة جداً من وفاة الرسول الكريم 9 ، فعلى أي أساس وضع ضمن قائمة كتبة الوحي ؟ هذا دليل على ان القائمة الطويلة لكتبة الوحي ، غير دقيقة وضع فيها أسماء لبعض الصحابة طلباً لنيل شرف وفضل هذا الدور أمام مجتمع المسلمين .

### النبي محمد 9 وجمع القرآن

يتحاشا المسلمون دائماً الخوض في تساؤل غاية في الأهمية ، إلا وهو : هل قام النبي محمد 9 بجمع القرآن قبل وفاة أم تركه مفزقاً بين رقايع وعظام وسعف نخيل ؟ وهم في الغالب يكتفون بذكر الروايات الإسلامية المتعلقة بجمع القرآن دون آية مناقشة وتحليل موضوعي أو الخوض الحقيقي في سبيل الإجابة على هذا التساؤل بشكل واضح .

ويعكس هذا التحاشي نجد المستشرقين يحللون ويناقشون ومن ثم يضعون استنتاجاتهم الجريئة .

وأولاً وقبل كل شيء يجب ان نحدد بدقة معنى جمع القرآن ، هل المقصود به تدوينه وكتابته بشكل متسلسل الآيات والسور ووضعه في مكان واحد ، أي بين

<sup>(١)</sup> محمد في المدينة ، ص ١٨٢ .

<sup>(٢)</sup> ينظر : أبي عبد الله الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص ٢٠ - ٢١ .



الدفنين . فإذا كان هذا المعنى هو المقصود ، فماذا عمل الرسول في حياته : ألم يدون الآيات والسور ، ألم يضع ويرتب الآيات كلاً حسب مكانه ، ألم يبدي حرصه على حفظ القرآن من الضياع ، فلماذا ننكر على النبي 9 هذه الحقيقة .

" ماذا كانت حالة القرآن الصحيحة عند وفاة محمد " (١) . هكذا تسائل هاملتون جب وكالمرز ، ثم أجابوا قائلين : " هذا سؤال لا يمكن الإجابة عنه بيقين مطلق . شئ واحد مؤكد وتعترف به " الأحاديث " والأخبار صراحةً ... هو أنه لم يكن القرآن جمعَ والنبي على قيد الحياة " (٢) .

إذن اعتماد المستشرقين على أحاديث وأخبار إسلامية تشير إلى ان النبي 9 لم يجمع القرآن في حياته ، هي الحجة في طعنهم بصحة النص القرآني ، وهذا ما صرح به جب وكالمرز فعلاً : " يجب علينا ان نأخذ في الاعتبار إمكانية ضياع قدر طيب وخاصة من السور القديمة . فأيات مثل ( قالوا سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ) الأعلى ٦ وما بعدها ، أو ( ننسها ) البقرة ١٠٦ ، توحى بوضوح ان الأقوال المعنية لم تكن سجلت كتابةً " (٣) .

ويحاول البعض من المستشرقين البحث في السبب الذي أدى بالنبي 9 إلى ترك هذه المهمة الهامة . فيقول بلاشير في هذا الشأن : " ان ميل الرسول واصحابه إلى ترك الأمور على ما هي عليه يؤيده ما أشتهر به العرب من أنهم لا يفكرون إلا في الحاضر ولا يهتمهم المستقبل . وهذا الميل يقف وراء عزوف المسلمين عن جمع القرآن في عهده ، إذ لم تكن الحاجة ماسة إليه كما يؤيد ذلك عدم تعيين خليفة له " (٤) .

(١) جب وكالمرز ، الموسوعة الإسلامية الميسرة ، ج ٢ ، ص ٨٠٨ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤)





ويذهب المستشرق كازانوف في كتابه ( محمد ونهاية العالم ) إلى أبعد من ذلك حين يقرر اعتقاد النبي محمد 9 بأن نهاية العالم قريبة جداً ، ولهذا لم يبدِ النبي 9 أي اهتمام للمواضيع الهامة ، كجمع القرآن والبت بأمر الخلافة من بعد وفاته<sup>(١)</sup> . وأجد من الأولى ان نؤف بدقة ، ما المقصود بجمع القرآن كي نقرر بعدها ما قام النبي 9 به وما لم يتم . فجمع القرآن وبحسب ما نفهم يعني فظه شفويًا ، وكتابه تحريرياً ، ووضع الآيات والسور كلاً بحسب مكانها والاحتفاظ بها في مكان أمين .

فإذا كان هذا هو المعنى الصحيح لجمع القرآن . فالنبي الكريم 9 هو الأولى من كل أحد في ان نخصه بجمع القرآن ، وببساطة نستطيع الوصول إلى هذه الحقيقة ، إذا ما استعرضنا دور النبي 9 في جمع القرآن .

فالحرص المحمدي ، بل المبالغة في الحرص كان واضحاً في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾<sup>(٢)</sup> ، هذا الحرص الظاهر من أجل الحفاظ الشفوي لآيات القرآن ، مخافة ان يضيع منها شيء . ومن الطبيعي ان يتبع هذا الحرص الشفوي ، حرصاً آخر يتمثل بحفظ القرآن تحريرياً ( أي كتابةً ) .

ففيما يتعلق بكتابة القرآن ، روي عن أبو سعيد الخدري ان الرسول 9 قال : " لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن "<sup>(٣)</sup> . وهو تأكيد على الاهتمام بالقرآن دون سواه ، ويفيدنا الخطيب البغدادي في كتابه ( تقييد العلم ) بمجموعة من الروايات الدالة على حرص النبي 9 على تدوين وكتابة القرآن وتشجيع الصحابة على ذلك ونهيه عن تدوين غيره . فعن أبي هُريرة قال : " خرج علينا رسول الله 9 ونحن نكتب الأحاديث فقال : ما هذا الذي تكتبون ، قلنا : أحاديث نسمعها منك ، قال : كتاب

(١) ينظر : التهامي نقرة ، القرآن والمستشرقون ، ج ١ ، ص ٤٢ - ٤٣ .

(٢) القيامة ، الآيات ( ١٦ - ١٧ ) .

(٣) الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص ٢٩ - ٣١ .



غير كتاب الله ! أتدرون ما ضلّ الأمم قبلكم ؟ ألا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى<sup>(١)</sup> .

وهذه الرواية هي لا تؤكد على الحرص المحمدي لإجل كتابة القرآن بل وتعلل هذا الحرص بالخشية من ان يصيب كتاب المسلمين القرآن الكريم مثل ما أصاب كتب اليهود والنصارى من التحريف والتزوير والاختلاط . واذن فالرسول الكريم ﷺ كان يستفيد من أخطاء الأمم السابقة ، والتي بينها له الخالق عزوجل في كتابه العزيز ، ولذلك كان الحرص المحمدي لكتابة وتدوين القرآن كبيراً مثلما هو كبير في الحفظ الشفوي .

وكما هو معروف فإن القرآن ظل ينزل طيلة مدة الدعوة ، أي لما يقرب من ثلاث وعشرون عاماً ، وقد اتفقتنا مسبقاً على ان ذلك النزول كان يقابله النبي ﷺ بالحفظ الشفوي أولاً ، ومن ثم بالحفظ التحريري ، ويضاف إلى هذا ان النبي ﷺ كان يستعمل كتابة الوحي في كتابة الآيات ويأمرهم بوضع الآيات كلاً بحسب موضعها ، وهذا ما أكد عليه زيد بن ثابت<sup>(٢)</sup> . مما يعني ان الترتيب القرآني هو من عمل النبي ﷺ وعلى عهده . وقد يضيف إلى ما نقل عن زيد بن ثابت بهذا الصدد ، قول ابن عباس : " كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن<sup>(٣)</sup> . وفي حديث للسيدة فاطمة بنت محمد صلوات

(١) الخطيب البغدادي ، تقييد العلم ، ص ٣٤ .

(٢) قوله : " كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع " . ينظر : الزركشي ، البرهان ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ؛ السيوطي ، الأتقان ، ج ١ ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري ، ( ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م ) ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، ( بيروت - ١٩٨٦ ) ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .



الله وسلامه عليها وعلى أبيها قالت : " أسر إلي النبي 9 ان جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة ، وأنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضور أجلي " (١).  
وعلى أساس هذه المعارضة ( التي تعني المراجعة الدورية السنوية ) التي كان يقوم بها رسول الله 9 مع الأمين جبريل B لكل ما نزل من آيات القرآن وسوره . ألا يحق لنا ان نستنتج منها مسألتين مهمتين :

أولاً : رغم كل ما ذكرناه من حرص النبي 9 الكبير على الحفظ الشفوي والتحريري للقرآن . نتلمس الحرص الإلهي لهذا الحفظ ، من خلال المراجعة السنوية ، والتي تكررت مرتين في السنة الأخيرة من حياة النبي 9 . فإذن هو حرص محمدي نابع أساساً من الحرص الإلهي . وبالتالي فهذه النتيجة تتقاطع تماماً مع فكرة ان النبي 9 توفي وهو لم يجمع القرآن .

ثانياً : المراجعة السنوية كانت مفيدة أيضاً فيما يتعلق بالترتيب القرآني ، ترتيب الآيات والسور كلاً بحسب موقعه ولأن النزول لم يكن واحداً ، لذلك تعددت المراجعات بشكل دوري . وجاء هذا التسلسل وفق الإرادة الإلهية بدون شك وعلى يدي الرسول الكريم 9 وفي عهده .

ان حفظ القرآن ، بكل أشكال الحفظ قد نال حيزاً مهماً من عناية وانصراف النبي 9 ، وبالتالي فمن الأجحاف بحق النبي الكريم 9 ان لا نعد ما قام به من الحفظ الشفوي لنصوص القرآن وتدوينها تحريراً ، وترتيب مواقع الآيات وتسلسل السور ، والحرص والتأكيد المحمدي الشديد على ذلك كله ، ان لا نعدّه جمعاً للقرآن

!!!

(١) المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ١٩١١ ؛ الزركشي ، البرهان ، ج١ ، ص ٢٣٢ ؛ أحمد بن شعيب السنائي (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م) ، فضائل القرآن ، تحقيق فاروق حمادة ، دار أحياء العلوم ، ط ٢ ، (بيروت - ١٩٩٢) ، ج١ ، ص ٧١-٧٢.



ويؤيد قولنا هذا صاحب كتاب ( التاريخ الجغرافي للقرآن ) حين يقول مبتدءاً :  
 زعم بعض المستشرقين الذين تصدوا لترجمة القرآن أو الكتابة عنه ان سور القرآن  
 وآياته ظلت مبعثرة ومفككة في حياة الرسول 9 ثم جمعت بعد وفاته تحت رحمة  
 الأسنادات الشفوية للصحابة مما يجعل أصل القرآن محلاً للقليل والقال ... فليس من  
 الحقيقة في شئ ان يقال ان آيات القرآن وسوره قد جمعت بعد وفاة الرسول 9<sup>(١)</sup> .  
 ويحدد دور أبو بكر وعثمان M أنه لم يكن بأكثر من مواصلة الحفاظ على  
 النص القرآني المجموع أصلاً في عهد النبي 9 ، حين يقول : " ولم يفعل الخليفة أبو  
 بكر بعد وفاته ( أي وفاة النبي 9 ) أكثر من تبويب السور وتنظيمها بوحى من  
 توجيهات وأوامر الرسول وحده ، ولما جاء الخليفة الثالث عثمان بن عفان نشر  
 نسخة رسمية للقرآن كانت في الواقع صورة مطابقة كل المطابقة لنسخة أبي بكر  
 الموضوعة بتوجيه وإشراف واذن وموافقة الرسول<sup>(٢)</sup> . ثم يخلص إلى القول التالي  
 : " مر جمع الآيات القرآنية في كتاب واحد في ثلاث مراحل ، المرحلة الأولى الجمع  
 وقد تمت كلها في عهد الرسول ، والمرحلة الثانية التنسيق ( في كتاب ) وقد تمت  
 في عهد أبي بكر بالتماس من عمر بن الخطاب . والمرحلة الثالثة مرحلة الألزام أو  
 النشر وقد تمت في عهد الخليفة عثمان<sup>(٣)</sup> .

### جامعي القرآن على عهد النبي 9

مما لا شك فيه ان يتبع حرص النبي 9 على حفظ النص القرآني ، حرص  
 مماثل لدى الصحابة ممن يعرفون الكتابة والقراءة . وقد نتج عن هذا ان وجدنا

<sup>(١)</sup> سيد مظفر الدين نادفي ، التاريخ الجغرافي للقرآن ، ترجمة عبد الشافي غنيم عبد القادر ، لجنة البيان العربي  
 ( مصر ١٩٥٦ ) ، ص ٤ .  
<sup>(٢)</sup> المصدر نفسه ، ص ٤-٥ .  
<sup>(٣)</sup> المصدر نفسه ، ص ٥ .



رصيداً آخر مضافاً إلى ما جمعه الرسول الكريم 9 ، إلا وهو مدونات خاصة بالصحابة أنفسهم ، وهي أنما تمثل الرصيد الإضافي الذي يجري في حساب حفظ النص القرآني من الضياع .

ورغم ان المصادر الإسلامية لم تسعفنا إلا بعدد قليل لمن جمعوا القرآن الكريم في عهد النبي 9 ، إلا ان المهم في الأمر إنها أكدت الجمع من قبل عدد من الصحابة .

لقد جمع القرآن بعض الصحابة كاملاً على عهد النبي 9 ، وبعض منهم بدأ بجمع القرآن وأكمّله بعد وفاة النبي 9 . فقد جاء في كتاب الفهرست<sup>(١)</sup> ان من جمع القرآن على عهد النبي 9 هم : علي بن أبي طالب عليه السلام ، وسعد بن عبيد<sup>(٢)</sup> ، وأبو الدرداء<sup>(٣)</sup> ، ومعاذ بن جبل<sup>(٤)</sup> ، وأبو زيد ثابت<sup>(٥)</sup> ، وأبي

بن كعب<sup>(٦)</sup> ، وعبيد بن معاوية<sup>(٧)</sup> ، وزيد بن ثابت<sup>(١)</sup> .

<sup>(١)</sup> محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم ( ت : ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م ) ، الفهرست ، دار المعرفة ، ( بيروت - ١٩٧٨ م ) ، ص ٤١ .

<sup>(٢)</sup> هو سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس عمرو بن زيد الأنصاري ، أحد جامعي القرآن على عهد رسول الله 9 ، قتل يوم القادسية سنة ١٥ هـ وهو بعمر ٦٤ عاماً . ينظر : الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص ٢٤ .

<sup>(٣)</sup> هو أبو الدرداء عويمر بن زيد ، كان يقال له حكيم هذه الأمة ، تلقى القرآن عن النبي 9 وحفظه وكتبه تأخر إسلامه عن بدر ، وأبلى بلاءاً حسناً يوم أحد . أخى رسول الله بينه وبين سلمان ، وتولى القضاء في الشام . وتوفي سنة ٣٢ هـ . ينظر : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ( ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ) ، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار ، تحقيق بشار عواد وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ( بيروت - ١٤٠٤ هـ ) ، ج ١ ، ص ٤١ .  
<sup>(٤)</sup> هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس . أسّس بالظاعون في منطقة بالغور سنة ١٨ هـ ، وله ٣٥ سنة تقريباً . ينظر : الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص ٢٤ - ٢٥ .

<sup>(٥)</sup> هو ثابت بن زيد الأنصاري ، وهو أبو زيد يقال أنه جمع القرآن على عهد النبي 9 . وقيل الجامع للقرآن هو أبو زيد سعد بن عبيد بن النعمان والراجح هو الأول . ينظر : الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص ٢٤ - ٢٥ .  
<sup>(٦)</sup> هو أبي بن كعب بن قيس أبو المنذر الأنصاري الخزرجي ، أقرأ الصحابة بعد علي عليه السلام وسيد القراء ، قرأ القرآن على النبي 9 وجمع بين العلم والعمل ، توفي بالمدينة سنة ٢٢ هـ . شهد بدرًا والمشاهد كلها ، ومناقبه كثيرة ، قال عنه رسول الله 9 أقرؤهم أبي بن كعب . ينظر : الذهبي ، معرفة القراء ، ج ١ ، ص ٢٩ .  
<sup>(٧)</sup> هو عبيد بن معاوية ، وقيل عبيد بن معاذ ، وقيل عتيك بن معاذ الجزري . ينظر : الزنجاني ، تاريخ القرآن ، ص ٢٥ .



وقد وافقه البخاري في أربعة منهم في إحدى رواياته . فقد روى عن قتادة قال : " سألت أنس بن مالك ، من جمع القرآن على عهد النبي 9 ؟ فقال أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد " (٢) .

وفي موضع آخر روى مسروق فقال : " سمعت النبي 9 يقول : خذوا القرآن من أربعة : من عبد الله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ ، وأبي بن كعب " (٣) . وفي الاتقان ورد ان الجامعين خمسة : معاذ ، وعباد بن الصامت (٤) ، وأبي بن كعب ، وأبو الدرداء ، وأبو أيوب الأنصاري (٥) .

وعن الشعبي قال : " جمع القرآن على عهد رسول الله 9 ستة من الأنصار : أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبو الدرداء ، وسعد بن عبيد ، وأبو زيد " (٦) .

وعن محمد بن سيرين ان القرآن جمع على عهد النبي 9 من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأبي بن كعب (٧) . من هذه الروايات المتعددة ، يتضح ان عدد من الصحابة قد تصدوا لجمع القرآن خلال العهد النبوي . وهذا بحد ذاته يبعد الفكرة المتداولة عند البعض من ان

(١) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوثان أبو خازجة الأنصاري الخزرجي البخاري . كتب الوحي لرسول الله 9 وحفظ القرآن وأتقنه وأحكم الفرائض وتعلم بأمر النبي 9 السريانية . توفي على رواية الواقدي في سنة ٤٥ هـ ؛ وقيل ٥٤ هـ ؛ وقيل ٥٥ هـ . ينظر الذهبي ، معرفة القراء ، ج١ ، ص ٣٨ .

(٢) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص ١٩١٣ ؛ السيوطي ، الاتقان ، ج١ ، ص ١٤٤ ؛ النسائي ، فضائل القرآن ، ج١ ، ص ٧٩ ، الزركشي ، البرهان ، ج١ ، ص ٢٤٠ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري ، ج٤ ، ص ١٩١٢ ؛ السيوطي ، الاتقان ، ج١ ، ص ٧٢ ؛ محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٢ ، ص ٣٥٦ ؛ النسائي ، فضائل القرآن ، ج١ ، ص ٨٠ .

(٤) هو عبادة بن الصامت بن قيس أخزم الأنصاري الخزرجي ، أحد جامعي القرآن ، أرسله عمر بن الخطاب إلى الشام بعد تحريرها ، شهد بدرًا ، وقيل كان أحد النقباء بالعقبة ، وشهد باقي المشاهد كلها بعد بدر ، تولى القضاء في فلسطين . وتوفي سنة ٤٥ هـ . ينظر : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م) ، الأصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، (بيروت - ١٩٩٢) ، ج٣ ، ص ٦٢٣ - ٣٢٦ .

(٥) السيوطي ، الاتقان ، ج١ ، ص ٧٢ .

(٦) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٧٢ ؛ الزركشي ، البرهان ، ج١ ، ص ٢٤١ .

(٧) المسجستاني ، المصاحف ، ص ١٠ ؛ الزركشي ، البرهان ، ج١ ، ص ٢٤١ .



النبي نفسه ، كان قد ترك أمر جمع القرآن في حياته ، ليتولى هذا الأمر من بعده الخليفة الأول أبو بكر .

### روايات جمع القرآن بعد وفاة النبي 9

ان عدم وضوح الروايات الإسلامية في تحديد زمن جمع القرآن بالضبط ، واختلافها وحصول التناقض في كثير من معطياتها ، قد جعل من موضوع جمع القرآن من الموضوعات الهامة التي يتذرع بها القائلون بتحريف النص القرآني ، واصابته بالزيادة أو النقصان .

ان مصدر هذه الشبهة البليغة هو زعمهم بأن جمع القرآن كان بأمر من الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه ، بعد ان قتل أربعمئة رجل في حرب اليمامة ، فكانت الخشية من ضياع القرآن وذهابه من أيدي المسلمين ، فتصدى عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت لجمعه من العصب ، والرقاع ، والخفاف ، ومن صدور المسلمين بشرط ان يشهد شاهدان على أنه من القرآن . هذا قسم مما صرحت به تلك الروايات . ولنستعرض تفاصيل هذه الروايات :

أولاً : روى زيد بن ثابت فقال :

" أرسل إليّ أبو بكر ، مقتل أهل اليمامة ، وعنده عمر فقال أبو بكر : ان عمر أتاني فقال : ان القتل استحرّ يوم اليمامة بالناس ، واتي أخشى ان يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن إلا ان تجمعه ، و اني لأرى ان تجمع القرآن قال أبو بكر . قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله 9 فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد بن ثابت وعمر جالس لا يتكلم فقال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله 9 فتتبع القرآن فأجمعه . فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن قلت : كيف تفعّلان شيئاً لم يفعله رسول الله 9 فقال : هو والله خير ،



فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري ، للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، ففقت ففتبتعت القرآن أجمعه من الرقاع والاكثاف والعصب ، وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري ، لم أجدها مع أحد غيره : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى آخرها كانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر <sup>(١)</sup> .

ثانياً : روى ابن شهاب عن سالم بن عبد الله وخارجة بن زيد :

" ان أبا بكر الصديق كان قد جمع القرآن في قرطيس ، وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر في ذلك فأبى حتى استعان بعمر ففعل ، فكانت الكتب عند أبي بكر حتى توفي ، ثم عند عمر حتى توفي ، ثم كانت عند حفصة زوج النبي 9 ، فأرسل إليها عثمان فأبى ان تدفعها ، حتى عاهدها ليردنها إليها فبعثت بها إليه ، ففسخ عثمان هذه المصاحف ثم ردها إليها فلم تزل عندها <sup>(٢)</sup> .

ثالثاً : روى هشام بن عروة عن أبيه قال :

" لما قتل أهل اليمامة أمر أبو بكر عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت . فقال : اجلسا على باب المسجد ، فلا يأتينكما أحد بشئ من القرآن تنكرانه يشهد عليه رجلان إلا أثبتماه ، وذلك لأنه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله 9 قد جمعوا القرآن <sup>(٣)</sup> .

<sup>(١)</sup> ينظر : البخاري ، صحيح ، ج ٤ ، ص ١٩٠٧ ؛ أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، ج ١ ، ص ١٠ ؛ محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م ) ، سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار أحياء التراث العربي ، (بيروت - لا . ت ) ، ج ٥ ، ص ٢٨٣ ؛ النسائي ، فضائل القرآن ، ج ١ ، ص ٧٥ ؛ الزركشي ، البرهان ، ج ١ ، ص ٢٣٣ .  
<sup>(٢)</sup> السيوطي ، الاتقان ، ج ١ ، ص ١٦٤ .  
<sup>(٣)</sup> ينظر : السيوطي ، الإتقان ، ج ١ ، ص ١٠٠ .





رابعاً : وروي أيضاً :

" ان عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله . فقيل : كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة . فقال إنا لله ، وأمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف " (١).

خامساً : عن محمد بن سيرين :

" قتل عمر ولم يجمع القرآن " (٢).

سادساً : روى يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال :

" أراد عمر بن الخطاب ان يجمع القرآن فقام في الناس ، فقال : من كان تلقى من الرسول الله 9 شيئاً من القرآن فليأتنا به ، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف و الألواح ، والعصب ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان ، فقتل وهو يجمع ذلك إليه ، فقام عثمان ، فقال : من كان عنده من كتاب الله شئ فليأتنا به ، وكان لا يقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد شهيدان ، فجاءه خزيمه بن ثابت ، فقال : أني قد رأيتم تركتم آيتين لم تكتبوهما . قالوا : ما هما ؟ قال : تلقيت من رسول الله 9 : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ... ﴾ إلى آخر السورة ، فقال عثمان : وأنا أشهد أنهما من عند الله ، فأين ترى ان نجعلهما قال أختم بهما آخر ما نزل من القرآن ، فختمت بهما براءة " (٣) .

سابعاً : وعن محمد بن سيرين قال :

١ ( المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٦ ؛ السجستاني ، المصاحف ، ص ١٠ .

٢ ( ينظر : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٧ ؛ الغزي ، اتقان ما يحسن من الاخبار ، ج ١ ، ص ١٩٤ .

٣ ( ينظر السيوطي ، الإتيان ، ج ١ ، ص ١٠١ ؛ الزركشي ، البرهان ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .



" لما توفي النبي أقسم عليّ ان لا يرتدي برداء إلا لجمعه حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل ، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام قائلاً : " أكرهت أمارتي يا أبا الحسن ؟ قال : لا والله ، إلا أني أقسمت ان لا ارتدي برداء إلا لجمعه ، فبايعه ثم رجع " (١) .  
ثامنًا : ويذكر السيوطي أغرب ما قيل عن أول جمع للقرآن قال : " ما أخرجه ابن آشته في كتاب المصاحف ، عن ابن بريدة قال : أول من جمع القرآن في مصحف سالم ، مولى أبي حذيفة ، أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه ، فجمعه ... " (٢) .  
واعتقد ان الأمر لا يحتاج إلى عناء كبير لأجل إدراك التناقضات الواردة ما بين الروايات الإسلامية هذه ، وغيرها ممن لم نذكره . ولو ألتفتنا إلى نقطة واحدة فقط مما تناقضت عليه ، إلا وهو : من أول من جمع القرآن ؟ .

لقد وجدنا ان الرواية الأولى ، والثانية ، والثالثة قد أجمعت على ان أول من جمع القرآن هو الخليفة الأول أبو بكر . في حين ان الرواية الرابعة قد أكدت على ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو أول من جمع القرآن . وعلى العكس من ذلك أشارت الروايتين الخامسة والسادسة إلى ان خلافة عمر بن الخطاب انقضت دون ان يكمل جمع القرآن ، وان الخليفة الثالث عثمان بن عفان هو أول جامع للقرآن . وهكذا اختلفت باقي الروايات عن ما سبق .

### المستشرقون وروايات الجمع

ان تناقض الروايات الإسلامية هذه ، واختلافها ، قد افضت إلى المستشرقين بفرصة كبيرة ، للبحث في خلفيات هذه التناقضات ومن ثم الوصول إلى فرضيات تشكك بمصادقية النص القرآني ولا تستبعد ان يكون النص القرآني قد تعرض للنقص

( ١ ) ينظر : اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ص ١٥٢ - ١٥٤ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٨ .

( ٢ ) ينظر : السيوطي ، الإتقان ، ج ١ ، ص ١٦٩ .



أو التغيير في ظل أجواء الجمع التي رسمتها رواياتنا الإسلامية المتناقضة. وهذه جملته مما قاله المستشرقون في هذا الصدد :

المستشرق الألماني نولدكه في كتابه ( تاريخ القرآن ) يقول : " لم يتم جمع القرآن خلال زمن الرسول بصورة كاملة ... ولو افترضنا وفق ما ادعى زيد بن ثابت بأن القرآن لم يكن قد جمعَ ، فهنا افتراض آخر يطرح نفسه هو من أين جاءت مضامين نسخة أبو بكر " (١) .

ثم يحاول ان يعرف مفهوم " جمع القرآن " الجمع الذي ينسب في أغلب الروايات إلى الخليفة الأول أبو بكر ويقول : " فأن مصطلح ( جمع القرآن ) المستخدم هناك لا يعبر عن توحيد الأوحية المبعثرة في كتاب واحد ، وإنما يعبر عن ما حُظِّفَ في الذاكرة منه ... ووفقاً لهذا الرأي فيمكن الاستدلال فيما لو ان جامعي القرآن يحفظون في أذهانهم جميع الأوحية أو أغلبها ، أم لا ... فأن مسألة حفظ القرآن غيباً كانت المسألة الرئيسة في جميع العصور وتم الاعتماد بهذا الشأن على تناقل الأوحية بشكل مكتوب وصولاً إلى الهدف المبتغى " (٢) .

ثم يشير نولدكه إلى ما حملته روايات جمع القرآن من تناقضات واضحة واختلافات قائلًا : " عندما ظهر عمر في الروايات السائدة على أنه أول جامع مفكر للقرآن ، فأن أبابكر ظهر على أنه القائد التقني لهذا بحكم مركزه حينها ... إلا ان هناك روايات أخرى متباينة . ففي أحداها تقول : ان عمر هو أول من جمع القرآن على الورق ... ولكن وفقاً ( لرواية أخرى ) ان عمر توفي قبل جمع القرآن . وفي مكان آخر نجد تفاصيل مختلفة حول الجمع الأول للقرآن " (٣) .

(١) Noldeke , Geschichte des Qurans , V. 2 , P . 5 .

وهذا التسأل نفسه يطرحه المستشرق جون جلكرايست ، جمع القرآن ، ص ١٥ ، كتاب مأخوذ من الانترنت على الموقع : [www . an – swering – islam . org / Arabic / Gilchrist / Jam](http://www.an-swering-islam.org/Arabic/Gilchrist/Jam) .

(٢) Noldeke , Geschichte , V -2 , P . 6 .

(٣) Noldeke , Geschichte des Qurans , V . 2 , P . 14 - 15 .



وعلى أساس هذه التناقضات ، لا يخفي نولدكه وغيره من المستشرقين ، اعتقادهم بأن عملية جمع النصوص القرآنية قد حدث فيها شئ من النقص أو التغيير<sup>(١)</sup> .

ونجد المستشرق جون جلكريست في كتابه ( جمع القرآن ) يبحث بدقة في كل صغيرة وكبيرة وردت ضمن الروايات الإسلامية الخاصة بجمع القرآن الكريم ، ففي الوقت الذي يرى فيه ان الإسلاميين المتأخرين يحاولون التأكيد على ان القرآن قد جمع في ظل ظروف مثالية ، ولكنه لا يجد هذا التأكيد مرتكزاً على أية نصوص قديمة وأصلية للبرهنة عليه<sup>(٢)</sup> .

ثم يحاول البحث في معطيات الرواية السائدة والقائلة بأن الخليفة الأول أبابكر هو أول الجامعين . ويبدأ قائلاً : " الروايات الرسمية التي تحاول ان تظهر لنا ان المشروع الذي قام به أبو بكر بخصوص جمع القرآن هو الأهم والوحيد الذي تم بعد وفاة محمد . وحاول العلماء بعد ذلك ان يدعموا هذه الفكرة مدعين ان زيدا كان الشخص الوحيد المؤهل للقيام بالمهمة ... ويذهب العلماء المسلمون أبعد من هذا اذ يزعمون ان المصحف كما تم جمعه كان صورة طبق الأصل لما جاء به محمد ، لم يزد إليه لا حرف ولا كلمة ولا نقطة ولم يفقد منه أي شئ"<sup>(٣)</sup> .

ثم يقول : " فكرة ان زيد اعتمد على ما كان متناثراً في ذكرات الصحابة ، وجب ان تؤدي إلى بعض النتائج المنطقية التي لا مفر منها . هناك احتمال ضياع أجزاء من النص لأن هذا الأخير لم يكن مجموعاً في كتاب واحد بل كان متناثراً بشكل واسع ... المثال النموذجي الذي وجب تقديمه بخصوص هذه المسألة يتجلى في الحديث

Ibid , V . 2 , P . 23 – 24 ; Winter , Der Koran , P . 7 .

<sup>(٢)</sup> جون جلكريست ، جمع القرآن ، ص ١٧ .

<sup>(٣)</sup> جلكريست ، جمع القرآن ، ص ١٨ .



التالي الذي يؤكد بوضوح ان أجزاء من القرآن فُقدت نهائياً إثر مقتل بعض الحفاظ من الصحابة في معركة اليمامة<sup>(١)</sup> .

ويشير المستشرق جلكريست هنا إلى ما ذكره أبي داود السجستاني حول مقتل عدد كبير من العلماء حفظة القرآن في معركة اليمامة<sup>(٢)</sup> ، قوله : " عن ابن شهاب قال : بلغنا انه انزل قرآن كثير فقتل علماء يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه فلم يُعْمَ بعدهم ولم يُكْتَب ، فلما جمع أبو بكر وعمر وعثمان القرآن ولم يوجد مع أحد بعدهم<sup>(٣)</sup> .

ثم يعلق جلكريست على الحديث قائلاً : " لا يمكن تجاهل كون الحديث يستعمل أسلوب النفي بوضوح : " لم يعلم " ، " لم يكتب " ، و " لم يوجد " تأكيد ثلاثي على ان هذه الأجزاء من القرآن التي كان يحفظها قراء اليمامة فقدت بدون رجعة . في المقابل يظهر انه من الصعب تصور أية زيادة أو تغيير في القرآن بعد وفاة محمد لأن أجزاء النص كانت موجودة بطريقة متناثرة عند الصحابة لكن إمكانية ضياع بعض الأجزاء من النص تبقى واردة<sup>(٤)</sup> .

وهكذا فإن المستشرق جلكريست لم يتوصل ، إلا إلى القول بفقدان أجزاء من القرآن ، واستبعاد العناية الإلهية التي تكفلت بحفظه وصيانته مثلما يصرح بذلك : " وكننتيجة حتمية ... ان ما توقعناه من نتائج بخصوص جمع كتاب كالقرآن أمر تدعمه النصوص التاريخية خلافاً للفرضية القائلة بأن الحفاظ على الكتاب تم بفضل العناية الربانية دون أدنى نقصان أو تغيير ... وإمكانية فقدان بعض أجزاء النص واردة في أحاديث نبوية تبين بعضها ان محمداً كان هو نفسه عرضة لنسيان بعض أجزاء القرآن<sup>(٥)</sup> .

(١) المصدر نفسه ، ص ١٨ - ١٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٩ .

(٣) السجستاني ، المصاحف ، ص ٢٣ .

(٤) جون جلكريست ، جمع القرآن ، ص ١٩ .

(٥) جلكريست ، جمع القرآن ، ص ١٩ .



وفي الموسوعة الإسلامية الميسرة ، أُثِرت نقاط هامة حول رواية جمع القرآن في عهد الخليفة الأول أبو بكر . وجاء فيها : " ان أول شئ يلفت النظر في هذه القصة انعدام الأشارة إلى الصورة الرسمية التي نسخت بأمر النبي نفسه ، وان كانت تقلل على الأقل من الخطر الذي هدد به موت القراء . وعلاوةً على هذا لفت كايثاني المستشرق الإيطالي ... النظر إلى ان الذين قُتلوا في الحرب مع مسيلمة كانوا في الأصل من حديثي العهد بالإسلام على ما تبين القوائم التي وصلت إلينا ، وما كان يمكن ان يتوقع من أي واحد منهم ان يكون على علم واسع بالقرآن " (١) .

ويتكرر التأكيد في الموسوعة أيضاً عن تناقضات روايات الجمع : " إذا كانت القصة كلها غير مؤكدة يصبح من الأهم ان نلاحظ ان هناك أحاديث أخرى تقول ان عمراً نفسه هو الذي أمر بالجمع وأشرف عليه ... بل ويقال لنا حقاً ... ان عمراً مات قبل إتمام المهمة " (٢) .

ولا نجد المستشرق بلاشير في كتابه ( المدخل إلى القرآن ) بعيداً عن هذه التوجهات الاستشراقية ، فمنذ البدء يتساءل عن أسباب ترك النبي محمد 9 لهذا المشروع المهم ( مشروع جمع القرآن ) (٣) . وما يلبث ان يجيب قائلاً : " لا يمكن اليوم الإجابة عن هذا السؤال ، إلا عن طريق الفرضيات " (٤) . فهو يقدم هذه الفرضيات محاولاً الوصول إلى سبب منطقي على أقل تقدير يبرر ترك هذا المشروع .

فيرى في الفرضية الأولى : ان الله تبارك وتعالى قد تكفل بحفظ القرآن وجمعه ، وفق ما جاء فليس نصوص قرآنية ، ولأن هذا التكفل يرتبط بعقيدة المسلمين وثقتهم التامة لم يَقم النبي 9 بهذا العمل (٥) .

(١) هاملتون جب وكالمرز ، الموسوعة الإسلامية الميسرة ، ج٢ ، ص ٨١٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٨١٠ .

(٣) Blachere , Introduction au coran , P . 25 .

(٤) Ibid , P . 25 .

(٥) Ibid , P . 25 .



أما الفرضية الثانية ، فيشير بلاشير فيها إلى الروح العربية التي لا تعير أي أهمية للمستقبل . ويؤكد على طابع هذه الروح التي يراها قد تجلت في أهم مشروعات في حياة المسلمين :

الأول : عدم التفكير والأهتمام بمشروع جمع القرآن في حياة النبي 9 .

الثاني : عدم الأهتمام بتحديد طريقة مناسبة لأختيار خليفة للنبي 9<sup>(١)</sup>.

على أساس هذين المثالين ، يؤكد بلاشير على طبيعة الروح العربية التي لا تميل إلى المستقبل وإنما تكفي بالحاضر فقط ، ويتناول في بحث دقيق التناقضات التي وردت في رواياتنا الإسلامية ، لاسيما فيما يخص بأول من جمع القرآن<sup>(٢)</sup> .

### **آلية عمل زيد ومنهجه في جمع القرآن**

لا يمكن تصور آلية عمل زيد بن ثابت في جمعه للقرآن ، إلا من خلال المعطيات القليلة التي زودتنا بها المصادر الإسلامية . وحتى ان هذه المعطيات رغم قلتها قد احتوت على بعض التناقضات والفجوات ، التي استغلها البعض من المستشرقين ، للتأكيد على قضية ضياع بعض من القرآن .

فما جاء في الروايات عن عمل زيد بن ثابت من جمع القرآن :

أولاً : روى هشام بن عروة عن أبيه قال :

" لما قتل أهل اليمامة أمر أبو بكر عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، فقال :  
إجلسا على باب المسجد . فلا يأتينكما أحد بشئ من القرآن تنكرانه يشهد عليه  
رجلان إلا أثبتماه ، وذلك لأنه قُتل باليمامة ناسٌ من أصحاب رسول الله 9 قد جمعوا  
القرآن "<sup>(٣)</sup> .

ثانياً : وروى الليث بن سعد قال :

Ibid , P . 25 – 26 .

Ibid , P P . 27 – 37 .

<sup>(٣)</sup> السيوطي ، الاتقان ، ج١ ، ص ١٦٢ .



" أول من جمع القرآن أبو بكر ، وكتبه زيد ، وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آية إلا بشهادة عدلين ، وإن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت فقال : اكتبوها فإن رسول الله 9 جعل شهادته بشهادة رجلين ، فكتب ، وإن عمر أتى بآية الرجم فلم نبتها لأنه كان وحده " (١) .

ثالثاً : عن ابن شهاب قال :

" أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت سمع زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله 9 يقرأ بها ، فالتمسناها فوجدنا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٢) " (٣) .

رابعاً : وروى خزيمة بن ثابت قال :

" جئت بهذه الآية : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ... ﴾ إلى عمر بن الخطاب وإلى زيد بن ثابت ، فقال زيد : من يشهد معك ؟ قلت لا والله ما أدري فقال عمر : أنا أشهد معك ذلك " (٤) .

خامساً : وروى زيد بن ثابت قال :

" لما كتبنا المصاحف فقدت آية كنت أسمعها من رسول الله 9 فوجدتها عند خزيمة بن ثابت ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ... ﴾ إلى ﴿ تبديلاً ﴾ . وكان خزيمة يدعى ذا الشهادتين أجاز رسول الله 9 شهادته بشهادة رجلين " (٥) .

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

(٢) الأحزاب ، الآية (٢٣) .

(٣) السيوطي ، الاتقان ، ج ١ ، ص ١٦٣ ، الزركشي ، البرهان ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

(٤) الزركشي ، البرهان ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

(٥) السيوطي ، الاتقان ، ج ١ ، ص ١٦٢ .





ونجد المستشرق جلكرايست يركز على موقف زيد المتردد من القيام بهذه المهمة ، ومدى صعوبة هذا العمل . محاولاً الربط بين ما جاء في الروايات الإسلامية من وصف لتدقيق زيد وبحثه وتقصيه عن الآيات القرآنية وجمعها ، وبين ما جاء من وصف لإمكانات زيد في حفظ القرآن وإتقانه . فيقول جلكرايست<sup>(١)</sup>: " ان تردد زيد إزاء المهمة التي أسندت إليه كان سببه من جهة كون محمد نفسه لم يهتم بجمع القرآن ، ومن جهة أخرى ضخامة المشروع . هذا ما يظهر ان المهمة لم تكن بالسهلة بتاتا . فإذا كان زيد يحفظ القرآن جيداً ويعرفه بأكمله عن ظهر قلب ولا يجهل أي جزء منه ... فإن عملية جمع القرآن لن تكون إلا سهلة " . وهذا ما يراه جلكرايست خلاف ما جاء في رواية جمع القرآن في عهد أبا بكر<sup>(٢)</sup> .

عند هذا يصل جلكرايست إلى ما يرمي إليه ويقول : " لم يعتمد زيد على ذاكرة الرجال بل أعتمد كذلك على ما كان مكتوباً ... والتجأ إلى كثير من الصحابة وإلى جميع المواد التي كانت أجزاء من القرآن مكتوبة عليها ... كان هذا تصرف رجل يعي كل الوعي ان النص القرآني كان متناثراً في أماكن عدة لدرجة أنه يجب جمع كل ما أمكن جمعه من أجل الحصول قدر المستطاع على نص كامل نسبياً"<sup>(٣)</sup> .

ولم يخف المستشرق بلاشير تساؤلاته في هذا الموضوع ، وكان على رأسها : " لماذا لم يختار إلا زيد ؟ "<sup>(٤)</sup> . نعم لقد أكد على سبب اختيار الخليفة الأول أبو بكر لزيد بن ثابت في مهمة جمع القرآن . وتساءل أيضاً عن مقدار ما شكل حفظة

<sup>(١)</sup> جمع القرآن ، ص ١٥ ؛ ينظر كذلك : Desai , Maulana , the Quraan Unimpeachable , (South Africa -1987 ) , P . 25 .

<sup>(٢)</sup> : " فعوض ان يعتمد فقط على ذاكرته مباشرةً نجده يبحث عن النصوص في مختلف المصادر ( فنتبعت القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ... " . جلكرايست ، جمع القرآن ، ص ١٦ .  
<sup>(٣)</sup> المصدر نفسه ، ص ١٦ ،

- Desai , the Quraan Unimpeachable , P . 18 .

Blachere , Introduction au coran , P . 32 .



القرآن الذين سقطوا في معركة اليمامة ، من خطر وتهديد على عملية نقل القرآن؟<sup>(١)</sup>

وبعد جملة من التساؤلات يُصرح قائلاً : " كما نرى كل شئ ليس واضحاً بشكل مطلق في أحداث هذا الجمع الأول للقرآن من قبل زيد بن ثابت " <sup>(٢)</sup> . عندها يصل إلى إتهام زيد بإضافة نصوص من الوحي لم تكن موجودة ضمن مدونات الرسول 9 ، والتي كانت الأساس المُعمد في عملية الجمع تلك . فيقول : " إذن زيد جمع ثم نسخ على (أوراق) ربما على الرق ، كل النصوص المكتوبة سابقاً ... وإلى هذه النصوص إضاف مقاطع من الوحي ، التي مازالت ذاكرة بعض المؤمنين محتفظة بها فقط " <sup>(٣)</sup> .

في ظل ما استعرضناه من نصوص لرواياتنا الإسلامية وبعض تعليقات المستشرقين حولها ، نلحظ ان التناقضات التي تضمنتها تلك الروايات ، كانت السبب في ما وصل إليه الفكر الاستشراقي من الاعتقاد بأن النص القرآني قد وقع فيه التحريف .

ويجب ان ندرك تماما ان الموروث الإسلامي قد ساهم بشكل كبير بترسيخ الاعتقاد الاستشراقي الساعي أصلاً لبث الشك والريبة في النص القرآني . ويجب ان نعترف أيضاً بأننا كمسلمين لم نتعامل مع هذا الموروث بجدية ، بعيداً عن العاطفة الدينية التي تصل في بعض الأحيان إلى حد التعصب والتطرف المبالغ فيه.

Ibid , P . 32 – 33 .

Ibid , P . 33 .

Blachere , Introduction au coran, P . 32 .

(١)

(٢)

(٣)

# الفصل الرابع

## طعون المستشرقين بالنص القرآني

- الخليفة عثمان وتولييد المطالفة
- الملتشرقون وإجراءات الخليفة عثمان بنسفة
- المطالفة الإمام
- الآيات والسور التي أثار الملتشرقون حولها
- الشبهات
- الرد على مزاعم الملتشرقين



لا ينفك المستشرقون ، كلما اتاحت لهم رواياتنا الإسلامية من الطعن بسلامة النص القرآني . وقد رأينا كيف ان تلك الروايات كانت متناقضة وغير متفقة بشأن جمع القرآن الكريم ، ولذلك كانت عملية الجمع في نظر المستشرقين غير خالية من الهفوات التي أدت إلى ضياع بعض من القرآن .

ويحاولون أيضاً ، تأكيد الطعن بسلامة النص القرآني ، من خلال البحث في خلفيات الأجراء المهم الذي قام به الخليفة الثالث عثمان بن عفان والمتمثل بإعادة جمع القرآن ليكون نسخة رسمية لا يقبل معها بالأحتفاظ أو بقراءة غيرها من مصاحف الصحابة جامعي القرآن .

### الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وتوحيد المصاحف

لقد تولى عثمان بن عفان الخلافة سنة أربع وعشرين من الهجرة النبوية الشريفة ، وكانت قراءة القرآن ودراسته تتم وفقاً لقراءة قراء الأمصار ، ومن الطبيعي ان لا تكون تلك القراءات المتعددة والمتباينة ، قراءة واحدة . فقد جاء في الروايات أنه في سنة ( ٣٠ ) هـ<sup>(١)</sup> توجه حذيفة بن اليمان ومعه سعيد بن العاص إلى اذربيجان ، فأقام سعيد حتى عاد حذيفة من بعض أسفاره ، ثم رجعا إلى المدينة ، وفي الطريق قال حذيفة لسعيد بن العاص : "لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً ، لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ، ثم لا يقومون عليه أبداً ، قال : وما ذاك ؟ قال : رأيت أناساً من أهل حمص يزعمون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، وأنهم أخذوا القرآن من المقداد ، ورأيت أهل دمشق يقولون : ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم ، ورأيت أهل الكوفة يقولون مثل ذلك ، وأنهم قراءوا على ابن مسعود ، وأهل البصرة يقولون مثل ذلك ، وأنهم قراءوا على أبي موسى ، ويسمون مصحفه ( لباب القلوب ) . فلما وصلوا إلى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف ، فوافقه

<sup>(١)</sup> يرى السيوطي بأن تنفيذ هذا القرار ( أي قرار نسخ المصحف الأمام ) بأمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، كان في سنة ( ٢٥ هـ ) الاتقان ، ج ١ ، ص ١٠٢ .



أصحاب رسول الله 9 وكثير من التابعين ، وقال له أصحاب ابن مسعود : ما تنكر ؟  
ألسنا نقرؤه على قراءة ابن مسعود ؟ فغضب حذيفة ومن وافقه ، وقالوا : إنما انتم  
أعراب فاسكتوا فإنكم على خطأ . وقال حذيفة : والله ان عشت لأتيتن أمير المؤمنين  
، ولأشيرن عليه ان يحول بين الناس وبين ذلك ، فأغلظ له ابن مسعود ، فغضب  
سعيد وقام ، وتفرق الناس ، وغضب حذيفة وسار إلى عثمان فأخبره بالذي رأى ،  
وقال أنا النذير العريان ، فأدركوا الأمة ، فجمع عثمان الصحابة وأخبرهم الخبر .  
فأعظموه ، ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة ، فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر : ان  
أرسلني إلينا بالصحف ننسخها ، وكانت هذه الصحف هي التي كتبت في أيام أبي  
بكر (١) .

ومثلما يبدو الاختلاف في القراءة ، وليس في النص ، إذ ان تعليم المسلمين  
لقراءة القرآن ، كانت في كل مصر تتم بناءً على قراءة المعلم ، وهكذا كلما تعدد  
المعلمين تعددت القراءات . وقد أوضحت نصوص متعددة حجم هذه الاختلافات ،  
فالسجستاني (٢) يقول ضمن هذا السياق : " فتذاكروا القرآن ، فأختلفوا فيه ، حتى كاد  
يكون بينهم فتنة " . وفي نص آخر يقول : " لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم  
يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى  
ارتفع ذلك إلى المعلمين ، قال أيوب : لا أعلمه إلا قال : حتى كفر بعضهم بقراءة  
بعض ، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً فقال : أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون ، فمن  
نأى عني من الأمصار أشد فيه أختلافاً وأشد لحناً ، اجتمعوا يا أصحاب محمد  
وأكتبوا للناس إماماً " (٣) .

(١) ينظر : البخاري ، صحيح ، ج٤ ، ص١٩٠٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٨ ؛ السيوطي ،  
الاتقان ، ج١ ، ص١٦٤ ؛ الزركشي ، البرهان ، ج١ ، ص٢٣٦ .

(٢) المصاحف ، ج١ ، ص٢١ .

(٣) الطبري ، محمد بن جرير ( ت : ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ) ؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، ( بيروت  
- ١٩٨٤ م ) ، ج١ ، ص٢١ ؛ السجستاني ، المصاحف ، ج١ ، ص٢١ - ٢٢ ؛ السيوطي ، الاتقان ، ج١ ،  
ص١٠٢ - ١٠٣ .



وكذلك جاء : " ان ناساً كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية ، فإذا قرأها قال فأني أكفر بهذه ، ففشا ذلك في الناس ، واختلفوا في القرآن " (١) . وفي رواية أخرى : " كان الرجل يقرأ ، حتى يقول الرجل لصاحبه : كفرت بما تقول " (٢) .

واضح ما تشير إليه هذه النصوص ، ان خطراً كبيراً تعرض له النص القرآني . إنتهى هذا الخطر بتحذير حذيفة بن اليمان ، وقرار الخليفة عثمان بن عفان بنسخ مصحف إمام تفرض قراءته على جميع الأمصار ، ويكون ذلك بالاعتماد على مجموعة من مجيدي القراءة والكتابة من حفظة القرآن وصحابة الرسول 9 . واستكلاً لما طرحته رواياتنا من صورة لهذا الحديث الهام . جاء في إحدى الروايات : " فأرسل عثمان إلى حفصة : ان أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ، ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان : إذا اختلفتم فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، فلما نسخوا المصاحف ردها عثمان إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف ، وحرق ما سوى ذلك " (٣) .

ولقد نال عمل عثمان هذا قبول الصحابة وموافقتهم ، إلا عبد الله بن مسعود ، الذي أعترض على حرق مصحفه الخاص ، وكان هذا جوهر أعترض أبين مسعود ، مثلما نقلت المصادر (٤) . والذي رجع عن موقفه هذا فيما بعد ، كما يقول ابن أبي داود السجستاني (٥) .

(١) السجستاني ، المصاحف ، ج١ ، ص ٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص ٨ .

(٤) ينظر : محمد بن سعد البصري الزهري ، ( ت : ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م ) ، الطبقات الكبرى ، دار صادر ، ( بيروت

- لا . ت ) ، ج٢ ، ص ١٠٥ .

(٥) المصاحف ، ج١ ، ص ١٥ .



## المستشرقون وإجراءات الخليفة

### عثمان رضي الله عنه بنسخ المصحف الإمام

نبتداً بتعليقات المستشرق جون جلكريست صاحب كتاب جمع القرآن ، الذي ركز في فصول عدّة من كتابه في ما قام به الخليفة عثمان والدوافع الحقيقية لهذا الأجراء الهام والمتعلق بكتاب المسلمين الأول ، إلا وهو القرآن الكريم ، طارحاً بعض التناقضات الواردة في رواياتنا ضمن سياق هذا الموضوع .

في البدء يتساءل جلكريست حول منزلة المصحف الذي جمع بأمر أبي بكر ، هل كان خاصاً بالخليفة أم كان الغرض جعله مصحفاً رسمياً للمسلمين<sup>(١)</sup> . ثم يقول : " للإجابة عن هذه الاسئلة يجب ان نحقق في ما وقع لهذا المصحف بعد جمعه " <sup>(٢)</sup> ثم يشير إلى ما جاء عند البخاري من ان المصحف كان عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر <sup>(٣)</sup> . ويقول : " هؤلاء الثلاثة الذين تناقلوا المصحف في بداية الأمر كانوا كلهم شخصيات ذات مكانة عالية ... لكن على الرغم من كل هذا فليس هناك أدنى شك ان هذا المصحف لم يعط له أي طابع رسمي في عهديهما " <sup>(٤)</sup> .

ومن هذا يصل جلكريست إلى استنتاج خطير جداً يقول فيه : " لو كان أبو بكر وعمر يعلمان علم اليقين ان المصحف كان مكتملاً لثم فرضه على مجموع المسلمين في الحين " <sup>(٥)</sup> .

ثم يواصل بحثه لدعم ذلك الاستنتاج الخطير ، إذ ينتقل إلى إجراءات الخليفة عثمان فيقول : " حين انتقلت الخلافة إلى عثمان كانت المصاحف الأخرى تكتسح

<sup>(١)</sup> جون جلكريست ، جمع القرآن ، ص ٢٣ .

<sup>(٢)</sup> المصدر نفسه والصفحة

<sup>(٣)</sup> المصدر نفسه والصفحة .

<sup>(٤)</sup> المصدر نفسه ، ص ٢٤ .

<sup>(٥)</sup> المصدر نفسه والصفحة .



الميدان في مناطق الدولة الإسلامية الناشئة كافة في الوقت الذي كان فيه مصحف زيد يرقد في بيت إحدى زوجات محمد . لقد جُمع هذا المصحف بأمر رسمي من الخليفة أبي بكر بدون ان يُعط له في أي وقت من الأوقات أي طابع رسمي<sup>(١)</sup>.

ويركز جلكرايست في الاختلافات الواردة ما بين نسخ المصاحف الشخصية لبعض الصحابة وبين النسخة التي جمعها زيد بن ثابت وهذه الاختلافات يراها جلكرايست هي التي أدت إلى اختلاف القراءات بين المسلمين في الأمصار الإسلامية ، وليس كما هو شائع بين المسلمين من ان الاختلاف في القراءات ناتج من طريقة التلظ لا بسبب شكل النص<sup>(٢)</sup>.

الرؤية الإسلامية هذه ينتقدها بشدة جلكرايست حين يقول : " هذا النوع من الاستدلال يستند كلياً إلى مقدمات فاسدة لأن التلاوة والتلفظ والترتيل ليست لها علاقة سوى بالنص المنطوق ولا يمكن للاختلافات بخصوصها ان تظهر في النصوص المكتوبة لكن عثمان أمر بإتلاف نصوص مكتوبة يجب كذلك ان لا ننسى انه في الحقبة التي كان يجمع فيها القرآن على شكل مصاحف لم تكن الكتابة العربية مشكولة ولا الحروف منقطة . لذلك فالاختلافات لم تكن لتظهر في النصوص المكتوبة . فلماذا إذن قام عثمان بحرقها ؟ هناك جواب منطقي واحد لهذا السؤال ألا وهو ان الاختلافات كانت في النصوص ذاتها وليس فقط طريقة نطقها<sup>(٣)</sup> .

ويركز جلكرايست على حرق الخليفة عثمان لمصاحف الصحابة والأسباب الكامنة وراء هذا العمل فيقول : " هذه هي المصاحف التي أمر عثمان إحراقها ... فإذا لم تكن فيما بينها اختلافات عميقة فلماذا قرر عثمان إحراق ما كان عزيزاً على كل المسلمين الذي يعدونه كلام الله المنزل على رسوله ؟ لا يمكن قبول الطريقة التي يحاول بها علماء الإسلام المعاصرون تبرير ما قام به عثمان وعلى الخصوص

(١) جون جلكرايست ، جمع القرآن ، ص ٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .





إذا افترضنا .. انه لم تكن هناك أبداً اختلافات بين النصوص . ماذا سيعتقد المسلمون لو قام أحد في عصرنا هذا بإحراق مصاحف عزيزة على قلوبهم؟ ليس هناك إلا تفسير واحد لكل ما جرى ألا وهو وجود اختلافات نصية عميقة بين المصاحف استوجب معها حل واحد وهو الأحتفاظ بأحدها وتنحية المصاحف الأخرى " (١) وبالشك والريبة نفسها يظهر المستشرق وليم كامبل (William Campbell) صاحب كتاب (القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم) من موضوع حرق الخليفة عثمان للمصاحف ويعقب على ذلك قائلاً : " واني أسأل القارئ المسلم : على أي أساس تبرهن لنفسك انه لم يحدث تحريف لفظي لنصوص القرآن ؟ " (٢) . ثم يعود جلكرايست إلى التصريح بعدم سلامة النص القرآني من التعديلات التي كانت على يدي الخليفة عثمان ، على الرغم من ان المصحف الأصلي الذي جمع في عهد الخليفة الأول ، كان على قدر كافٍ من الكمال ، وكان كافياً ان ينسخ في عهد عثمان دون أية حاجة إلى إعادة جمعه وتصحيحه كلما تطلب الأمر ذلك . ويستند جلكر ايست في هذا التصريح إلى ما جاء في رواية للبخاري من قول الخليفة عثمان لأعضاء اللجنة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فأكتبوها بلسان قريش (٣) .

وبشأن ما جاء في الروايات من العثور على آية قرآنية كانت مفقودة ، وجدت عند خزيمة بن ثابت يقول جلكرايست : " المعطيات المتوافرة لا تمكننا من إصدار أية استنتاجات حول هذا الموضوع ، فقط نستغرب من كون زيد لم يكتشف فقدان آية من القرآن إلا بعد مرور ١٩ سنة على وفاة محمد وبمحض الصدفة يكون قد وجدها عند الصحابي نفسه الذي وجد عنده الآيتين الأخيرتين من سورة براءة ! لقد رأينا

(١) جون جلكر ايست ، جمع القرآن ، ص ٢٩ .

(٢) William Campbell ,The Quran and the bible in the light of history and science , ( London – 2002 ) , P . 75 .

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٠ .



سالفاً ان خزيمة هذا هو الذي أثار انتباه زيد إلى عدم وجود آيتين من سورة براءة . فإذا كان هناك نص آخر فقد ولم يوجد إلا معه فلماذا بقي صامتاً ولم يتحدث عنه خلال هذه المدة الطويلة " (١).

عند هذا يصل جلكر ايست إلى نتيجة خطيرة يقول فيها : " إذا كانت هذه الرواية صحيحة ( وهي كذلك بالنظر إلى معيار الصحة الذي يقدمه لنا علم الحديث) فإنها توضح بما لا يدع مجالاً للشك ان المحاولة الأولى لزيد بن ثابت لجمع مصحف مكتمل لم تكن ناجحة مائة بالمائة حيث لم تضاف الآية من سورة الأحزاب إلا بعد الانتهاء من نسخ المصاحف خلال المحاولة الثانية التي تمت في عهد عثمان . يتبين لنا الآن ان ما يقال عن الكمال المطلق للقرآن وخلوه من الزيادة والتحريف والاختلاف لا يمكن ان يثبت ويصمد أمام البراهين الثاقبة ، فما هو إلا نتاج للمشاعر والتمنيات لا يمس بصلة إلى الأثبات العقلي " (٢).

ونعود إلى المستشرق نولدكه الذي يركز على أعضاء لجنة الجمع وبعض ما واجهوه من صعوبات ، وهو ينبه قبل كل شئ إلى ضرورة تفحص الروايات الموجودة بين أيدينا بأمانة وصدق ، بعدما وجد ان الروايات السابقة الخاصة بالجمع الأول للقرآن كانت متباينة وقد اتخذ منها موقفاً سلبياً تمثل بالرفض (٣).

بعد ان يستعرض نولدكه سير أعضاء اللجنة ، لا يخفي رأيه بزيد بن ثابت ، الذي يجده ملائماً لهذه المهمة كونه شخصاً كفواً . محاولاً الوصول من ذلك الأستعراض إلى أسباب اختيار هؤلاء الأشخاص هل كان حسب الكفاءة ؟ أم لإسباب أخرى ، كصلة القرابة بالخليفة أو غيرها من الأسباب (٤).

(١) جون جلكر ايست ، جمع القرآن ، ص ٣١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٣) Noldeke , Geschichte des Qorans , V . 2 , P . 54 .

(٤) Noldeke , Geschichte des Qorans , V . 2 , P . 55 – 56 .



ثم ينتقل إلى ما واجهته اللجنة من صعوبات ، تطلب الأمر منهم إتخاذ قرارات مهمة : " فعلى سبيل المثال عندما أراد زيد كتابة ( تابوه )<sup>(١)</sup> بالهاء ، بينما البقية كتبوا ( تابوت ) بالتاء ، أوضح عثمان ان الصيغة الأخيرة هي لسان قريش .... ان هذا الرأي خاطئ بالتأكيد . ان هذا المثال تم اختياره ... لأن كلمة تابوت ليست عربية الأصل ، وإنما كلمة دخيلة "<sup>(٢)</sup> .

ونولده شأنه شأن باقي المستشرقين المتخصصين بتاريخ القرآن الكريم ، يركز في بعض الآيات التي كانت مفقودة ووجدت عند خزيمة بن ثابت ، حين يقول : " اتفقت جميع الشخصيات المذكورة في الروايات الحالية على أنه في البداية كانت قد فقدت سورة ( ٢٣ ، ٣٣ ) ، لكنها وجدت بعد ذلك عند خزيمة . ووفقاً لتفسير الطربي الجزء الأول / ص ٢٠ ، فقد فقدت هذه الآية عند الجمع الأول للنص ... بينما أكتشفت نهاية السورة التاسعة عند خزيمة في الجمع الثاني "<sup>(٣)</sup> .

وتمائل رؤية المستشرق بلاشير رؤية زميله جلكرايست من خلال الرؤية التي يطرحها في هذا الموضوع ، فهو يجد أنه في الوقت الذي تولى فيه أبو بكر الخلافة ، أخذ يفكر في تكوين مصحف يضم المجموعات المتناثرة من النصوص القرآنية ، ولكل النص الذي جمع وفقاً لمبادرة أبو بكر بقي ذا طابع شخصي ولا يبدو أنه قد تميز عن غيره من النصوص التي جمعها صحابة آخرون<sup>(٤)</sup> .

ويجد بلاشير ان الخطوة الحاسمة قد تمت بعد عشرين عاماً في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ويقول عن هذه الخطوة : " إذ أقبلوا ... على جمع نص

(١) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نبيُّهُمْ إِذْ آتَاهُ مَلَكُهُ أَنْ يَا تَيْبِكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ البقرة الآية ( ٢٤٨ ) . وقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْبَهِيمِ فَلْيَلْطَمَنَّ الْإِيمَانُ بِالسَّاحِلِ بِأَخْذِهِ عَدُوِّي وَعَدُوْلَهُ وَأَقْبِتْ عَمَلِكِمْ مَحَبَّةً مِنِّي وَتُصَمِّعْ عَلَيَّ عَيْبِي ﴾ طه ، الآية ( ٣٩ ) .

(٢) Ibid , V . 2 , P . 57 .

(٣) Ibid , V . 2 , P . 60 .

(٤) بلاشير ، القرآن نزوله ، ص ٣٠ .



جديد أُقيم على أساس أوسع ... وكان المنطلق مصحف أبي بكر ، فضموا إليه مقطوعات مبعثرة أو محفوظة غيباً فقط ، وتم أخيراً إخراج مصحف رسمي قصد الخليفة احلاله محل جميع المصاحف الخاصة ... ومع ذلك فإن مصحف عثمان بقي غير مكتمل في جوانب كثيرة منه<sup>(١)</sup>.

ويبحث المستشرق الأمريكي المتخصص آرثر جفري في دوافع الخليفة عثمان للقيام بهذا العمل ، فيقول : " زعم بعض العلماء ان عثمان إنما أخذ من حفصة النص الرسمي الذي كتبه زيد بن ثابت لأبي بكر ونسخ هذا النص الرسمي بلغة قريش لأن العرب كانوا يقرؤون القرآن بلغات مختلفة ، وقال آخرون ان عثمان إنما أتم ما ابتدأ به عمر بن الخطاب من جمع القرآن "<sup>(٢)</sup> .

ثم يعلق حول هذين الرأيين قائلاً : " نحن نرتاب ونشك في هذين الرأيين لأن ما أدى إليه بحثنا في أحاديث جمع القرآن هو ان اختلاف مصاحف الأمصار كان سبباً في ان عثمان أمر زيد بن ثابت بتأليف ما في أيدي أهل المدينة من القرآن لا على ان يكون هذا الجمع والتأليف مصحفاً لأهل المدينة فقط كما كانت نسخة ابن مسعود مصحفاً لأهل الكوفة ونسخة أبي موسى مصحفاً لأهل البصرة ، بل جمعه ليكون المصحف الرسمي لجميع أمصار الإسلام "<sup>(٣)</sup> .

ولا تجد الموسوعة الإسلامية الميسرة ان النص العثماني هو نص مقبول ، فقد جاء فيها : " برغم ان صحف عثمان غلب على منافسيه ، إلا أنه لم يوفر للعالم الإسلامي نصاً مقبولاً حقيقياً ، ... وحتى عثمان نفسه على ما جاء في الروايات ، لم يلتزم بالنص الذي اعتمده ولكنه تلا الآيات ١٠٤ من سورة آل عمران<sup>(٤)</sup> مع إضافة

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) ينظر : مقدمته لكتاب السجستاني ، المصاحف ، ج ١ ، ص ٧ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا مِنْكَ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .



غير موجودة فيه الآن ، وإذا صح هذا فلا عجب ان تصّرف غيره بحرية أكبر . لقد أسهمت ظروف شتى في التغييرات المستمرة في صورة النص " (١).

لقد استقر المستشرقون على ان التحريف قد أصاب القرآن الكريم ، وتمثل هذا بما أفردته دائرة المعارف الإسلامية الألمانية من عنوان صريح وواضح هو " التحريف " ويقلم المستشرق بول ( Bull ) ، الذي أكد في هذا المقال على ان القرآن كان مكتوباً ، ولكن المسلمين قاموا بتغيير الصيغ القرآنية المكتوبة مسبقاً ، إلى صيغ أخرى ، ولاسيما تلك التي يرد فيها ذكر اليهود (٢) . واعتقد ان عنوان المقال كافٍ لإدراك التصور الاستشراقي الخاص بالقرآن الكريم .

### الآيات والسور التي أثار المستشرقون حولها الشبهات

قبل ان نتعرض لعدد من الآيات والسور التي يثير المستشرقون حولها الشبهات ، لا بد ان ندرك نقطة هامة إلا وهي ، ان هؤلاء المستشرقين لا يؤمنون بسلامة النص القرآني ، بسبب ما وجدوه من تناقضات واختلاف في روايات الجمع القرآني ، فيها ما يشير إلى وجود نقص أو حصول تعديلات على النص القرآني . والغريب حقيقةً ان المسلمين من متخصصين وغير متخصصين ، لم يبادروا للقيام بعمل جدي يكون من شأنه تصفية هذه الروايات ، والبحث في مصادرها وحقيقة منشأها ، والطعن بكل ما هو غير سليم . لا بل ترك هذا الموضوع رغم أهميته بكل ما يحمل تراثنا من تناقضات واختلافات بشأنه . ترك إلى المستشرقين ودراساتهم ، التي مهما بلغت من الموضوعية والحيادية ، فهي لن تصل إلى ما يتناسب مع معتقداتنا كمسلمين .

(١) هاملتون جب وكالمرز ، الموسوعة الإسلامية الميسرة ، ج٢ ، ص ٨١٩ - ٨٢٠ .  
(٢) ينظر : بول ، " التحريف " مقال منشور في دائرة المعارف الإسلامية الألمانية ، ترجمة عبد الحميد يونس وآخرون ، ( القاهرة - ١٩٣٣ ) ، ج٤ ، ص ص ٦٠٤ - ٦٠٨ .



أصبح من الواضح الآن ان غالبية المستشرقين يجدون في النص القرآني ، أنه نصٌ محرف ، وقع فيه التحريف ليس في زمن الخليفة الأول أبو بكر فقط ، وإنما في زمن الخليفة الثالث عثمان بن عفان .

فمن الآيات التي تثار الشبهات حولها ، هي الآية (١٣٨) (١) من سورة آل عمران ، وأرتباط الآيات (٣٥) (٢) من سورة الأنبياء ، و (٥٧) (٣) من سورة العنكبوت بها . والتي يرى المستشرق فايل ( G . Weil ) بأن ما جاء فيها يتعارض مع ردة فعل عمر بن الخطاب الذي لم يصدق موت النبي 9 لأول مرة. حتى تغيرت ردة فعله بعد ان قرأ عليه أبو بكر الآية (١٣٨) من سورة آل عمران ، والآية (٣٠) (٤) من سورة الزمر ، واللذان يجدهما فايل قد جعلتا من وفاة النبي 9 حقيقة واضحة ، تلك الحقيقة التي جعلت عمر وبقية المسلمين يندهشون كما ولو كانوا لم يسمعوها بهذه الآيات من قبل (٥) .

وهنا يشير فايل إشارة واضحة إلى ان هذه الآيات إنما هي إضافات أرتجالية وضعها أبو بكر ، لم يستطع أحد ان يرفعها رغم كونها نصوص غير أصلية من القرآن (٦) .

إلا ان المستشرق نولدكه يرفض آراء فايل هذه ويقول : " أما آراء فايل فتناقض كل ما هو معروف لدينا من أفكار عن حياة النبي محمد ، لأنه ليس هناك ما يؤكد بأن محمد ترك صحابته بشيٍٍٍٍ من الشك حول موته (٧) . مشيراً نولدكه ليس

(١) قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ .

(٢) قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِمَةٌ لِّلْمَوْتِ وَيَلْوِكُم بِالنَّفْسِ وَالْخَيْرِ فَنَسُوهُنَّ وَإِلَيْهَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

(٣) قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِمَةٌ لِّلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْهَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

(٤) قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مُّيْتُونَ ﴾ .

Noldeke , Geschichte dse Qurans , V . 2 , P . 82 .

Noldeke , Geschichte des Qurans , V . 2 , P . 82 – 83 .

Ibid , V . 2 , P . 83 .



فقط إلى الآيات (١٣٨) من سورة آل عمران ، و (٣٠) من سورة الزمر ، اللتان توضحان فكرة وفاة النبي محمد 9 ، وإنما أيضاً إلى الآيات (١٨٥)<sup>(١)</sup> من سورة آل عمران ، و (٥٧) من سورة العنكبوت ، و(٣٤)<sup>(٢)</sup> من سورة لقمان<sup>(٣)</sup>.

أما المستشرق الألماني الآخر هرشفيلد ( H. Hirschfeld ) فلم يكن مؤيداً لفايل ، وإنما جاء بدعوى جديدة وهي ان جميع النصوص القرآنية التي يرد فيها اسم محمد هي غير أصلية ( أي إنها غير قرآنية ) وأشار إلى الآيات (٤٠)<sup>(٤)</sup> من سورة الأحزاب ، و (٢)<sup>(٥)</sup> من سورة محمد ، و(٢٩)<sup>(٦)</sup> من سورة الفتح<sup>(٧)</sup> .

وأضاف لدعواه بأن محمد هو ليس الاسم الحقيقي للنبي وإنما هو مصطلح سماوي ( ديني ) . وقد أتفق معه في هذا الرأي كل من المستشرق الألماني شبرنجر ( A. Sprenger ) والمستشرق الألماني بيتهكه ( Fr . Bethae )<sup>(٨)</sup> ، والمستشرق الإيطالي كايتاني ( Leone caetani ) .

(١) قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّنُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴾ .

(٢) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .  
(٣) Ibid , V . 2 , P . 83 .

(٤) قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ .

(٥) قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ .

(٦) قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ مِنْ حَمَاءٍ بَيْنَهُمْ ... ﴾ .

(٧) Ibid , V . 2 , P . 83 .

(٨) Noldeke , Geschichte des Qurans , V . 2 , P . 84 .



في حين فندَ نولدكه هذا الكلام لّلي وجدّه ضعيفاً ، لا يستند إلى حجج قوية : "خاصةً وأنه ليس هناك أدنى شك من ان أسم محمد هو أسم شائع الاستعمال حتى قبل إسلام العرب" (١) .

نتنقل بعد ذلك إلى حادثة الأسراء والمعراج ، والتي يقف منها عدد كبير من المستشرقين موقفاً سلبياً ، وكذا مما ذكر عنها في سورة الأسراء . فالمستشرق فايل ينكر صحة الآية (١) (٢) منها ويقول عنها : " اختلفت هذه الآية بعد موت محمد ، وربما ضمت للقرآن منذ عهد أبو بكر . ان المسرى العجيب للرسول إلى القدس لا يمكن ان يدعيه محمد لِنفسه ، وهذا ما يؤكد القرآن عليه ويشدد على براءته من هذا الادعاء كونه كان بمثابة واعظ ( خطيب ) ومُحذّر ، وليس صاحب معجزات " (٣) . ويشير في نهاية النص للآية (٧) (٤) من سورة الرعد كونها تنفي حصول المعجزات للرسول الكريم 9 .

ونجد مجموعة من النقاط ، يثيرها المستشرقون ، ليقولوا بعدئذ ان النص القرآني ، نص محرف قد جرت عليه التعديلات والتغيرات ما بين عهدي الخليفة الأول أبو بكر والخليفة الثالث عثمان بن عفان (٥) .

ومن هذه النقاط ، ما أشار إليه المستشرق جون جلكر ايست في رواية وردت في كتاب موطأ مالك جاء فيها عن أبي يونس مولى السيدة عائشة O قوله :

(١) Ibid , V . 2 , P . 84 .

(٢) قوله تعالى : ﴿ سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرٰى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

(٣) Ibid , V . 2 , P . 85 .

ينظر كذلك : واشنطن إيرفينج ، محمد وخلفاؤه ، ترجمة هاني يحيى نصري ، المركز الثقافي العربي ، ( الدار البيضاء - ١٩٩٩ ) ، ص ص ١٦٧ - ١٨٠ .

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ .

(٥) جون جلكر ايست ، جمع القرآن ، ص ٢٣ .





أمرتني عائشة ان أكتب لها مصحفاً ثم قالت إذا بلغت هذه الآية فأذني ( حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين ) فلما بلغت آذنتها فأملت عليّ ( حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى و صلوة العصر وقوموا لله قانتين ) قالت عائشة سمعتها من رسول الله 9 " (١) .

ثم يعلق على هذه الرواية قائلاً : " هذه عائشة زوج محمد رسول الإسلام تؤكد وجوب إضافة عبارة " و صلوة العصر " بعد عبارة " والصلوة الوسطى " مستشهدة في ذلك بمحمد نفسه " (٢) .

ويقف المستشرقون أيضاً على ان المصاحف التي كانت شائعة ومتداولة قبل خطوة الخليفة الثالث بإحراقها ، كانت لدى فئة عريضة من المسلمين ، وكان لها المصادقية نفسها الذي تمتع به مصحف زيد بن ثابت (٣) .

وعلى هذا فالاختلافات التي يدرجونها بين تلك المصاحف ومصحف زيد بن ثابت ، يرون فيها أسانيد وحجج على وجود التحريف بنص القرآن ، وسأستعرض أهم الحالات التي يركزون فيها والتي تمثل الاختلافات بين مصحفي عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ، وبين مصحف زيد بن ثابت ، كذلك ما يدعيه المستشرقون من ان الشيعة يقولون بتحريف القرآن .

**أولاً :** بدل القراءة الرسمية للآية ٢٠٤ (٤) من سورة البقرة ( ويشهد الله ) تقرأ ( ويشهد الله ) (٥) .

(١) ينظر : جلال الدين السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال ( ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ) ، الدر المنثور ، دار الفكر ، بيروت - ١٩٩٣ ، ج ١ ، ص ٧٢٢ .

(٢) جون جلكريست ، جمع القرآن ، ص ٣٣ .

(٣) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ .

(٥) Noldeke , Geschichte des Qurans , V . 3 , P . 83 ; A . Jeffery , Materials for for The history of the text of the Quran , ( New york - 1975 ) , P.120.



**ثانياً :** بدل قراءة ( مُذْبذِبِينَ ) في الآية (١٤٣) (١) من سورة النساء في مصحف زيد ، تقرأ ( مُتَذَبِّبِينَ ) (٢) .

**ثالثاً :** بدل قراءة ( أَمْرًا مُتْرَفِيهَا فَسَقُوا ) الواردة في الآية ١٦ (٣) من سورة الإسراء في مصحف زيد ، قراءة ( بعثنا أكابر مجرميها فمكروا ) في مصحف أبي بن كعب (٤) .

ويصرح كل من جلكريست والمستشرق الفرنسي بلاشير باحتواء مصحف أبي بن كعب على سورتين غير موجودتين في مصحف زيد . هما سورتَي الحفد (٥) والخلع (٦) .

على ان أكثر ما ركز عليه هؤلاء المستشرقون ، لدعم قولهم بتحريف النص القرآني ، هو ما نسبوه للمذهب الشيعي من موقف سلبي تجاه هذا النص . وبطبيعة الحال نجد هذا الموضوع واضحاً ومتكاملاً عند رائد هذه الدراسات المستشرق نولدكه الذي يقول : " ان الاعتراضات والاحتجاجات التي أصدرتها الطائفة الشيعية إزاء النص القرآني ، كانت متعددة ومتنوعة . ولم تقتصر فقط على آيات وكلمات مفردة ... ووفقاً لمعلومات مؤلفي القرن الرابع أنه هناك تقريباً ٥٠٠ موقع في القرآن تم تحريفه " (٧) .

(١) قوله تعالى : ﴿ مُذْبذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ .

(٢) Noldeke , V . 3 , P . 85 ; Jeffery , P . 128 .

(٣) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَمَرْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فَمَدَدْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ .

(٤) Noldeke , V . 3 , P . 85 ; Jeffery , P . 140 .

(٥) سورة الحفد : " اللهم إنا نعبُدُ وِلَكَ نُصَلِّي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك بالكفار ملحق " .

ينظر : جون جلكريست ، جمع القرآن ، ص ٣٤ ؛ Blachere , Introduction au coran , P . 189 .

(٦) سورة الخلع : " اللهم إنا نستعينك ونستغفرك وننتهي عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرک " .

(٧) Noldeke , Geschichte des Qurans , V . 2 , P P . 94 – 97 .



ثم يعود ليقول : " لكن المؤسسة الشيعية استخدمت النص العثماني ككتاب مقدس لغاية يومنا هذا دون الأخذ بنظر الاعتبار كل التهم ضده ، إلا ان هذا يمثل حلاً مؤقتاً ، ... لأن القرآن الأصلي وغير المزيف كان في حياة الاتباع الغامضين للأمام عليّ ، الأمام الثاني عشر ، قاموا بأخفائه إلى ان يظهره الأمام الأخير ( المسيح الشيعي ) أو مثلما أسموه المهدي القائم . وهناك بعض الطوائف الشيعية ، تنتظر ذلك بفارغ الصبر فتحدث بعضهم عن هذا الأمام ، بأنه أُعطيت له نسخة القرآن " (١).

ثم يستعرض نولدكه ما يعبر عنه بنقاط الاختلاف بين القرآن الشيعي ، والنص العثماني للقرآن الحالي . فبالنسبة للسور الناقصة في النص العثماني يقول نولدكه : " من بين السور التي كانت في الأصل أطول ، سورة ٢٤ - النور . هي أكثر من مئة (٢) آية ، وكذلك سورة ١٥ . الحجر . كانت تضم ١٩٠ (٣) آية . أما بالنسبة إلى الطول السابق لسورة ٣٣ . الأحزاب . فقد زودتنا المصادر الشيعية بمعلومات مذهلة " (٤).

وفيما يتعلق بالحذف والتبديل الذي يدعيه نولدكه قد جرى على النص القرآني ، ناسباً هذه الدعوة إلى لسان الشيعة . يشير إلى الآية (٣٠) (٥) من سورة الفرقان على أنه حُذِفَ منها اسم محدد ، كذلك سورة البينة التي حُذِفَ منها أسماء سبعين رجلاً من القرشيين بقصد . والآية (٦٥) (٦) من سورة التوبة ، يرى نولدكه ان

Ibid , V . 2 , P . 96 – 97 .

(٢) سورة النور في نص القرآن العثماني (٦٤) آية .  
(٣) سورة الحجر في نص القرآن العثماني (٩٩) آية .  
(٤)

Ibid , V . 2 , P . 98 .

(٥) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ .

(٦) قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .



الطائفة الشيعية رأت فيها بياناً واضحاً لسبعين رجلاً من المنافقين الذين لم يبايعوا للأمام علي بن أبي طالب B بالخلافة بعد وفاة النبي 9 (١) . ويعتقد نولدكه ان النصوص القرآنية المحرفة ، والتي جمعها الشيعة وأعلنوا عنها ، هي فقط التي تتعلق بالإمام علي B والأئمة الباقيين من ذريته ، أي من آل البيت عليهم السلام ، ويحاول دعم رأيه هذا بالاعتماد على قول الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق B : " لو أنك قرأت القرآن بشكله الأصلي ، فأنت ستجد الأئمة بأسمائهم " (٢) .

ثم يواصل نولدكه مستعرضاً نماذج مما يُعبر عنهُ بادعاءات الشيعة ضد النص العثماني للقرآن . فيدعي ان أغلب صياغات النص الأصلي للقرآن ، كانت تتألف من كلمات ( علي ، محمد بن ( من آل بيت محمد ) ) (٣) . فتقرأ عبارة (هذا صراط مستقيم) في الآيات (٦١) (٤) . و (٦٤) (٥) من سورة الرُّخْف ، والآية (٦١) (٦) من سورة يس ، والآية (٣٦) (٧) من سورة مريم ، والآية (٥١) (٨) من سورة آل عمران عمران . بدل عبارة ( صراط عليين ) . وكذا الآيات ( ٦٧ . ٦٨ ) (٩) من سورة النساء

Noldeke , Geschichte des Qurans , V . 2 , P . 98 . (١)

Ibid , V . 2 , P . 98 . (٢)

Ibid , V . 2 , P . 98 – 99 . (٣)

(٤) قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَعَلَّهُ لُلسَّاعَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

(٥) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

(٦) قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

(٧) قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

(٨) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ .

(٩) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا لَأْتِيَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا . وَلِيُذَكِّرَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ .



النساء تقراء كلمة يا علي<sup>(١)</sup> . ويذكر هذا المستشرق مجموعة أخرى من الآيات القرآنية ، ويشير إلى أنها قد حُذِفَ منها ما يشير إلى الأمام علي بن أبي طالب B<sup>(٢)</sup> .

ثم يفرد نولدكه عنواناً رئيساً في كتابه يسميه ( سورة النورين - الشيعة ) ويبدأ تحت هذا العنوان الخطير بالقول : " وفقاً لبعض المؤلفات الشيعية توجد هناك العديد من السور ، التي توجد في القرآن ، لكنها مستبعدة من النص العثماني . إلا ان واحدة فقط منها مازالت معروفة الآن . هذه ما تسمى بسورة النورين " <sup>(٣)</sup> .

نعم لقد اعتقد هذا المستشرق ان الشيعة يمتلكون عددا من السور القرآنية التي حُذِفَت من النص العثماني وأنه لم يستطع التعرف إلا على واحدة منها ، هي سورة النورين . ويعود الفضل في هذه المعرفة ( مثلما يخبرنا ) إلى مصادر فارسية حديثة ، نُشِرَت بحدود القرن السابع عشر الميلادي ، تمثلته بشخص يدعى محسن فاني ، وآخر يدعى كاظم بك ، استطاع الأخير التوصل إلى نص هذه السورة بعد مسيرة بحث دامت ما يقرب من الثمانية عشر عاماً ، ولكن دون ان يذكر أصل المصدر الذي أخذ منه نص السورة . وأنقل نص هذه السورة ، كما جاءت عند نولدكه في كتابه تاريخ القرآن ، وباللغتين العربية والألمانية: <sup>(٤)</sup>

### سورة النورين

بسم الله الرحمن الرحيم

١ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين انزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم ٢ نوران بعضهما من بعض وأنا لسميع عليم ٣ إن الذين يوفون

<sup>(١)</sup> Noldeke , Geschichte des Qurans , V . 2 , P P . 98 – 100 .

<sup>(٢)</sup> Ibid , P . 100 ; Blachere , Introduction au coran , P 184 – 185 .

<sup>(٣)</sup> Noldeke , V . 2 , P . 100 .

<sup>(٤)</sup> Noldeke , V . 2 , P . 102 – 103 .

راجع :



بعهد الله ورسوله في آيات لهم جنات نعيم ٤ والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم  
ميثاقهم وما عاهدهم الرسول ي قذفون في الجحيم ٥ ظلموا أنفسهم وعصوا لوصي  
الرسول أولئك يسقون من حميم ٦ إن الله الذي نور السموات والأرض بما شاء  
واصطفى من الملائكة والرسل وجعل من المؤمنين ٧ أولئك من خلقه يفعل الله ما  
يشاء لا اله الا هو الرحمن الرحيم ٨ قد مكر الذين من قبلهم برسلمهم فأخذتهم  
بمكرهم إن أخذني شديد اليم ٩ إن الله قد اهلك عاداً وثمود بما كسبوا وجعلهم لكم  
تذكرة فلا تتقون ١٠ وفرعون بما طغى على موسى واخيه هرون أغرقته ومن تبعه  
أجمعين ليكون لكم آية وإن اكثركم فاسقون ١١ إن الله يجمعهم يوم الحشر فلا  
يستطيعون الجوابحين ي سألون ١٢ إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم ١٣ يا  
أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعملون ١٤ قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي  
معرضون ١٥ مثل الذين يوفون بعهدك إني جزيتهم جنات النعيم ١٦ إن الله لذو  
مغفرة وأجر عظيم ١٧ وإن علياً لمن المتقين ١٨ وإنا لنوفيه حقه يوم الدين ١٩ وما  
نحن عن ظلمه بغافلين ٢٠ وكرّمناه على أهلك أجمعين ٢١ وإنه ونرّيته لصابرون  
٢٢ وإن عوهم إمام المجرمين ٢٣ قل للذين كفروا بعد ما آمنوا طلبتم زينة الحياة  
الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعكم الله ورسوله ونقضتم العهود بعد توكيدها وقد  
ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون ٢٤ يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها  
من يتوفاه مؤمناً ومن يتولاه من بعدك يظهرون ٢٥ فأعرض عنهم إنهم معرضون  
٢٦ إنا لهم محضرون في يوم لا يفتنى عنهم شيء ولا هم يرحمون ٢٧ إن لهم في  
جهنم مقاماً عنه لا يعدلون ٢٨ فسبح بأسم ربك وكفى من الساجدين ٢٩ ولقد أرسلنا  
موسى وهارون ما استخلفا فبغوا هارون فصبر جميل فجعلنا منهم القرية والخنازير  
ولعناهم إلى يوم يبعثون ٣٠ فاصبر فسوف يبأون ٣١ ولقد أتينا بك الحكم كالذين  
من قبلك من المرسلين ٣٢ وجعلنا لك منهم وصياً لعلهم يرجعون ٣٣ ومن يتول  
عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين ٣٤ يا أيها



الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهداً فخذوه وكُنْ من الشاكرين ٣٥ إِنَّ  
عَلِيّاً قَانِتاً بِاللَّيْلِ سَاجِداً يَحْذِرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو ثَوَابَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ ظَلَمُوا  
وَهُمْ بِعَذَابِي يَعْلَمُونَ ٣٦ سَيَجْعَلُ الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ يَنْمُونَ ٣٧  
إِنَّا بِشَرِّكَ بِدْرِيَّةٍ الصَّالِحِينَ ٣٨ وَإِنَّهُمْ لَأَمْرُنَا لَا يَخْلِفُونَ ٣٩ فَغَضِبْنَا مِنْهُمْ مِنْ صَلَاةِ  
وَرَحْمَةِ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتاً وَيَوْمَ يُبْعَثُونَ ٤٠ وَعَلَى الَّذِينَ يُبْغُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِكَ غَضَبِي  
إِنَّهُمْ قَوْمٌ سَوَاءٌ خَاسِرِينَ ٤١ وَعَلَى الَّذِينَ سَلَكَوا سَلَكَهُمْ مِنْ رَحْمَةٍ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ  
آمِنُونَ ٤٢ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ آمِينَ .

### الرد على مزايم المستشرقين

مما لا شك فيه ، ان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لرسول الله 9 ، وهو  
البيئة الواضحة لصدقه وحقيقة رسالته ، والدستور والشريعة الذي ينظم للمسلمين  
حياتهم . ففيه الدعوى لجميع الأمم إلى الإسلام وفيه الحجة على باقي الأديان ،  
وفيه التحدي باستحالة الآتيان بمثله : ﴿ قُلْ لَنْ إِجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا



القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴿<sup>(١)</sup>﴾ . أو الآتيان بعشر سور من مثله : ﴿  
 أم يقولون إفتراء قل فأتوا بعشر سورٍ مثله مفترتٍ وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صدقين ﴿  
<sup>(٢)</sup>﴾ . أو الآتيان بسورة واحدة من مثله : ﴿  
 أم يقولون اقتربته قل فأتوا بسورةٍ مثله وادعوا من  
 استطعتم من دون الله إن كنتم صدقين ﴿<sup>(٣)</sup>﴾ .

فالقرآن إذن هو المعجزة الخالدة التي عجزت الألسن عن الآتيان ولو بسورة  
 واحدة من مثله . وهو أحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله 9 للمسلمين بعده لتأمين  
 هدايتهم وحفظ شريعتهم . وقد لاحظنا في الفصول السابقة ، ما وصل إليه هؤلاء  
 المستشرقون من القول بتحريف القرآن ، وحصول التغير في نصه والنقصان ،  
 منطلقين في ذلك مما حمله تراثنا من روايات الوضاعين ومبالغات الناقلين ، غير  
 ملتفتين إلى الأدلة الناصعة الواضحة على ما يخالف قولهم هذا وما يثبت بطلان  
 دعواهم . فمن القرآن الكريم نستشهد بقوله تعالى : ﴿  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا  
 جَاءَهُمْ وَإِنَّ لَهُمْ عَذَابٌ لَّيْلٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿<sup>(٤)</sup>﴾ .  
 وقوله جل وعلا : ﴿  
 إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿<sup>(٥)</sup>﴾ وقوله : ﴿  
 لَا تُحَرِّكْ بِهِ  
 لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿<sup>(٦)</sup>﴾ .

ان الله تبارك وتعالى يؤكد ، كما هو واضح في هذه الآيات على انه هو من  
 تولى صيانة وحفظ القرآن من دسائس الأباطيل والألاعيب المحرفين المزورين . وقد  
 انعكس هذا الاهتمام والتكفل الإلهي بحفظ وصيانة القرآن على النبي محمد 9 ،

(١) الإسراء ، الآية (٨٨) .

(٢) هود ، الآية (١٣) .

(٣) يونس ، الآية ، (٣٨) .

(٤) فصلت ، الآية (٤١) .

(٥) الحجر ، الآية (٩) .

(٦) القيامة ، الآيات (١٦ - ١٩) .





فأصبح ذلك من أولويات المهام المحمدية التي سعى لإنجازها قبل وفاته 9 . لذلك وجدناه شديد الأهتمام بكتابة القرآن وجمعه في صورة كتابية ، قد سبق ان يّناها بالتفصيل .

ما نريد ان نركز فيه هنا ، من أحاديث النبي 9 ، ذلك الحديث الذي ورد عن زيد بن أرقم الذي نقل فيه قوله 9 يوم غدير خم : " إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ... " (١) .

واعتقد ان المرء لا يحتاج إلى عناء كبير ، لأدراك الحقيقة الناصعة الظاهرة من تأكيد النبي 9 على كتاب الله ( القرآن الكريم ) في هذه الخطبة التي سبقت وفاته بحوالي شهرين ونصف (٢) . والتي يستشف منها أمرين :

الأمر الأول : ان القرآن الكريم كان على هيئة شبه مكملة ، مما دعا النبي 9 ل لتأكيد على ضرورة الألتزام بنصه والتمسك به ، فبذلك لا يَظَلُّ المسلمون عن حقيقة دينهم ولا ينحرفوا .

(١) لمراجعة هذا الحديث ينظر : الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ( ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م ) ، سنن الدارمي ، تحقيق فواز أحمد و خالد السبع ، دار الكتاب العربي ، ( بيروت ١٩٨٦ م ) ، ج٢ ، ص ٥٢٤ ؛ النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ( ت ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م ) ، السنن الكبرى ، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، ( بيروت - ١٩٩١ م ) ، ج٥ ، ص ٥١ ؛ النيسابوري ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ( ت ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ) ، صحيح ابن خزيمة ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ( بيروت - ١٩٧٠ م ) ، ج٤ ، ص ٦٢ ؛ الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد عبد الله ( ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م ) ، المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ( بيروت - ١٩٩٠ م ) ، ج٣ ، ص ١٦٠ ؛ البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ( ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م ) ، سنن البيهقي الكبرى ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز ، ( مكة المكرمة - ١٩٩٤ م ) ، ج٧ ، ص ٣٠ ؛ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ( ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م ) ، تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، ( بيروت - ١٤٠١ هـ ) ، ج٤ ، ص ١١٤ ؛ السيوطي ، الدر المنثور ، ج٢ ، ص ٢٨٥ . وحديث الثقلين هذا من الأحاديث التي لا يشك المسلم في صدورها عن النبي 9 فقد رواه عنه أكثر من ثلاثين من الصحابة ، وأورده من علماء أهل السنة ما يقارب الـ ٥٠٠ شخصية من مختلف طبقاتهم منذ زمن التابعين وحتى عصرنا الحاضر من مؤرخين ومفسرين ومحدثين وغيرهم . ينظر : الميلاني ، علي الحسيني ، التحقيق في نفي التحريف عن القرآن الشريف ، انتشارات الشريف الرضي ، ط٢ ، ( قم - ١٩٩٦ م ) ، ص ٤٣ .

( ٢ ) ينظر : اليعقوبي ، تاريخ ، ج٢ ، ص ١١٢ .



الأمر الثاني : دراية وعلم النبي 9 بقرب موعد أجله الشريف ، ولذلك قبل ان يغادر هذه الدنيا يوصي المسلمين ويؤكد عليهم بالتمسك بما هو حق ، وبمن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ان التأكيد المحمدي هذا على التمسك بالنص القرآني ، لا يشير إلا إلى ان النبي ﷺ كان مطمئناً إلى انه قد أكمل كل ما من شأنه حفظ النص وعدم ضياعه أو تزويره ، لذلك كان يوصي بالتمسك به . ولو كان يدور في خلد النبي 9 غير ذلك ، من قبيل احتمالية ضياع قسم من القرآن أو تزويره ، لما وقف النبي 9 بين المسلمين يؤكد على ضرورة التمسك به ، لأنهم حينها قد يتمسكون بما هو ليس من أصل القرآن .

ان المنطق السليم يحتم الإقرار بسلامة النص القرآني ، لا سيما وان الشواهد على ذلك كثيرة ومتنوعة ، منها ماجاء في القرآن نفسه ، ومنها ما عبر عنه الحديث النبوي الشريف ، ويضاف إلى كل ذلك شواهد كثيرة أخرى سنأتي على ذكر بعض منها .

ان من أفضع المآسي وأفجع المصائب في تأريخ الإسلام ، هو ظهور الروايات المفتريات سواء أكان منها ما يتعلق بعصر النبي محمد 9 أم بالعصر الذي تلاه ( العصر الراشدي ) ، ولقد حذر النبي 9 المسلمين من هذه الفتنة بقوله : " لقد كثر عليّ الكذابة وستكثر فمن كتب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . فإذا أتاكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به " (١) .

(١) ينظر : البخاري ، صحيح ، ج١ ، ص ٣٨ .



والملاحظ ان النبي 9 قد جعل القرآن هو المعيار في تصديق أو تكذيب الحديث ، ولكننا مع الأسف بالرغم من ذلك التحذير والإنذار قد وجدنا أحاديثاً كثيرة موضوعة<sup>(١)</sup> .

ان استقرار فكرة ان القرآن إنما جُمعَ بعد وفاة النبي 9 في أذهان المسلمين ، يبقى الباب مفتوحاً يسيراً أمام أعداء الإسلام لاعتماد أحاديث دالة على سقوط الكثير من النصوص القرآنية وضياعها ، لاسيما خلال عملية الجمع . والغريب ان المسلمين كانوا ذاهلين عن مغزى تلك الروايات ، وكانوا يتلقونها كأحاديث تصب في إطار فضائل الصحابة فتقبلوها بقبول حسن .

ان ما جاء في دعاوى المستشرقين من ان وقوع التحريف في النص القرآني قد تم في زمن الشيخين M لم يسندهُ دليل نقلي أو حتى عقلي ، لاسيما وانهم لم يزيدوا على دور النبي 9 المتمثل بكونه هو الجامع للقرآن ، إلا بحرصهم على مواصلة الحفظ من الضياع . ذلك الحرص الذي تكفل في عهد الخليفة الثالث بتوحيد المصحف على لغة قريش ونشره بين الأمصار الإسلامية الرئيسة آنذاك .

وأما عهد الأمام عليّ بن أبي طالب B ، فلم يرد فيه ما يشير إلى التحريف في النص القرآني وحسبنا ما ذكره الصغير في هذا الشأن :

١ . ان حريجة الأمام عليّ B في الدين بل وفي الجزئيات التشريعية معلومة الحال ، فكيف تجاه أصل الدين ، ونظام الإسلام ، وهو القرآن ، فلو سبق ان أمتدت له يد التحريف ، لما وقف متردداً في إرجاع الحق إلى نصابه ، وإلغاء سمات التحريف ، فكيف يصح ان يقع في عهده ، وهو من هو في ذات الله .

(١) كتب التاريخ نقلت لنا نماذج من هؤلاء واعترافاتهم . فقد ذكر الطبري عن ابن أبي العوجاء الدهري المعروف ، انه حُبِسَ في سنة ١٥٥ هـ ، بأمر من والي الكوفة آنذاك محمد بن سليمان : " فلما أيقن أنه مقتول قال : أما والله لئن تَلَمَّوْنِي لَقَدْ وَضَعْتَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ حَدِيثٍ أَحْرَمَ فِيهَا الْحَلَالَ وَأَحْلَى فِيهَا الْحَرَامَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ فَطَّرْتُمْ فِي يَوْمِ صَوْمِكُمْ وَصَوْمَتِكُمْ فِي يَوْمِ فَطْرِكُمْ " . ينظر : الطبري ، تاريخ الرُّسُلِ والملوك ، ج٦ ، ص ٢٩٩ ؛ وتكر عن آخر هو أبي عصمة فرج بن أبي مريم المروزي إنه قيل له : " من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة ، سورة ؟ ! فقال : إني رأيتُ الناسَ قد أعرَضُوا عني واشتغلوا بفقهِه أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعتُ هذا الحديثَ حسبة " . ينظر : أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ( القاهرة - ل . ت . ) ، ص ٢١٥ .



٢. ان الأمام عليّ B احتج بالقرآن على أهل الجمل ، ودعى إليه في التحكيم مع أهل صفين ، فلو كان في القرآن ما ليس منه ، أو انه لم يشتمل على كل القرآن ، لما صح له به الاحتجاج ، ولا قبوله في التحكيم ، وهذا أمر مشهور لا يحتاج معه إلى برهان .

٣. ان خطب الأمام عليّ B في نهج البلاغة ، تشير إلى القرآن في كثير من التفاصيل هداية وإسترشاداً وتوجيهاً للناس ، فلو كان هناك مما يدعى شئاً لأبان ذلك على الأقل وأنكره ، ولأحتج فيه على من تقدمه ، فلما لم يفعل ذلك علمنا بسلامة القرآن " (١).

لقد توجهت أنظار المستشرقين إلى الطائفة الشيعية على أساس إنها صاحبة الدعوى بتحريف القرآن : وان جزءاً كبيراً مما ضاع من القرآن قد تناقلته كتب الشيعة ، وان القرآن الحقيقي هو القرآن الشيعي الذي سيظهر على يدي الأمام القائم المهدي (عج) آخر الأئمة الأثني عشر من نسل آل محمد . وعلى هذا فالنص الحالي ( هو نص محرف ) .

وبالرجوع إلى أقوال ومواقف أئمة الشيعة وعلماءهم ، يمكن التأكد من مصداقية هذه الدعوى الأستشراقية والوقوف على حقيقة ما جاء فيها .

فالإمام عليّ بن أبي طالب B يصف القرآن قائلاً : " فالقرآن أمر زاجر ، وصامت ناطق ، حجة الله على خلقه ، أخذ عليهم ميثاقه ، وارتهن عليه أنفسهم ، أت م نوره ، وأكمل به دينه ، وقبض لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به ، فعظّموا منه سبحانه ما عظم من نفسه ، فإنه لم يخف عنكم شيئاً من دينه ، ولم يترك شيئاً رضيه أو كرهه إلاّ وجعل له علماءً بايياً ، وآية محكمة ، تزجر عنه أو تدعو إليه ... " (٢).

(١) ينظر : محمد حسين علي الصغير ، تاريخ القرآن ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(٢) الميلاني ، التحقيق في نفي التحريف ، ص ٤٨ .



وقال عليه السلام في كتاب له إلى الحارث الهمداني : " وتَسْك بحبل القرآن واستنصحه ، وأحلّ حلاله ، وحرّم حرامه ... " (١) وأيضاً قوله : " واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش ، والهادي الذي لا يضلّ ، والمحدث الذي لا يكذب ... " (٢).

وعن عليّ بن سالم عن أبيه قال : " سألت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام فقلت له : يا أبن رسول الله ما تقول في القرآن ؟ فقال : هو كلام الله ، وقول الله ، وكتاب الله ووحى الله وتنزيله ، وهو الكتاب العزيز الذي ( لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) " (٣) .

وعن الإمام علي بن موسى الرضا B قوله في القرآن هو : " كلام الله ، لا تتجاوزوه ، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا " (٤) . وقد جاء في كتابه للمؤمنون : " وانّ جميع ما جاء به محمد بن عبد الله هو الحق المبين ، والتصديق به وبجميع من مضى قبله من رسل الله وأنبيائه وحججه . والتصديق بكتابه العزيز الذي ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) وانه المهيمن على الكتب كلّها ، وانه حق من فاتحته إلى خاتمته ، تؤمن بمحكمه ومتشابهة ، وخاصه وعامه ، ووعده ووعيده ، وناسخه ومنسوخه ، وقصصه وأخباره ، لا يقدر أحد من المخلوقين ان يأتي بمثله " (٥) .

هذه الكلمات وأمثالها ممن لم نذكره ، تنصّ على أنّ الله تعالى جعل القرآن نورا يستضاء به ، ومنهاجا يعمل على وفقه ، وحكما بين العباد ، ومرجعا في المشكلات ، ودليلا ، عند الحيرة ، ومتبعا عند الفتنة . وعلى هذا فإن الأمر يقتضي

(١) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

(٣) الشيخ الصدوق ، بن علي بن الحسين بن بابويه ( ت ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ) ، الأمالي ، المكتبة الإسلامية ،

( قم - ١٩٨٤ م ) ، ص ٥٤٥ .

(٤) الشيخ الصدوق ، عيون أخبار الرضا B ، دار العالم للنشر ، ( طهران - ١٩٦٨ م ) ، ج ٢ ، ص ٧٥ .

(٥) الشيخ الصدوق ، عيون أخبار الرضا B ، ج ٢ ، ص ١٣٠ .



بأن يكون ما بأيدينا من القرآن ، هو القرآن نفسه الذي نزل على رسول الله 9 ، وعرفه أمير المؤمنين عليّ وسائر الأئمة من ذريته (عليهم السلام) ، مثلما استعرضنا لقسم بسيط من أقوالهم المعبرة عن نظرهم للنص القرآني وتأكيدهم على التمسك به والعمل بموجبه . ولو كان للشيعة قرآن آخر لوصوا التمسك به وترك ما سواه .

وقد روى المحدثون من الإمامية أحاديث كثيرة عن الأئمة الطاهرين تتضمن تمسكهم بمختلف الآيات عند المناظرات وفي كل بحث من البحوث ، سواء في العقائد أو الأحكام أو المواعظ والحكم والأمثال ، فهم عليهم السلام تمسكوا بالآيات القرآنية في كل باب على ما يوافق النص الحالي للقرآن<sup>(١)</sup>.

إذن صريح ما نقل عن أئمة الشيعة ، انهم عليهم السلام ، كانوا يعتقدون في هذا القرآن الحالي ، بأنه هو النزل من عند الله سبحانه وتعالى على النبي 9 وليس هناك ما هو أكثر من هذا . بل المعتقد الشيعي قائم أساساً على نفي التحريف عن القرآن ، وهذا ما نجده أيضاً مؤكداً في أقوال علماء المذهب القدماء منهم والمحدثين :

فالشيخ محمد بن علي بن بابويه الملقب بالصدوق والمتوفى سنة ( ٣٨١ هـ / ٩٩١م ) والقريب من عهد الأئمة عليهم السلام وأصحابهم ذكر في أحد مصنفاته ( كتاب الاعتقادات ) الاعتقاد الشيعي بوضوح قائلاً : "إعتقادنا في القرآن انه كلام الله ووحيه وتنزيله وقوله وكتابه ، وانه لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه نويل من حكيم عليم ، وأنه القصص الحق ، وأنه لقول فصل وما هو بالهزل ، وأن الله تبارك وتعالى محدثه ومنزله وربّه وحافظه والمتكلم به . اعتقادنا ان القرآن الذي

(١) ينظر : الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج١٢ ، ص ١١١ .



أنزلهُ اللهُ تعالى على نبيِّه محمد 9 هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ، ليس بأكثر من ذلك " (١) .

أما الشيخ الطوسي المتوفى سنة ( ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ) صاحب تفسير ( التبيان في تفسير القرآن ) يقول في مقدمته : " المقصود من هذا الكتاب علم معانيه ، وفنون أغراضه ، وأما الكلام في زيادته ونقصانه ، فمما لا يليق به أيضاً ، لأنهُ الزيادة فيه مجمع على بطلانها . والنقصان منه ؛ فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلفه ، وهو الأليق الصحيح في مذهبنا ، ... وهو الظاهر في الروايات ، غير أنهُ رويت روايات كثيرة ، من جهة الخاصة والعامة ، بنقصان كثير من أي القرآن ، ونقل شئ منهُ موضع إلى موضع ، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً ، والأولى الأعراس عنها ، وترك التشاغل بها ، لأنهُ يمكن تأويلها " (٢) .

ولا يخالف هذا الشيخ الطبرسي المتوفى سنة ( ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م ) صاحب تفسير ( مجمع البيان في تفسير القرآن ) إذ يقول : " ومن ذلك الكلام في زيادة القرآن ونقصانه ، فإنهُ لا يليق بالتفسير ، فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانها ، وأما النقصان منهُ ، فقد روى جماعة من أصحابنا ، وقوم من حشوية العامة : ان في القرآن تغييراً أو نقصاناً ، والصحيح من مذهب أصحابنا خلفه " (٣) .

ومن أعلام الشيعة وعلمائهم المعاصرين السيد محسن الحكيم الذي يصرح في إطار معتقد الشيعة بالنص العثماني للقرآن قائلاً : " ان سلف المسلمين كافة ، وعلماء الإسلام عامة ، منذُ بدأ الإسلام إلى يومنا هذا ، يرون ان القرآن في ترتيب سورهِ وآياته ، هو كما بين أيدينا ، ولم يعتقد أحد من السلف في التحريف " (٤) .

(١) الشيخ الصدوق ، الاعتقادات ، ص ٩٢ .

(٢) الطوسي ، التبيان في تفسير القرآن ، ج ١ ، ص ٣ .

(٣) الطبرسي ، مجمع البيان ، ج ١ ، ص ١٥ .

(٤) ينظر : محمد حسين علي الصغير ، تاريخ القرآن ، ص ١٦٨ .



والسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي وهو يقول : " ان أي حديث ، حول أي تحريف في القرآن لا يعدو ان يكون خرافة ، فان القرآن الكريم لم يعثره أي تغيير من أي نوع " (١) .

وفي ضوء ما تقدم من أقوال لأنمة الشيعة وعلمائهم ، يجب ان لا يبقى أدنى شك في ان لغة الأتهام التي نسبت للشيعة هي لغة خاطئة وفيها كثير من التجني والتضليل ، والغريب ان البعض من مفكري الإسلام ورجالته يستمرون في هذا الخط ، كقول الدكتور محمد عبد الله دراز : " ولقد ظنَّ بعض الشيعة ان عثمان قد بدل في نص القرآن ، أو انهُ على وجه التحديد أسقط شيئاً يتعلق بعلي بن أبي طالب " (٢) أو القول المستخف بالمذهب الشيعي للاستاذ المتخصص بتاريخ القرآن عبد الصبور شاهين : " تتردد في كتب هؤلاء الشيعة ثلاثة الفاظ يعبر كل منها عن شيء ما ، مكنون في مكان ما ، مع شخص ما ، هو الامام المنتظر ، وسوف ينكشف سر هذه المجاهيل في وقت ما . . . انهم يعتقدون أنه كان لامير المؤمنين عليه السلام قرآن مخصوص جمعه بنفسه بعد وفاة رسول الله 9 ، وعرضه على القوم فأعرضوا عنه ، فحجبه عن اعينهم ، وكان عند ولده عليهم السلام ، يتوارثه امام عن امام ، كسائر خصائص الامامة ، وخزائن النبوة ، وهو عند الحجة ، عجل الله فرجه ، يظهره للناس بعد ظهوره ويأمرهم بقراءته ، وهو مخالف لهذا القرآن الموجود ، من حيث التأليف وترتيب السور والآيات ، بل الكلمات ، ومن جهة الزيادة والنقصية . ومقتضى ذلك ان مصحف علي مشتمل على زيادات ليست في المصحف الامام ، فهذا المصحف الامامُ مدان ان بتهمة عدم مطابقة الاصل ، أي ان تحريفاً قد وقع فيه " ٣

(١) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ .

(٢) محمد عبد الله دراز ، مدخل إلى القرآن الكريم ، ترجمة محمد عبد العظيم علي ، دار القرآن الكريم ، ( الكويت - ١٩٧١ ) ، ص ٣٩ .

(٣) عبد الصبور شاهين ، تاريخ القرآن ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .





ان أفضل ما استند عليه المستشرقون من روايات وأحاديث تنص بتحريف القرآن ، لا تعدو عن كونها أخبار الآحاد ، وهي أخبار متناثرة هنا وهناك ، لا تصلح لأن تكون دليلاً أو حجة على قضية ما ، فما بالك بقضية تخص سلامة القرآن الكريم ، ولا تصلح ان تكون برهاناً على دعوى ، كونها لم تبلغ حد الشهرة فضلاً عن التواتر ، ولأن الضعف والكذب والتدليس واضح الأمارات في الرواة ، والاضطراب والتناقض متوافر في الأسانيد<sup>(١)</sup>.

إذن ما اعتمد عليه المستشرقون ، لم يكن من الروايات المُعتبرة ، المُقر بمصداقيتها ، تلك الروايات التي نجدها سواء في كتب السنة أو كتب الشيعة ، وهي روايات وأحاديث تفيد بظاهاها بتحريف القرآن ، بمعنى نقصانه وضياع شئ مما نزل على النبي 9 .

ان رواية الخبر المطلق بلا شك هي أعم من الاعتقاد بمضمونه ، فقد عني محدثوا الشيعة منذ القرون الأولى بجمع الروايات الواصلة إليهم عن الأئمة ، وتبويبها وتنظيمها ، صوناً لها من الضياع والنسيان وما شابه ذلك ، من غير نظر في متونها وأسانيدها ، ولذا تجد في روايات الواحد منهم ما يعارض ما رواه الآخر ، بل تجد ذلك في أخبار الكتّابين بل الكتاب الواحد للمؤلف الواحد ، وترى المحدث يروي في كتابه الحديثي خبراً ينص على عدم قبول مضمونه في كتابه الفقهي أو الإعتقادي لذلك ، فالرواية هي أعم من القبول والتصديق بالمضمون<sup>(٢)</sup>.

فلا يجوز إذن نسبة مطلب إلى راوٍ أو محدث بمجرد روايته أو نقله لخبر يدل على ذلك المطلب ، إلا إذا نص على الاعتقاد به أو أورده في كتاب الذم بصحة أخباره أو ذكره في كتاب صنفه في بيان اعتقاداته<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر : محمد حسين علي الصغير ، تاريخ القرآن ، ص ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) ينظر : الميلاني ، التحقيق في نفي التحريف ، ص ٩٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩٩ - ١٠٠ .



عند هذا لا بد من ذكر حقيقة مؤكدة ، وهي انه لا يوجد كتاب واحد من بين كتب الشيعة وصفت أحاديثه جميعها بالصحة ، وقولت بالتسليم والقبول لدى الفقهاء والمحدثين ، ولذا نجد ان أحاديث الشيعة . وحتى الواردة في الكتب الشيعية الأربعة<sup>(١)</sup> المعتمدة في الحديث والتي عليها الاعتماد في استنباط الأحكام الشرعية . قد خضعت لنقد علماء الرجال وأئمة الجرح والتعديل ، فكل خبر اجتمعت فيه شرائط الصحة ، وتوافرت فيه مقتضيات القبول أخذ به ، وكل خبر لم يكن بتلك المثابة ردّ ، أي كان مخرجه وراويها والكتاب الذي أخرج فيه<sup>(٢)</sup>.

فعلى سبيل المثال ، ان كتاب أصول الكافي وهو أهم الكتب الشيعية الأربعة وأوثقها لدى هذه الطائفة ، وهو الذي أثنى عليه العلماء والمحدثون والفقهاء وتلقوه بيد الاحترام والتعظيم ، وزع العلماء أحاديثه البالغة ( ١٦١٩٩ ) حديثاً على أساس تصنيف الأحاديث . وقد لوحظ ان أكثرها عدداً الأحاديث الضعيفة<sup>(٣)</sup>.

نخلص مما تقدم ان أحاديث " الكتب الشيعية " أحاديث غير قطعية الصدور عن النبي 9 والأئمة عليهم السلام عند الإمامية كونها تكون خاضعة للفحص والتدقيق . وبالتالي فإن المذهب الشيعي ليس بالضرورة ان يكون معتقداً لكل المضامين الواردة في تلك الأحاديث ، هو لا يعتقد إلا بما يصدق ويصح ويثبت . وعلى هذا فالشيعة لا يعتقدون بعصمة أي مصنف أو مفسر أو محدث كائناً من كان عن الخطأ والزلل ، وبناءً على هذا لا يقولون بصحة أي مجموعة

(١) هي كتب : أصول الكافي ، للكليني (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) ، وكتاب من لا يحضره الفقيه ، للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ / ٩٩١م) ، وكتابي التهذيب والاستبصار فيما اختلف من الأخبار ، للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) .

(٢) ينظر : الميلاني ، التحقيق في نفي التحريف ، ص ١٠٠ ؛ سيد سعيد اختر الرضوي ، رسائل ، مؤسسة أنصاريان ، (قم - ١٩٩٦) ، ص ص ٩٩ - ١٠١ .

(٣) الميلاني ، التحقيق في نفي التحريف ، ص ١٠٢ .



للأحاديث بتمامها . وان الكتاب الوحيد الذي يعتقدون بصحته ومصونيته عن كل نقص أو خلل هو كتاب الله المجيد القرآن الكريم الذي وصفه الله تعالى بأنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه<sup>(١)</sup>.

يتبين مما سبق ان الطعون التي ادعاها المستشرقون بحق سلامة القرآن الكريم ، ونسبوها إلى لسان الشيعة ، هي مجرد أحاديث ضعيفة لا يعتد بها أئمة الشيعة ولا علمائهم ، ولا يميلون إلى القول بها ، ولا تصديقها ولا العمل بموجبها ، وإنما هي كما بينا مجرد أحاديث ضعيفة وردت في كتب الحديث ضمن عملية جمع الأحاديث وحفظها من الضياع ، دون القيام بتمحيصها وغربلتها . وقد استفاد هؤلاء المستشرقون من هذه الأحاديث الضعيفة للتصريح بوقوع التحريف في القرآن عن لسان الشيعة .

(١) ينظر : الميلاني ، التحقيق في نفي التحريف ، ص ص ٩٩ - ١٠٧ ؛ الرضوي ، رسائل ، ص ص ٨٣ - ٩٠ ؛ مرتضى الرضوي ، المنتقى من كتاب آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانة القرآن الكريم ، (بيروت - لا . ت ) ؛ مرتضى الرضوي ، عصمة القرآن من الزيادة والنقصان ، مؤسسة دار الهجرة ، (قم - ٢٠٠١) .

الفاثمة

---



## الخاتمة

بعد ان مَنَّ الله تعالى علينا بفضلِهِ لإنجاز هذه الدراسة . لابد من ذكر أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ، كما ان الواجب يدعونا لأن نضع مجموعة من التوصيات العلمية المفيدة لزملائنا الباحثين . فمن جملة النتائج :

أولاً : تناولنا في الفصل الأول علاقة الاستشراق بالقرآن الكريم ، وقد وجدنا ان القرآن الكريم كان أحد أهم الموضوعات الشرقية التي أثارت اهتمام المستشرقين ، هذا الاهتمام الذي بدأ منذ وقت مبكر يعود إلى سنة ( ١٤٣ م ) حين تمت أول ترجمة لاتينية للنص القرآني ، ولتستمر بعدها الدراسات والترجمات إلى مختلف اللغات الأوروبية .

وجدنا ان هذا الاهتمام الذي بدأ كبيراً بموضوع القرآن الكريم . هو نتيجة للدافع الديني الذي كان يحرك ويغذي العقلية الاستشراقية في الخوض بهذه الدراسات ، لا بل ويوجه هذه العقلية نحو الأهداف التي تضعها المؤسسة الدينية المسيحية . ومن المؤكد ان هناك دوافع أخرى غير الدينية قد دعمت هذه الدراسات ، وقد لاحظنا ان القرنين والنصف الأخيرين قد شهدا تخصصاً في الدراسات القرآنية عند المستشرقين ، منها ما هو يهتم بالجانب اللغوي للقرآن ، ومنها ما يهتم بالجانب التأريخي ، ومنها ما يهتم بتفسير النصوص القرآنية ، والملاحظ ان غالبية هذه الدراسات التخصصية تشترك بصفة واحدة تقريباً وهي ان مؤلفيها يبحثون عن كل ما من شأنه تأكيد الثغرات ونقاط الضعف على النص القرآني .

ثانياً : ان الدراسات الاستشراقية ومنذ القرنين ونصف ، أخذت تبحث في موضوع تأريخ النص القرآني ، وعملية البحث هذه ، قد سارت باتجاهين :

الاتجاه الأول كان يبحث في تسلسل زمني لنزول السور القرآنية ، لأنهم يرون ان عنصر الزمن لم يعالج في ترتيب السور القرآنية ، ولأنهم يفضلون ان يتعاملوا مع القرآن ككتاب تأريخي . انشغل عدد من المستشرقين بموضوع إعادة ترتيب السور



بحسب زمن نزولها ، وفق مناهج بحثية متعددة ، تارة تكون بالاعتماد على مصادر السيرة وعلاقتها بالنص القرآني ، وتارة أخرى بالاعتماد على لغة القرآن وأسلوبه الخطابي ، وتارة ثالثة بالاعتماد على مضامين النصوص القرآنية وما تقدمه من دلالات كأسماء أو ألفاظ أو أماكن وغيرها مما فيه إشارة إلى زمن معين أو بالاعتماد على هذه المعطيات جميعاً . وهكذا توصل بعض المستشرقين إلى ما عبروا عنه بنظريات في إعادة ترتيب السور القرآنية .

ومن خلال البحث توصلنا إلى ان هذه النظريات التي توصل إليها هؤلاء المستشرقون ، ما هي إلا محاولات فاشلة غير مثمرة في إعادة الترتيب ، ذلك ان كل الطرق البحثية التي اتبعوها لم تستطع ان توفر نتائج دقيقة وصحيحة في إعادة الترتيب ، وبالتالي فهي وان اكتسبت شهرة كبيرة في أوساط المستشرقين وحتى عند بعض الشرقيين ، إلا أنها لا تعدو ان تكون محاولات فاشلة . وقد اعترف بذلك رائد هذه الدراسات ومؤسسها المستشرق الألماني تيودور نولدكه حين سئل قبل وفاته بوقت قصير ، ان كان يشعر بالندم لأنه لم يعكف على دراسة علم يعود بالفائدة العلمية على الجنس البشري ، كدراسة الطب أو الزراعة أو أي فرع غير الدين واللغات والفلسفة ؟ . اجاب نولدكه : " إذا كان من ندم فلأنني درستُ علوماً لم أظفر منها في النهاية بنتائج حاسمة قاطعة " .

على أننا لم نغفل ان نبين في ثنايا البحث ان التسلسل الحالي للسور القرآنية هو تسلسل توقيفي ، فرض بأمر الله تبارك وتعالى ، وبنيته النبي الكريم 9 من خلال قرأته للقرآن ، ومراجعه السنوية لما ينزل منه مع الأمين جبريل B، وتدوينه لألفاظه ، وغير ذلك من الشواهد المؤكدة على ان تسلسل النص القرآني هو توقيفي بأمر الله تعالى .

أما الاتجاه الثاني فنجد فيه ان الدراسات الاستشراقية تبحث في موضوع تدوين القرآن وجمعه . ومن المؤسف جداً ان تراثنا قد احتوى على عدد كبير من الروايات



والأحاديث الضعيفة الموضوعية . لقد وجد الباحث ان المستشرقين يقومون بعملية تقصي ويبحث حول تلك الروايات ، ثم يوظفوها لطروحاتهم ، وصولاً للقول بتحريف النص القرآني . ان أهمال بعض مصادرنا القديمة هذا الأمر ، وعدم تنبه مؤلفيها إلى خطورة إيراد هذه الروايات والاحاديث الدالة على تناقضات كبيرة بشأن جمع القرآن . وأعراض علماء المسلمين ومفكريهم المعاصرين عن طرق هذا الموضوع ومعالجته بموضوعية تامة ، خوفاً من حساسيته .

كل هذا قد جعل الباب مفتوحاً أمام المستشرقين ليناقدوا ويحللوا ويصرحوا بكل ما يتوافق وفكرهم الاستشراقي ، البعيد عن سلمات العقيدة الإسلامية . وفي أهم وأقدس ما يرتبط بنا كمسلمين .

**ثالثاً:** لقد وجد الباحث ان المصادر العربية القديمة قد خلطت في مفهوم ( جمع القرآن ) ولم تقوم بتوضيحه بشكلٍ وافٍ ولقد توصل الباحث إلى ان هذا الخلط وعدم الوضوح في مفهوم جمع القرآن هو الذي أربك الروايات الإسلامية أو على الأقل كان أحد الأسباب الرئيسية في أرباكها فجاءت الروايات لتشير إلى عدد من الصحابة ممن ساهموا في عملية حفظ النص القرآني من الضياع وتعميرهم بأنهم جامعي القرآن .

في حين ان الرؤية الصريحة والواضحة لهذا الأمر تبدو من خلال أدراكنا التام لهذا المفهوم ، فإذا ما أدركنا المعنى الحقيقي لجمع القرآن عندها سوف لن يحصل اللبس ولن نقع في إشكاليات . فالرسول 9 وكما ورد في ثنايا البحث كان يحرص على الحفظ الشفوي لكل ما ينزل من القرآن وبشكل مباشر ﴿ لَا تُحْرِكُ لِسَانِكَ لِتَعْجَلَ بِهِ اِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ . ثم يبادر وبشكل فوري إلى تدوين تلك النصوص القرآنية النازلة ، على أدوات الكتابة المتوافرة آنذاك وقد أخبرتنا كتب التاريخ عن عدد من كدابة الوحي الذين كان الرسول الكريم 9 يستخدمهم في تدوين النصوص القرآنية .



ثم أكدت لنا روايات إسلامية على ان الرسول الكريم وفي شهر رمضان من كل سنة كان يراجع ما نزل من القرآن مع الأمين جبريل B ، تلك المراجعة التي لا تُعبر إلا عن حجم الحرص الإلهي لجمع القرآن وحفظه من الضياع .

وعلى هذا فالرسول الأكرم 9 هو الأولى والأحق من ان ننسب جمع القرآن إليه ، وألا كيف يكون الجمع وما استعرضناه من حرص وأهتمام وعمل قام به 9 من أجل حفظ النص القرآني .

ويعد ان توفي رسول الله 9تولى الصحابة والمسلمون حفظ ما جمعه النبي خلال سنوات الدعوة وتكلفت تلك الجهود بما قام به الخليفة الثالث عثمان بن عفان بتوحيد المصاحف .

مرة أخرى أقول ان عدم وضوح مفهوم جمع القرآن بالنسبة لمؤلفي المصادر القديمة ورواة الحديث ، أدى بهم إلى الخلط تحت هذا العنوان ونسب هذا الدور الهام إلى أسماء معينة من الصحابة ، فظهرت الروايات منها من يقول ان الخليفة الأول أبو بكر رضي الله عنه هو أول من جمع القرآن ، ومنها من يقول ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من جمع القرآن ، ومنها من يقول ان الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه هو أول من جمع القرآن ، ومنها من ينسب الجمع الأول للإمام عبي بن أبي طالب B ومنها من يقول بأن سالم مولى أبي حذيفة هو أول من جمع القرآن ، وهكذا وفرت هذه الروايات الفرصة لخيال المستشرقين بأن يقول أحدهم بأن الحجاج بن يوسف الثقفي هو أول من جمع القرآن ؟؟؟ .

رابعاً : ولأن الدراسة قد تخصصت بدراسات المستشرقين في تأريخ القرآن كان على الباحث ان يتناول العلاقة ما بين النص التاريخي ( القصصي ) القرآني وما بين النص التاريخي التوراتي ، ولأن كثير من المستشرقين يؤكدون على ان النص القرآني هو نص متأثر بالنص التوراتي وله علاقة وثيقة به ، يلوح البعض بالقول





بأن النص القرآني مأخوذ أو مستقى من النص التوراتي أصلاً ، ولذلك قام الباحث بأجراء مقارنة (لِقِصَّةِ نَبِيِّ اللَّهِ يُوسُفَ B ) الواردة في الكتابين وقد تبين من هذه المقارنة ان النص القرآني هو أبلغ وأوسع من النص التوراتي لا بل فيه تفاصيل أخرى لم يأتِ النص التوراتي على ذكرها ، وبذلك يمتاز النص القرآني من النص التوراتي ، وهذه الميزة تجعل منه نصاً غير تابع ، غير مُقلد ، لأن من شيم الاستقاء ان يكون النص المُقلد نصاً تابعاً مسائراً في الفكر غير مخالف للنص الأصلي ، وهذا لم نجده في النص القرآني .

### التوصيات

ان الدراسات الاستشراقية المتخصصة بالقرآن الكريم هي دراسات كثيرة ومتنوعة وتناولت جوانب عديدة من القرآن الكريم مثلما ذكرنا سابقاً ، جوانب لغوية وتاريخية وبلاغية وتفسيرية ، وقد طرحت هذه الدراسات روى قد يكون البعض منها منطقياً وقد يكون الآخر منها متحيزاً لا ينسجم مع حقيقة القرآن وعلى هذا الأساس نحتاج إلى الإطلاع على هذه الدراسات ، على ما يحمله الفكر الاستشراقي ( الفكر الغربي ) من تصورات وروى حول جوانب عدة تتعلق بالقرآن الكريم :

- (١) ان يتم دراسة المؤلفات الاستشراقية المهمة والوقوف على حقيقة الفكر الاستشراقي وموقفه من القرآن في الجوانب الأخرى التي لم تتناولها هذه الدراسة.
- (٢) الإطلاع على حدود الفكر الاستشراقي ، وهذا بدون شك سيمكننا من الحوار الثقافي معه وبيان حقيقة ما غمض لديه من تصور يتعلق بالقرآن الكريم .
- (٣) ان يتولى مجموعة من العلماء والمفكرين المسلمين النظر في الروايات المتعلقة بموضوع ( جمع القرآن ) ، وان يقوموا بخطوة جريئة وجدية لبيان الحقائق ورفض كل الروايات المؤدية إلى التشكيك بالنص القرآني ، وان لا يترك هذا الموضوع تحت ذريعة حساسية الخوض فيه .



٤) ان يتم بيان الفكر الإسلامي في هذا الموضوع ومحاولة نشره من خلال ترجمة هذا الفكر إلى اللغات الأوربية لتطلع المجتمعات غير المسلمة على حقيقة الدين الإسلامي وعلى حقيقة النص القرآني من خلال الفكر الإسلامي وليس بواسطة الفكر الاستشراقي الغربي .

وبعد فأني إذ أختتم عملي المواضيع هذا أسأل الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا به ويسدد خطانا في سبيل خدمة الدين والذود عنه قدر المستطاع أمام تخرصات ومزاعم الظلمين الحاقدين من أعداء الدين .

## **والله ولي التوفيق**

## **الباحث**

# قائمة المصادر

---



❖ القرآن الكريم

❖ الكتاب المقدس

### أولاً : المصادر العربية

- ❖ ابن الأثير، محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ( ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م ).
- الكامل في التاريخ ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، (بيروت . ١٩٩٥ م ) .
- ❖ ابن إسحاق ، محمد ( ١٥١ هـ / ٧٦٨ م ) .
- سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث ، تحقيق محمد حميد الله ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب .
- ❖ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ( ت ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م ) .
- صحيح البخاري ، دار الفكر ، ( بيروت . ١٩٨٦ م ) .
- ❖ البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ( ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م ) .
- سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دارالباز،(مكة المكرمة . ١٩٩٤ م ) .
- ❖ الترمذي ، محمد بن عيسى السلمي ( ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م ) .
- سنن الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار أحياء التراث العربي ، ( بيروت . لا . ت ) .
- ❖ الحاكم النيسابوري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ( ت ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م )
- المستدرک علی الصحیحین ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ( بيروت . ١٩٩٠ م ) .



- ❖ ابن الحبيب ، الحسن بن عمر ( ٧٧٩هـ / ١٣٧٧ م ) .
- المقتفى من سيرة المصطفى ، تحقيق مصطفى محمد حسين الذهبي ، دار الحديث ، ( القاهرة . ١٩٩٦ ) .
- ❖ ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي الشافعي ( ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م ) .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، ( بيروت . ١٩٩٢ م ) .
- ❖ الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت ( ت ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م ) .
- تقييد العلم ، تحقيق يوسف الغش ، ط ٢ ، ( بلا . ١٩٧٤ م ) .
- ❖ ابن الجزري ، محمد بن محمد
- غاية النهاية ، تحقيق برجستراسر ، مكتبة الخانجي ، ( مصر . ١٩٣٢ م ) .
- ❖ ابن الجوزي ، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ( ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م ) .
- فنون الأئنان في عجائب علوم القرآن ، تحقيق رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ( بغداد ١٩٨٨ ) .
- ❖ الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن ( ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م ) .
- سنن الدارمي ، تحقيق فواز أحمد وخالد السبع ، دار الكتاب العربي ، ( بيروت . ١٩٨٦ م ) .
- ❖ الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان ( ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ) .
- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار ، تحقيق بشار عواد وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ( بيروت . ١٩٨٣ م ) .
- ❖ الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ( ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م ) .
- مختار الصحاح ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، ( بيروت . ١٩٩٥ ) .



- ❖ الزركشي ، محمد بن بهادر بن عبد الله ( ت ٧٩٤ هـ / ١٣٩١ م ) .
- البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، ( بيروت . ١٩٧١ م ) .
- ❖ الزهري ، محمد بن سعد بن منيع البصري ( ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م ) .
- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، ( بيروت . لا . ت ) .
- ❖ السجستاني ، أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث ( ت ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م ) .
- المصاحف ، تحقيق آرثر جفري ، المطبعة الرحمانية ، ( مصر . ١٩٣٦ م ) .
- ❖ السيوطي ، جلال الدين ( ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ) .
- الإتيقان في علوم القرآن ، المكتبة الثقافية ، ( بيروت . ١٩٧٣ م ) .
- ❖ الشيباني ، أحمد بن حنبل ( ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م ) .
- مسند أحمد ، مؤسسة قرطبة ، ( مصر . لا . ت ) .
- ❖ الشيخ الصدوق ، بن علي بن الحسين بن بابويه ( ٣٨١ هـ / ٩٩١ م ) .
- الامالي ، المكتبة الإسلامية ، ( قم . ١٩٨٤ م ) .
- عيون أخبار الرضا B ، دار العالم للنشر ، ( طهران . ١٩٨٦ م ) .
- ❖ الطبرسي ، أمين الدين أبو علي الفضل بن الحسن ( ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م ) .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار أحياء التراث ، ( بيروت . ١٩٧٦ ) .
- ❖ الطبري ، محمد بن جرير ( ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م ) .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر ، ( بيروت . ١٩٨٤ م ) .
- تأريخ الرسل والملوك ، دار الكتب العلمية ، ( بيروت . ١٩٨٦ م ) .
- ❖ الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي ( ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م ) .
- التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق أحمد بن حبيب العاملي ، مكتب الأعلام الإسلامي ، ( قم . ١٩٨٧ م ) .



- ❖ الغزي ، محمد بن محمد بن محمد (ت ١٠٦١هـ / ١٦٥٠م ) .
- إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، تحقيق خليل محمد العربي ، دار الفاروق الحديثة ، ( القاهرة . ١٩٩٤م ) .
- ❖ القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر فرج (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٢م ) .
- الجامع لإحكام القرآن ، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، ط٢ ، ( القاهرة . ١٩٥٢م ) .
- ❖ الفلقشندی ، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م ) .
- صبح الأعشى في صناعة الأنشا ، دار الكتب المصرية ، ( القاهرة . ١٩٦٣ ) .
- ❖ ابن كثير القرشي ، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م ) .
- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، ( بيروت . لا . ت ) .
- تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، ( بيروت . ١٩٨٠ ) .
- ❖ المقدسي ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م ) .
- كتاب المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، تحقيق طيار آلي قولا ج ، دار صادر ، ( بيروت . ١٩٧٥ ) .
- ❖ ابن منظور ، محمد بن مكرم الأفرقي المصري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م ) .
- لسان العرب ، دار صادر ، ( بيروت . لا . ت ) .
- ❖ ابن النديم ، محمد بن إسحاق ( ٣٨٥هـ / ٩٩٥م ) .
- الفهرست ، دار المعرفة ، ( بيروت . ١٩٧٨م ) .
- ❖ النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ / ٩١٥م ) .
- السنن الكبرى ، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، ( بيروت . ١٩٩١ ) .



- فضائل القرآن ، تحقيق فاروق حمادة ، دار احياء العلوم ، ط ٢ ، ( بيروت ١٩٩٢ م ) .
- ❖ النيسابوري ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ( ت ٣١١ هـ / ٩٢٣ م ) .
- صحيح ابن خزيمة ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، ( بيروت . ١٩٧٠ ) .
- ❖ ابن هشام ، محمد بن عبد الملك ( ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م ) .
- السيرة النبوية ، تحقيق همام سعيد ومحمد بن عبد الله ، ( الأردن . ١٩٨٨ )
- ❖ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ( ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ) .
- تأريخ ، ( بيروت . ١٩٦٠ م ) .

### ثانياً . المصادر العربية الحديثة

- ❖ الاعرجي ، ستار جبر حمود .
- الوحي ودلالاته في القرآن الكريم والفكر الإسلامي ، دار الكتب العلمية ، ( بيروت . ٢٠٠١ م ) .
- ❖ أمين ، أحمد .
- فجر الإسلام ، ( القاهرة . لا . ت ) .
- ❖ الأنباري ، عبد الرزاق علي .
- " جمع القرآن الكريم " بحث منشور في مجلة المورد ( عدد خاص ) ، ( بغداد . ١٩٨١ ) ، المجلد التاسع ، العدد الرابع .
- ❖ البدري ، محمد عبد الله المهدي .
- القرآن الكريم تأريخه وعلومه ، دار القلم ، ( دبي . ١٩٨٤ ) .
- ❖ بدوي ، عبد الرحمن
- موسوعة المستشرقين ، ، دار القلم للملايين ، ط ٣ ، ( بيروت . ١٩٩٣ ) .





- ❖ البنداق ، محمد صالح .
- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم ، ( بيروت . ١٩٨٠ ) .
- ❖ جعيط ، هشام .
- أوربا والإسلام صدام الثقافية والحدائثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ( بيروت . ١٩٩٥ ) .
- ❖ حسنين ، عبد المنعم محمد .
- الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوتِه ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ( المدينة المنورة . ١٩٧٧ ) ، العدد الثاني .
- ❖ الحسيني ، إسحاق موسى .
- لاستشراق نشأته وتطوره وأهدافه ، ( بيروت . ١٩٦٧ ) .
- ❖ حميش ، سالم .
- الاستشراق في أفق انسداده ، ( الرباط . ١٩٩١ ) .
- ❖ الحكيم ، محمد باقر .
- القصص القرآني ، المركز العالمي للعلوم الإسلامية ، ( قم . ١٩٩٥ م ) .
- ❖ الخربوطلي ، علي حسني
- المستشرقون والتأريخ الإسلامي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ( القاهرة . ١٩٨٨ ) .
- ❖ الخطيب ، عبد الكريم .
- القرآن ، نظمه ، جمعه ، ترتيبه ، دار الفكر العربي ، ( القاهرة . ١٩٧٢ م ) .
- ❖ خلف الله ، محمد أحمد .
- الفن القصصي في القرآن الكريم ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ، ( القاهرة . ١٩٥٧ ) .



- ❖ خليل ، عماد الدين .
- في التاريخ الإسلامي . موقف ودراسات . ، مطبعة الزهراء ، ط ٢ ، ( الموصل . ١٩٨٥ ) .
- ❖ الداقوقي ، حسين علي .
- " معركة طلس أو الصراع الحضاري بين العرب والصين " بحث منشور في مجلة دراسات للأجيال ، ( بلا . ١٩٨٧ ) ، العدد الثالث .
- ❖ دراز ، محمد عبد الله .
- النبأ العظيم . نظرات جديدة في القرآن ، دار القلم ، ط ٢ ، ( الكويت . ١٩٧٠ )
- مدخل إلى القرآن الكريم ، ترجمة محمد عبد العظيم علي ، دار القرآن الكريم ، ( الكويت . ١٩٧١ ) .
- ❖ الدعيمي ، محمد عبد الحسين .
- المتغير الغربي : الشرق الاستشراق ، ( بغداد . ١٩٨٦ ) .
- ❖ الرضوي ، سيد سعيد أختر .
- رسائل ، مؤسسة أنصاريان ، ( قم . ١٩٩٦ ) .
- ❖ الرضوي ، مرتضى .
- عصمة القرآن من الزيادة والنقصان ، مؤسسة دار الهجرة ، ( قم . ٢٠٠١ )
- المنتقى من كتاب آراء علماء المسلمين في التقيّة والصحابة وصيانة القرآن الكريم ، الارشاد للطباعة والنشر ، ( بيروت . لا . ت ) .
- ❖ زقزوق ، محمود حمدي
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ط ٢ ، ( قطر . ١٩٨٣ ) .
- ❖ الزنجاني ، أبي عبد الله .
- تأريخ القرآن ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ( القاهرة . ١٩٣٥ ) .



- ❖ الزيايدي ، محمد فتح الله .
- ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها ، ( ليبيا . ١٩٨٣ ) .
- ❖ السباعي ، مصطفى .
- الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، ( الكويت . ١٩٦٨ م ) .
- ❖ سليمان ، علي حيدر .
- تأريخ الحضارة الأوربية ، دار واسط ، ( بغداد . ١٩٩٠ ) .
- ❖ شاهين ، عبد الصبور .
- تأريخ القرآن ، دار القلم ، ( القاهرة . ١٩٦٦ ) .
- ❖ ابن الشريف ، محمود .
- الأديان في القرآن ، دار المعارف ، ( القاهرة . ١٩٧٠ ) .
- ❖ الصالح ، صبحي .
- مباحث في علوم القرآن ، دار العلم ، ط ١٠ ، ( بيروت . ١٩٧٧ ) .
- ❖ الصغير ، محمد حسين علي .
- تأريخ القرآن ، الدار العالمية ، ( بيروت . ١٩٨٣ ) .
- " ظاهرة الوحي والمستشرقون " ، بحث منشور في كتاب المستشرقون وموقفهم من التراث العربي الإسلامي ، ( النجف . ١٩٨٦ ) .
- المستشرقون والدراسات القرآنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ( لبنان . ١٩٨٣ ) .
- ❖ الطباطبائي ، سيد محمد حسين .
- الميزان في تفسير القرآن ، دار الكتب الإسلامية ، ط ٣ ، ( طهران . ١٩٧٦ م ) .
- ❖ عاشور ، سعيد عبد الفتاح .
- أوربا العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٩ ، ( القاهرة . ١٩٨٣ ) .



- ❖ العالم ، عمر لطفي .
- المستشرقون والقرآن ، مركز دراسات العالم الإسلامي ، ( مالطة . ١٩٩١ )
- ❖ العاملي ، علي الكوراني .
- تدوين القرآن ، دار القرآن الكريم ، ( طهران . ١٩٩٧ م ) .
- ❖ العاني ، عبد القهار داود .
- دراسات في علوم القرآن ، مطبعة المعارف ، ( بغداد . ١٩٧٢ ) .
- ❖ عرفة ، محمد أحمد .
- نقض مطاعن في القرآن الكريم ، مطبعة المنار ، ( القاهرة . ١٩٣٢ ) .
- ❖ عقيقي ، نجيب .
- المستشرقون ، ط ، ( القاهرة . ١٩٤٦ م ) .
- ❖ العلي ، صالح أحمد .
- دراسات في تطور الحركة الفكرية في صدر الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، ( بيروت . لا . ت ) .
- ❖ عياد ، محمد كامل .
- " صفحات من تاريخ الاستشراق " بحث منشور في مجلة المجمع العربي السوري ، ( سوريا . ١٩٦٥ ) ، المجلد ٤٠ ، الجزء ١ .
- ❖ غلاب ، محمد .
- نظرات استشراقية في الإسلام ، ( القاهرة . لا . ت ) .
- ❖ فتاح ، عرفان عبد الحميد .
- دراسات في الفكر العربي الإسلامي ، دار الجيل ، ( بغداد . ١٩٩١ م ) .
- المستشرقون في الإسلام ، ( بغداد . ١٩٦٩ ) .



- ❖ فروخ ، عمر .
- " المستشرقون مالهم وما عليهم " بحث منشور في مجلة الاستشراق ، ( العراق . ١٩٨٧ ) ، العدد الأول .
- ❖ القاضي ، عبد الفتاح .
- تأريخ المصحف الشريف، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، ( القاهرة . لا . ت )
- ❖ المدرس ، علاء الدين شمس الدين .
- الظاهرة القرآنية والعقل ، مطبعة العاني ، ( بغداد . ١٩٨٦ ) .
- ❖ المقدادي ، الشيخ فؤاد كاظم .
- الإسلام وشبهات المستشرقين ، المجمع العالمي لأهل البيت E ، ( طهران . ١٩٩٧ م ) .
- ❖ الميلاني ، علي الحسيني .
- التحقيق في نفي التحريف ، انتشارات الشريف الرضي ، ( قم . ١٩٩٦ م ) .
- ❖ نادفي ، سيد مظفر الدين .
- التأريخ الجغرافي للقرآن ، ترجمة عبد الشافي غنيم عبد القادر ، لجنة البيان العربي ، ( مصر . ١٩٥٦ ) .
- ❖ ابن نبي ، مالك .
- أنتاج المستشرقين وآثره في الفكر الإسلامي الحديث ، ( القاهرة . ١٩٧٠ ) .
- الظاهرة القرآنية ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر، ( لبنان . لا . ت ) .
- ❖ نقرة ، التهامي .
- " القرآن والمستشرقون " بحث منشور في كتاب مناهج المستشرقين ، المنظمة العربية للتربية والثقافية والفنون ، ( الرياض . ١٩٨٥ ) .
- ❖ ياسين ، محمد سعدي .
- البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان ، ( بيروت . ١٩٦٤ م ) .



### ثالثاً : المصادر الأجنبية المترجمة

- ❖ ايرفنج ، واشنطن .
- محمد وخلفاؤه ، ترجمة هاني يحيى نصري ، المركز الثقافي العربي ، ( الدار البيضاء . ١٩٩٩ ) .
- ❖ أركون وآخرون ، محمد .
- الاستشراق بين دعائه ومعارضيه ، ترجمة هاشم صالح، ( بيروت . ١٩٩٤ م )
- ❖ بارت ، رودى .
- الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية ، ترجمة مصطفى ماهر ، ( القاهرة . ١٩٦٧ ) .
- ❖ باركر ، أرنست .
- الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، دار النهضة العربية ، ( بيروت . ١٩٦٧ ) .
- ❖ بروكلمان ، كارل .
- تأريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، ط٩ ، ( بيروت . ١٩٨١ ) .
- ❖ بلاشير ، ريجيس .
- لقرآن نزوله ، تدوينه ، ترجمته وتأثيره ، ترجمة رضا سعادة ، دار الكتاب اللبناني ، ( بيروت . ١٩٧٤ ) .
- ❖ بودلي ، رونالد فكتور .
- حياة محمد الرسول ، ترجمة عبد الحميد جودة السحار ومحمد فرج ، ( القاهرة . ١٩٦٤ ) .



- ❖ بوكاي ، موريس .
- القرآن الكريم والتوراة والأنجيل والعلم ، دار المعارف ، ط ٤ ، ( القاهرة . ١٩٧٧ )
- ❖ جب ، هاملتون .
- بنية الفكر الديني في الإسلام ، ترجمة عادل ألّوا ، مطبعة جامعة دمشق ، ط ٢ ، ( دمشق . ١٩٦٤ ) .
- ❖ جب ، هاملتون وكالمرز .
- الموسوعة الإسلامية الميسرة ، ترجمة راشد البراوي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ( القاهرة . ١٩٨٥ ) .
- ❖ جلكريست ، جون .
- جمع القرآن : كتاب موجود على شبكة الانترنت على الموقع :  
[www.an-swering-islam.org/Arabic/Gilchrist/Jam](http://www.an-swering-islam.org/Arabic/Gilchrist/Jam)
- ❖ جولد تسهر ، اجنتس .
- العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة محمد يوسف وعلي حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق ، دار الكتب الحديثة ، ط ٢ ( القاهرة . لا . ت ) .
- مذاهب التفسير الإسلامي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مطبعة السنة المحمدية ، ( القاهرة . ١٩٥٥ ) .
- ❖ خودابخش ، صلاح الدين .
- حضارة الإسلام ، ترجمة علي حسني الخربوطلي ، دار الثقافة ، ( بيروت . ١٩٧١ ) .
- ❖ دي لاسي ، أوليري .
- الفكر العربي ومركزه في التاريخ ، دار الكتاب اللبناني ، ( بغداد . ١٩٨٦ ) .



- ❖ رنسيما ، ستيفن .
- تأريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العيني ، ( بيروت . ١٩٦٧ ) .
- ❖ سارتون ، جورج .
- تأريخ العلم ، ترجمة محمد خلف الله وآخرون ، دار المعارف، ط٣، ( القاهرة . ١٩٧٦ ) .
- ❖ كارليل ، توماس .
- الأبطال ، ترجمة محمد السباعي ، ( بيروت . ١٩٦١ ) .
- ❖ كراتشوفسكي .
- دراسات في تأريخ الأدب العربي ، ط٢ ، ( موسكو . ١٩٦٥ ) .
- ❖ لوبون ، غوستاف .
- حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط٤ ، ( نابلس . ١٩٦٤ م ) .
- ❖ لويس ، برنارد .
- تأريخ أهتمام الإنكليز بالعلوم العربية ، ط٢ ، ( بيروت . لا . ت ) .
- ❖ وات ، مونتجومري .
- تأثير الإسلام على أوروبا في العصور الوسطى ، ترجمة عادل نجم عبّو ، ( الموصل . ١٩٨٢ م ) .
- محمد في مكة ، ترجمة شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية ، ( بيروت . ١٩٥٢ ) .
- محمد في المدينة ، ترجمة شعبان بركات ، منشورات المكتبة العصرية ، ( بيروت . ١٩٥٢ ) .





- 
- ❖ يونغ ، لويس .
  - العرب وأوروبا ، ترجمة ميشيل أزرق ، دار الطليعة للنشر والطباعة ، ( بيروت .  
١٩٧٩ ) .

#### رابعاً : الرسائل الجامعية .

- ❖ الشاوي ، عبد الباسط عبد الصمد .
- الغزو الأوربي للفكر العربي الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ .
- ❖ الغزالي ، مشتاق بشير حمود .
- تطور الاستشراق البريطاني في كتابة السيرة النبوية الشريفة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١ .



### خامساً : المصادر الأجنبية

- ❖ Arberry , A . J .
- British Orient lists , ( London – 1946 ) .
- ❖ Blachere , Regis .
- Intrduction au coran , ( Paris – 1959 ) .
- Le ProBlème du Mahomet , ( Paris – n.y )
- ❖ Campbell, William .
- The Quran and the bible in the light of history and science , (London – 2002 ) .
- ❖ Daniel , Norman
- Islam and the West the making of an Lmage , ( Edinburgh – 1960 )
- ❖ Dermengham , Emile .
- The life of Mohomet , ( Paris – 1930 ) .
- ❖ Desai ,Maulana .
- The Quraan Unimpeachable ,( South Africa – 1987 ) .
- ❖ Gabrieli .
- Muhammad and conquests of Islam,(London – 1968 ) .
- ❖ Hals , Emanuel Keller .
- Der Islam , ( Stuttgart – 1956 ) .
- ❖ Hofmann .
- Tagebuch eines deutschen muslims , ( Germany – 1991 ) .
- ❖ Jeffery , A .
- Materials for the history of the taxt of the Quran , ( New york – 1975 ) .
- ❖ Geiger , Abraham .
- Was hat Mahammad ausdem Judentum aufgenommen , ( Leipzig – 1902 ) .
- ❖ Muir , sir William
- The life of Mohammad from original sources , ( Edinburgh – 1923 ) .
- ❖ Noldeke , Theodor .
- Geschichte des Qorans , ( Germany – 1961 ) .
- ❖ Painter , A .
- History of the middle ages , ( Now York – 1954 ) .



- 
- ❖ Paret , Rudi .
  - Der Koran , ( Stuttgart – 1963 ) .
  - ❖ Sale , George .
  - The Koran , ( London – 1921 ) .
  - ❖ Sell , Edward .
  - The3 historical development of the Quran , ( London – 1898 ) .
  - ❖ Sprenger , A .
  - Leben und die lehre mohammad , ( Berlin – 1869 ) .
  - ❖ Southern , R. W .
  - Western views of Islam in the middle ages , ( Harvared – 1962 ) .
  - ❖ The Encyclopaedia of religion , (New york – 1987 ) .
  - ❖ The New Encyclopaedia Britanica, ( Chicago – 1986 ) .
  - ❖ Tritton , R . S .
  - Islam belief and practices , ( London – 1957 ) .
  - ❖ Watt , Montgomry .
  - Islamic revelation in the modern world , ( London 1969 ) .
  - ❖ Winter , L . W .
  - Der Koran , ( Munchen – 1964 ) .

## ***Abstract***

Since centuries, the oriental studies centered on two significant subjects of the East: the first is the Holy biography of the Prophet (poh) and the second is the Holy Qura'n as the Muslims' first book. The oriental mentality has produced so many publications on these two subjects, yet they did not represent the limits of the oriental thought.

Because this cogitation does not always coincides with so many points of the Islamic thinking, the researcher decided to investigate the orientalist's points of view especially those related to the history of the Holy Qura'n in order to explain the oriental thinking, on the one hand and to reject the suspicions and refute the accusations raised by those orientalist's.

The thesis is entitled "The Oriental Studies of the Holy Qura'n: a Study of the History of the Qura'n, Its Revelation, Recording and Collecting It".

The study has been divided into four chapters and a conclusion. The first chapter deals with the historical development of the relationship between orientalisation and the Holy Qura'n. It tries to go back to the origins of such development beginning with the first point of view of the West to the East. Then the first contact between the two worlds occurred. This contact was cultural before being military. This chapter also includes the Catholic Church's stand from Islam and the beginning of the oriental work and the great oriental tendency to translating and studying the Holy Qura'n.

The second chapter is entitled "the Revelation of the Holy Qura'n in the Oriental Perspective". It deals with the oriental points of view of the Mohammedan revelation and the chronological

sequence of the revelation of the Holy Qura'n and the significance it represents for the orientalists who tried to express their theories in the rearrangement of the Qura'nic Suras based on various thoughts. The chapter shows in detail the theory of Teodor Noldaga and the English orientalist Edward Cell. It, moreover, investigates the relationship between the Qura'nic text and the Biblical text from an oriental perspective.

The third chapter came to be entitled "Collecting and Recording the Holy Qura'n during the time of the Prophet (poh) and the Rashidi Caliphate from an oriental perspective". The researcher tries in this chapter to seek the fact of the Prophet (poh) in collecting and recording the Holy Qura'n and the orientalists' opinions in this regard.

The last chapter is concerned with the orientalists' accusations against the Qura'nic text. To reveal such accusations, the researcher consulted the most Islamic references in an attempt to refute these accusations and to explicate the ambiguous points that were considered to be shortcomings in the Qura'nic text.

Detailed conclusion, recommendations, and suggestions have been finally issued.

# **The Oriental Studies of the Holy Qura'n**

**A Study of the History of the Qura'n,  
Its Revelation, Recording and Collecting It.**

A Thesis

Submitted to the Council of the College of Education/ Ibn Rushd as  
partial fulfillment of Degree of Philosophy in Islamic History

***BY***

**Mushtaaq Basheer Hmood  
Al-Gazali**

***Supervised by***

***Dr. Hussein Ali***

***Muhammad Al-Daqouqi***

***May 2003***

***Rabee the first 1424***